قبل الكارثة...

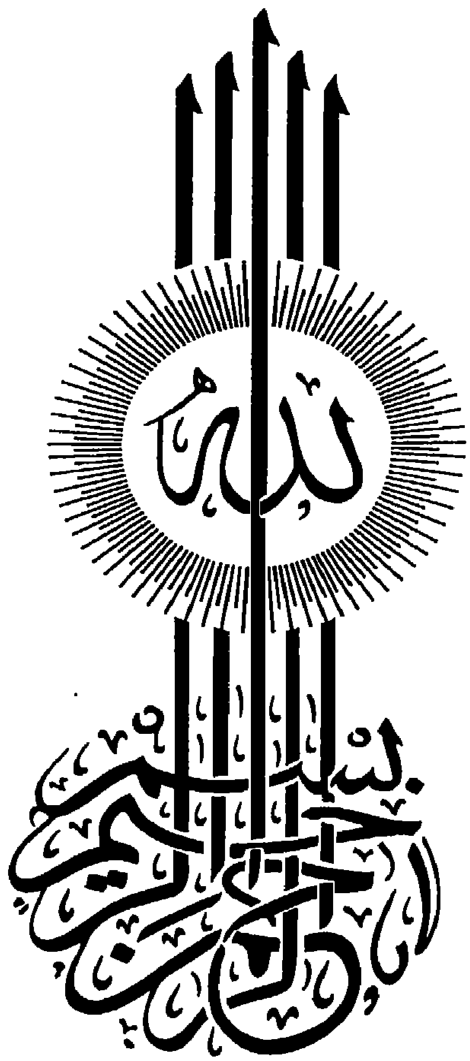
نذير.. ونفير

تأليف

عبد العزيز بن مصطفى كامل

الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٧٨٢


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله الذي لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ولا مغير لسنته: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣]، والصلاة والسلام على المبعوث بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً.

أما بعد: فمثلما تفرد الله ـ تعالىٰ ـ بالخلق، فقد تفرد بالاختيار، فلا اختيار بعد اختياره إذا اختار، قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨].

وقد اختار الله ـ تعالىٰ ـ ما أحب، وأخبرنا عما أحب حتىٰ نتعبده بتعظيم محابِّه وما اختاره من خلقه؛ فقد اختار ـ سبحانه ـ الملائكة من الكائنات، واختار من الملائكة جبريل عليه السلام، واختار الرسل من البشر، واختار من الرسل محمداً عليه الصلاة والسلام، واختار من الأزمنة رمضان، واختار من رمضان ليلة القدر. واختار من الأمكنة مكة والمدينة وبيت المقدس، واختار من تلك الأماكن مساجدها الثلاثة، فضاعف الصلواتِ فيها، ورغَّب عباده في شد الرحال إليها، وأوجب علىٰ الأخيار منهم أن يطهروها ويعمروها.

أما طهارتها؛ فبأن تنزه عن تنجيس المشركين والكافرين لها إذا حلوا فيها أو غلبوا عليها فأقاموا في أرجائها عبادة لغير الله.

وأما تعميرها؛ فبأن تقام فيها عبادة الله خالصة علىٰ التوحيد والدين الصحيح؛ ذلك أن تلك المساجد إنما جعلت لأهل التوحيد خاصة في كل زمان، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨] والمقصود بالرفع هنا الرفع المادي بالبناء، والمعنوي بالتعظيم والتعبد، وهذا عام في كل المساجد، إلا أن المساجد المذكورة لها أولوية في ذلك، ولهذا قال عكرمة في تفسير هذه الآية: «هي المساجد الأربعة: الكعبة، ومسجد قباء، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس»(١).

فمنذ أن تأسس المسجد الأول من تلك المساجد وهو المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم - عليه السلام - أمره الله بتطهير بيته ليخلُص للموحدين العابدين. قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال - تعالى - عنه وعن ولده إسماعيل - عليهما السلام -: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وهذا العهد هو أيضاً أمر لذريتهما من أهل التوحيد، أن يبقوا على المسجد الحرام مطهراً من الأوثان، خالصاً لعبادة الرحمن؛ ولهذا امتثل الرسول ﷺ لهذا الأمر، وطهر البيت الحرام من الأوثان والأصنام بعد أن فتح الله على يديه مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة النبوية الشريفة.

أما المسجد الأقصى الذي بناه إبراهيم - عليه السلام - بعدما بنى المسجد الحرام بأربعين سنة؛ فقد بارك الله - تعالى - في الأرض حوله، وجعل من بركتها أنه بعث فيها ثلة عظيمة من الأنبياء الذين أقاموا فيها الدين الصحيح ودعوا إليه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٨/ ١١٠)، وتفسير فتح القدير، للشوكاني، (٤/ ٣٤).

ولم يشهد مسجد من مساجد الأرض كلها، بل لم يشهد أي معبد من معابد البشر جميعاً ما شهده المسجد الأقصىٰ من تنافس بين الأمم علىٰ حيازته والسيطرة علىٰ أرضه، فكان من هؤلاء المتنافسين عباد موحدون؛ أرادوا أن يقيموا فيه عبادة الله علىٰ ما أمر الله، وكان هناك من يريد إقامة دعائم الشرك ومظاهر الوثنية فيه أو يزيل العبادة منه، وفي أمثال هؤلاء نزل قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

وينطبق هذا الوعيد علىٰ (بختنصر) الذي خرّب بيت المقدس قبل الإسلام، وعلىٰ مشركي العرب الذين لوثوا الكعبة بالأصنام قبل الرسالة[١] هذا في الزمن القديم، أما في الزمن الوسيط فينطبق هذا الوعيد علىٰ النصارىٰ الصليبيين الذين اجتاحوا بيت المقدس قبل عشرة قرون.

أما في عصرنا؛ فلم نر زماناً مثله احتل فيه المسجد الأقصىٰ تلك المساحة من الاهتمام بين أمم الأرض؛ حيث أصبحت دياره بؤرة أحداث كبرىٰ جرت ولا تزال تجري في هذا العصر ضمن ما عُرف بـ (أزمة الشرق الأوسط)، تلك الأزمة المستمرة منذ أكثر من نصف قرن، والتي تُظهر الأيام أن المسجد الأقصىٰ والسيطرة عليه هي الغاية النهائية في الجانب الديني منها، وهذا ما كشفت عنه مفاوضات (كامب ديفيد) الثانية والأحداث التي تلتها.

وفي الحقيقة أن هذا الأمر كان واضحاً منذ بداية القضية لمن فهمها علىٰ وجهها وحقيقتها الدينية؛ حيث وضح من تسلسل الأحداث منذ ما يزيد علىٰ قرن من

---

(١) انظر: تفسير الطبري، (١/ ٣٧٤).

الزمان أن اليهود ما قدموا إلى المنطقة إلا للسيطرة على الأرض المقدسة التي أسموها (أرض الميعاد)، وما قدموا إلى تلك الأرض إلا للسيطرة على القدس التي اعتبروها (عاصمة المسيح المنتظر) وما أرادوا السيطرة على القدس إلا من أجل استعادة ما أسموه (جبل الهيكل) وهو الأرض التي يقوم عليها الآن المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، وبعد السيطرة عليهما يريدون أن يهدموهما ويعيدوا مكانهما بناء هيكلهم الذي هُدم منذ ألفي عام، ويشارك اليهود في هذا المسعى طوائف كبيرة من النصارى الذين يشتركون مع اليهود في قسم كبير من عقائدهم، على ما يأتي بيانه في تضاعيف هذا الكتاب الذي أحاول فيه لمَّ خيوط تلك المؤامرة الكبرى مع بيان خلفياتها الدينية والتاريخية

هذا، وكنت قد انتهيت منذ نحو خمسة عشر عاماً - تقريباً - من تأليف كتاب (قبل أن يُهدم الأقصى)، ولكنه لم يصدر إلا بعد خمس سنوات من الانتهاء من أكثر فصوله، وذلك عام ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. وقد حاولتُ فيه إبراز تلك الحقيقة، حقيقة الموقع الخطر للمسجد الأقصى في خارطة ما يسمى بـ (أزمة الشرق الأوسط)، وقد تتابع صدور طبعات مختصرة من هذا الكتاب في السنوات التي تلت ذلك.

وظللتُ متابعاً للتطورات التي تتنقل فيها الأزمة بوجه عام، وقضية المسجد الأقصى بوجه خاص، وقد لاحظت تفاعلاً خطيراً وكبيراً في السنوات الأخيرة لمسائل تتعلق بالمسجد الأقصى ومساعي اليهود إلى هدمه أو إزالته بأي وجه من الوجوه، وازدادت وتيرة هذه المساعي مع اقتراب العام ٢٠٠٠م؛ بحيث ظهر أن لهذا العام أهمية خاصة لدى اليهود والنصارى لاعتبارات دينية عندهم تتعلق بدنو آخر الزمان وقرب مجيء المسيح المنتظر في اعتقاد كل من الأمتين الضالتين، فهو

ليس سنة ككل السنين عندهم، بل إنه رمز فاصل لمرحلة زمنية خاصة، ولهذا شهد ذلك العام وما قبله ويترجح أن يشهد ما بعده تفاعلات كبرىٰ لها خلفياتها الدينية، وإن بدا للناس أنها تطورات سياسية.

وقد حَدَتْ بي هذه التفاعلات إلىٰ إصدار كتاب (حمَّىٰ سنة ٢٠٠٠)(١) الذي صدر في أواخر العام ١٤٢٠هـ وقبيل العام ٢٠٠٠م، وقد رصدت فيه عدة ظواهر دينية تقترن ببدء الألفية الثالثة للميلاد، ولكني وقعت في خطأ الافتراض بأن ما سبق أن ذكرته في كتاب (قبل أن يهدم الأقصىٰ) وذكره الكثيرون غيري من الخلفيات الدينية والتاريخية للصراع هو أمر مفهوم لدىٰ الأكثرين من القراء؛ بحيث يبنون عليه ما يُذكر من تفاعلات (العقيدة الألفية)، ولكن تبين خطأ هذا الافتراض من كثرة ما كان يرد من تساؤلات كان المظنون أنها أصبحت من البدهيات؛ لهذا رأيت أهمية الإعادة والإبراز والتكرار لهذه الخلفيات والتفاصيل التي تسهم كثيراً في فهم تداعيات الأحداث وما وراءها.

إن العام ٢٠٠٠م لم يكد ينتصف حتىٰ تفاعلت الحمَّىٰ الألفية اليهودية النصرانية علىٰ نحو خطير أصبح يمثل تحولاً في كيفية إدارة الصراع؛ حيث برز ما كان مخفياً - إلىٰ حدٍ ما - من الدوافع الدينية العقدية لدىٰ الساسة اليهود والنصارىٰ، وإذ قد ظهر هذا فإنني أعُد ذلك فرصة تاريخية للمسلمين لتصحيح مسار الصراع وتحويل مجراه إلىٰ وجهته الصحيحة؛ حيث أدير هذا الصراع دينياً منذ بدأ ولكن من طرف واحد هو طرف الأعداء، أما المتصدرون للصراع من بني جلدتنا؛ فقد أرادوها علمانية حتىٰ النخاع واستسلامية إلىٰ ما تحت القاع؛ ولهذا نفَروا ونفَّروا من كل صوت يدعوهم إلىٰ رفع راية الإسلام في المعركة في مقابل

(١) صدر عن المنتدىٰ الإسلامي بلندن، وطبع ثلاث طبعات في السعودية، وطبعتان في مصر، وطبعة في اليمن، وكانت أغلب فصوله قد نشرت علىٰ حلقات في مجلة البيان.

رفع اليهود والنصارىٰ لرايات ما أسموه (الكتاب المقدس)!

إن هذا الخذلان والتخذيل العلماني الجهول الذي أصر علىٰ نزع الطابع الديني عن المعركة طيلة خمسة عقود؛ هو المسؤول الأول والأخير عن الهزائم والنكسات والانكسارات التي مرت علىٰ الأمة خلال سنيٍّ الصراع حرباً وسلماً، مع أن تلك القضية التي يدور حولها الصراع - قضية بيت المقدس - كان يمكن لها أن تكون عامل توحيد فعلي لشعوب العالم الإسلامي باعتبارها قضية جوهرية مركزية ذات ثقل عظيم وخطر جسيم يدفع كل من يحمل بين جوانحه قلباً موحِداً أن يتفاعل معها؛ ولهذا فإن لها موقعاً متميزاً مقارنة ببقية قضايا المسلمين المعاصرة، علىٰ أهميتها وخطورتها، ذلك أن تلك القضية تتميز بخصوصيات تنفرد بها عن سائر القضايا الأخرىٰ التي لقي بعضها من الاهتمام والتعاطف والحشد أكثر بكثير مما لقيت قضية بيت المقدس.

إن قضية فلسطين، أو بيت المقدس، أو المسجد الأقصىٰ تتميز بخصوصيات تجعلها بحق القضية الأحق بأن تجتمع حولها الجهود، وليس القلوب فقط، وتُحشد لها الإمكانات والطاقات، وليست العواطف والانفعالات فقط، وهذه الخصوصيات هي:

أولاً: خصوصية دينية:

حيث إن قضية بيت المقدس - في جانب كبير منها - قضية دين وعقيدة، لتعلقها بحفظ جناب التوحيد فوق أرض مباركة، ومكان قدسه الله واختاره، وجعله مهبط أكثر رسالاته، ومهجر وموطن أكثر أنبيائه، ومهوىٰ أفئدة أوليائه في القسم الأكبر من عمر الدنيا الماضي، وجعله محور أحداث الدنيا العظام في عمر الدنيا الباقي، وبالنظر إلىٰ قداسة ذلكم المكان؛ فإن مسؤولية الموحدين كبيرة تجاه

تخليصه من سيطرة كفار أهل الكتاب الذين لا يكتفون بتدنيسه؛ بل يهدفون إلى هدمه لإقامة معبد كفري بديل تقام فيه علانية شعائر وشرائع اليهودية المحرفة المنسوخة، فالسماح بإحلال كفر اليهود أو شرك النصارى محل التوحيد في المسجد المبارك هو التفريط بعينه، والجناية بذاتها على حِمَى التوحيد في المسجد الذي بناه بيديه إمام الموحدين وأبو الأنبياء والمرسلين إبراهيم عليه السلام.

ويدخل في الخصوصية الدينية لهذه القضية أنها ترتبط بها تكاليف شرعية وواجبات دينية تلزم أعناق المسلمين فرادى وجماعات ومجتمعات؛ لنصرة من استنصروهم في الدين، فأوجبوا عليهم تلك النصرة عينياً وكفائياً، جهاداً بالنفس والمال. هذا مع ما يلزم المسلمين جميعاً من النفير خفافاً وثقالاً إذا دهم العدو أي أرضٍ للمسلمين، فما الحال إذا كانت تلك الأرض المدهومة ـ منذ نصف قرن ـ هي الأرض المقدسة؟! ومِنْ مَنْ؟... من اليهود أعداء الله وملائكته ورسله وسائر المؤمنين.

ثانياً: خصوصية مكانية:

ذلك لما للمكان محل التنازع من حساسية بالغة، كانت عبر التاريخ مثار صراعات وحروب، حتى إن التاريخ لم يعرف مدينة تواردت عليها الجيوش من مختلف شعوب الأرض، مثلما تواردت على بيت المقدس، وفي عصرنا هذا يتكرر التنازع على الموضع نفسه، فالمكان واحد والأرض المقدسة واحدة، والمسجد المبارك واحد، ولكنَّ المتنازعين كُثر، فلليهودية العالمية أطماعها المستقلة، وللنصارى البروتستانت تطلعهم المنفرد، وللنصارى الكاثوليك نظرتهم الخاصة، أما العرب والمسلمون فلا يعترفون لهؤلاء ولا هؤلاء بحق السيادة على

الأرض المقدسة أو المسجد المبارك، ومن ثم ستظل خصوصية المكان سبباً في أبدية الصراع وديمومة العداء؛ لأن تلك الخصوصية المكانية استُمدت ـ عند أصحاب الديانات الثلاثة ـ من مسلَّمات عقدية؛ فأصبح المكان ميداناً ـ كما كان ـ لجريان سُنَّة التدافع بين الناس.

ثالثاً: خصوصية زمانية:

فقضية بيت المقدس تتفاعل منذ قرن كامل أو يزيد، وهي مرشحة لتفاعلٍ أشد سوف يمتد إلىٰ آخر الزمان علىٰ ما يظهر من استقراء النصوص الدينية لدىٰ أصحاب الديانات الثلاثة، فالأرض المقدسة في تلك النصوص ستكون محور أحداث آخر الزمان، وميدان معاركه وساحة صراعاته، فكل أصحاب الملل الكبرىٰ، وبعض أصحاب النحل الصغرىٰ، يؤمنون بقدوم قادم في آخر الزمان، يختلفون في شخصه، ولكنهم يتفقون علىٰ مكان ظهوره، وهو بيت المقدس، ويتفقون جميعاً علىٰ أن زمان خروجه هو في بداية ظهور أشراط الساعة الكبرىٰ وبعد انتهاء أشراطها الصغرىٰ، علىٰ اختلاف بينهم في تعيين هذه الشروط.

ومن العجيب أن هناك قناعات متزايدة لدىٰ المتدينين من اليهود والنصارىٰ تشعرهم بأننا نعيش بالفعل بدايات هذا الزمان الأخير، وهذا ما يعطي لتفاعلات القضية في مراحلها القادمة طبيعة مميزة ورائحة خاصة، تغلب عليها لدىٰ أهل الكتاب ظواهر الترقب المشوب بالوجل، وصرعات التخوف المستسلم لدعايات الخرافة والدجل، وهذا وذاك من شأنه أن يسهم في حرصهم علىٰ تسريع معدل سير الزمان إلىٰ آخره استشرافاً لأزمنة الخلاص.

أما من الوجهة الإسلامية، فمن دون تحديد لزمن بعينه؛ فإن المسلمين يؤمنون بأن الأرض المقدسة ستكون في موضع صدارة أحداث الزمن الأخير،

فمجمل النصوص الشرعية تدل على ذلك، وتنبئ بأن بيت المقدس سيشهد نزول آخر خلافة على منهاج النبوة، وسيشهد تجمع الطائفة المنصورة في الأمة، المقاتلة على الحق، وسيشهد عودة عيسى عليه السلام، وقيام مملكته الحاكمة بالإسلام، وسيشهد القتال الأخير مع اليهود، والملاحم الكبرى مع النصارى، وسيشهد بيت المقدس أيضاً التجمع الأخير للبشر في أرض المحشر حيث يتفرق الناس بعده إلى منازل وأحداث القيامة الكبرى.

وإذا كان تصارع أهل الأديان الثلاثة حول الأرض المقدسة قد بدأ بالفعل في زماننا هذا على صورة لم تحدث في التاريخ من قبل، وهي الصورة الدينية الصرفة - فلا شك أن هذا يعطي خصوصية زمانية لتلك القضية في مرحلتها المعاصرة، تنفرد بها عن كل قضايا الصراع في التاريخ.

رابعاً: خصوصية عسكرية:

وهي أن تلك القضية تلفها ظواهر عسكرية ذات طبيعة نادرة بل شاذة؛ إذ كيف تُمكَّن دولة اليهود ذات الملايين الأربعة من تحدي أمة من المسلمين تبلغ ملياراً وربع المليار؛ بحيث تعجز دول وجيوش هذه الأمة المليارية عن إيقاف طائفة الأقلية اليهودية عند حدها؟ . . وكيف تمكَّن تلك الدولة العقور من التفوق العسكري الصارخ على جميع الدول العربية المحيطة، وكيف يسمح لتلك الدولة دون سائر دول المنطقة أن تتملك ترسانات أسلحة الدمار الشامل من نووية وكيماوية وبيولوجية، تحت سمع وبصر (الشرعية الدولية)، في حين تُجمِع دول العالم على إبقاء القوة التي تمثل خط الدفاع الأول ضد اليهود - وهم الشعب الفلسطيني - قوة عزلاء شلاء لا تملك في الدفاع عن نفسها إلا الحجارة؟!

والتساؤل هنا لا ينحصر في أداة الاستفهام (كيف) فيقال: كيف؟ . . . كيف

يحدث هذا؟ ولكن السؤال الأهم هو (لماذا؟) . . . لماذا يحدث كل هذا؟ ولماذا (تفاجأ) الجيوش العربية في كل جولة مع اليهود بأنها لم تكن مستعدة لحرب كاملة شاملة مع العدو؟! . . . ولماذا يظل التنسيق العسكري العربي غائباً بعد نصف قرن من بدء الصراع مع (العدو المصيري)؟! و (لماذا) أصبح خيار (الاستسلام) المسمى بالسلام، خياراً استراتيجياً شبه مجمع عليه؟! إنه بلا شك وضع شاذ نشاز يثير الغيظ أكثر مما يبعث على التساؤل.

خامساً: خصوصية سياسية:

حيث لم يعرف العالم المعاصر قضية أعقد من تلك القضية التي تشعبت لتلف بخيوطها كيانات كبرى في العالم. فالحروب بشأن فلسطين والصراعات حولها شغلت العالم طيلة خمسة عقود، ولا تزال تشغله، وتستدرج أطرافاً دولية عديدة للتورط في مسالكها الوعرة وتضاريسها التي قد تقود من يبحث فيها عن سبل السلام إلى التيه في ميادين الحرب؛ فقد تورطت بشكل مباشر في فترة من الفترات كل من إنجلترا وفرنسا، ودخلتا حروباً بسببها، أما الولايات المتحدة؛ فإن الرمال المتحركة من صحاري الأرض المقدسة تأخذ بأرجل الأمريكان للغوص فيها كلما ظنوا أنهم انتهوا منها. إن قضية فلسطين - ولُبها قضية المسجد الأقصى - هي القضية التي أصبحت مشكلتها السياسية علماً على المشكلات؛ بل أم المشكلات في العصر الراهن، إنها (مشكلة الشرق الأوسط)! التي عرفنا متى وكيف بدأت، ولكن لا أحد يعرف متى وكيف ستنتهي في مستقبلها المنظور.

سادساً: خصوصية تاريخية:

فقضية بيت المقدس بالرغم من ضخامتها وخطورتها جاءت في ظرف وهن تاريخي، ووقت تراجع استثنائي لم يشهده التاريخ الإسلامي منذ بدأ، وذلك

الظرف هو: غياب الكيان السياسي الإسلامي العالمي ممثلاً في دولة الخلافة الإسلامية التي كانت حامية تقليدية للشعوب الإسلامية عبر تاريخ الإسلام، وقد تزامن هذا الغياب ـ بشكل لافت ـ مع إطلالة المشروع اليهودي في الأرض المقدسة حيث سقطت دولة الخلافة ـ رسمياً ـ في العام ١٩٢٤م، وأعلنت دولة اليهود ـ رسمياً ـ في العام ١٩٤٨م؛ فلم يفرِّق بين ذاك السقوط وهذا القيام سوى ربع قرن، مع أن الكيان السياسي لليهود لم تقم له قائمة قبل ذلك طيلة عصور الإسلام في ظل دول الخلافة المتتابعة، أي ما يزيد على ثلاثة عشر قرناً، وكان هذا الكيان مفقوداً أيضاً قبل الإسلام بنحو ستة قرون.

وإذا كانت قضية بيت المقدس، قد بدأت فصولها في ظل خصوصية تاريخية سلبية من جهة المسلمين؛ فإنها جاءت في ظل خصوصية تاريخية إيجابية بالنسبة لليهود؛ حيث أصبحت لهم بعد أكثر من ألفي عام دولة في الأرض المقدسة؛ لا بل أصبح لهم تأثير عالمي، واستكبار دولي، أمسى يمثل فصلاً جديداً من (العلو الكبير) وربما الأخير، وهنا تكمن المفارقة التاريخية الكبرى، وهي شغور الزمان من دولة خلافة إسلامية، مع حضور دولة دينية يهودية، في حقبة زمانية واحدة، مما أعطى لقضية الأرض المقدسة في ظل ذلك الوضع القائم خصوصية تاريخية استثنائية انعكست أبعادها بلا شك على طريقة إدارة الصراع بين أطرافها.

سابعاً: خصوصية إنسانية:

فالقضية المعاصرة لبيت المقدس، تشهد مأساة إنسانية ذات أبعاد خطيرة، لم نسمع عن أبعاد مثلها أو قريبة منها؛ حيث لم يَرَ العالَمون شعباً كاملاً يعاني التهجير والنفي والاغتصاب للأملاك والأعراض، مع القتل والأسر وسائر صنوف الأذى، ثم يظل قسم من هذا الشعب مع ذلك في وضع معيشة إجبارية

خارج وطنه، وقسم يعاني حياة ذليلة داخل وطنه؛ بحيث يفرض الواقع الدولي والعربي عليه أن تكون لقمة عيشه رهينة الإرادة اليهودية التي تغلق الحواجز والمدن وقتما تشاء في وجه عمال يضطرون يومياً إلىٰ ما هو أسوأ من أكل الميتة، ألا وهو العمل في بناء المستوطنات وتعمير القرىٰ والبلدان التي يستولي عليها اليهود، لقاء لقمة عيش ممزوجة بمرارة الاضطرار، وحرارة العوز والافتقار. ثم إن إرادة تحدي هذا الواقع المرير، تصطدم كل مرة بواقع أمرّ؛ حيث يفرض علىٰ هذا الشعب أن يحيا أعزل من كل سلاح يمكن أن يدافع به عن نفسه إلا سلاح الحجارة!! . . فأي عصر حجري هذا الذي نعيشه؛ بحيث يُحرم شعب كامل من الدفاع عن دمه وعرضه، فضلاً عن ماله وأرضه إلا من سلاح (الحجارة)؟! ولماذا لم تُمد يد العون لهذا الشعب المقاتل ليقاتل بسلاح، أي سلاح ضد عدو يملك كل السلاح؟! . . من المسؤول عن صنع هذه الحالة البائسة في خصوصيتها من الناحية الإنسانية؟ . . . إن تلك الخصوصية الإنسانية لها بعد آخر لا يقل عن قداسة المكان وتميز الزمان؛ إنه كرامة الإنسان، تلك الكرامة التي جعلها الله للبشر كافة، وللمسلم خاصة، فجعل حرمة المسلم ـ كما قال عمر ـ أعظم عند الله من حرمة الكعبة!

إن تلك الخصوصيات التي تجمعت في تلك القضية الواحدة قضية القدس لجديرة حقاً بأن تجعلها همَّ المسلمين الأكبر وقضيتهم الأولىٰ دون انتقاص أو إرخاص لبقية قضايا المسلمين . وأعود فأقول: إن تلك القضية الجوهرية في واقعها، والمركزية في أهميتها، إنما يمثل المسجد الأقصىٰ منها الجوهر والمركز، فقضيته هي جوهر الجوهر ومركز المركز في مجمل قضايا المسلمين العملية المعاصرة.

لهذا فقد اخترت ـ بعد تردد كثير ـ أن أعبر عن الخطر الذي يمكن أن تتعرض له الأرض المقدسة ـ إذا اغتيل مسجدها المبارك ـ بـ (الكارثة)، فجعلت عنوان الكتاب ـ

في طبعته هذه - بعد إضافات وحذوفات: (قبل الكارثة . . . نذير ونفير).

ولم أقصد بـ (الكارثة) حدثاً جائحاً يمكن أن يخيم على الأرض المقدسة وحدها؛ بل قصدت التحذير من أن ذلك الحدث سيشمل بظلامه - إن وقع - المنطقة العربية بخاصة، والبقاع الإسلامية بعامة؛ فالأمة بأسرها على شفا كارثة حقيقية إذا ما وقع المحذور وهُدم المسجد الأقصى - لا قدر الله -، ووصف (الكارثة) بالرغم من وقعه الثقيل يحكي بحق ما يمكن أن تؤول إليه الأمور لو نفذ اليهود - بمؤازرة من النصارى - ذلكم الحدث الجلل، هذا الذي إن وقع - ونسأل الله ألاَّ يقع - لغيَّر خارطة الصراع كلها، ولقلَب الأوضاع رأساً على عقب، ولأوجد معادلات جديدة يمكن أن تزيد في صعوبة وتعقيد القضية على وجه بعيد عن صالح المسلمين في فلسطين وما حولها.

ففرق كبير - في تقديري - بين أمة تدافع عن مقدسات قائمة موجودة وأمة تحاول استرجاع مقدسات غائبة مفقودة، فالأولى تستجمع قواها لردع عدوها وردِّه عن المساس بالمقدسات الموجودة الحاضرة؛ بحيث تُفهِم أعداءها بأنها ستفرغ كامل بأسها فيمن يهدد هذه المقدسات، وذلك من خلال جهاد سديد عنيد مبني على العقيدة القتالية الإسلامية التي تقوم على إرهاب العدو بإعداد المستطاع من القوة.

أما في الحالة الثانية؛ فإن الحديث عن استعادة مقدسات قد فُقدت سيحتاج إلى محاولات يائسة بائسة، طويلة ثقيلة لكي تستعيد الأمة كامل قوتها لاستعادة كامل أراضيها، ثم إعادة بناء مقدساتها!

هل فكرنا في شكل الجهاد المطلوب من الأمة في أرض الشام؛ لو غدت الشام بلا فلسطين. . أو غدت فلسطين بلا قدس، أو غدت القدس

بلا أقصىٰ . . ؟! هل تأملنا في عسر مهمة تجييش الأمة مرة أخرىٰ حول قضية مركزية كقضية المسجد الأقصىٰ القائم الآن لو فقد هذا المسجد؟!

إن اليهود يحلمون بيوم كهذا، وللأسف الشديد فإن أحوال المسلمين تغريهم بهذا.

إنني أعتقد عن يقين أن مهمة صلاح الدين في تحرير مسرىٰ الرسول ﷺ لم تكن لتكون ممكنة لو لم يكن المسجد الأقصىٰ قائماً في زمانه.

نعم . . مهمة تحرير المسجد الأسير أهون كثيراً ـ علىٰ الرغم من تكاليفها الباهظة ـ من مهمة السعي إلىٰ إعادة بنائه بعد إلغائه أو إفنائه.

ولقد أثبتت أحداث الانتفاضة الأخيرة (انتفاضة الأقصىٰ) في العام ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م أن جماهير المسلمين يمكن لها أن تنتفض، وتعاود الانتفاضة، كلما تعرض الأقصىٰ لمحاولة اعتداء أثيم، فتهب لإنقاذه وردع العدو عنه، أما إذا اغتيل الرمز الجميل . . . وشغر المكان وتغير الزمان، فأي صعوبة وعسرٍ ذلك الذي ستحتاجه محاولات إحياء الموات.

جانب آخر عَنَيْتُ الإيماء إليه بوصف (الكارثة)، وهو أن تلك المنطقة التي نعيشها لو شهدت حرباً أخرىٰ قريبة ـ وهذا هو المترجح الآن ـ فإن تلك الحرب في ظل واقعنا العربي المزري لن تستحق وصفاً آخر ـ والله أعلم ـ غير (الكارثة)! إلا إذا حدثت معجزة، وواقع العرب والمسلمين علىٰ أي حالٍ لا يشجع بتوقع المعجزات والكرامات.

لقد استحقت الحرب العربية الأولىٰ عام ١٩٤٨م وصف (النكبة)، ووصفت الحرب الثانية عام ١٩٥٦م بـ (العدوان الثلاثي)، ووصفت حرب يونيو ١٩٦٧م

بـ (النكسة). أما حرب أكتوبر ١٩٧٣م فأطلق عليها حرب (التحريك) لأنها حركت الأجواء إلى سلام كامب ديفيد الذي أخرج مصر من ساحة الصراع، ثم جاءت حرب لبنان ١٩٨٢م ليحق عليها وصف (حرب الاختبار) لأنها اختبرت نوايا مصر في مدى الالتزام بأحكام كامب ديفيد التي تفرض عليها أن تكون حرب أكتوبر هي آخر الحروب بين العرب وإسرائيل، وكانت اختباراً كذلك لدول (الصمود والتصدي) في مدى صدقها في صمودها، أو تصديها لأعدائها، وهذا ما لم يحدث كما هو معروف. ثم جاءت حرب الخليج الثانية لتكون حرباً بـ (الوكالة) لتدمر أمريكا العراق نيابة عن (إسرائيل).

إنها حروب متتالية في عقود متوالية، تؤكد أن وقوع حرب في كل عقد أمر إسرائيلي لازم وضروري، وهذا ما أسماه (إسحاق شامير) رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بـ (سياسة تقليع الأسنان)، بمعنى: وضع العرب في كل عشر سنين مرة على مقعد خلع الأسنان، لقلع ما نضج نموه منها؛ لهذا فإن حرب العقد الحالي - الحرب السابعة - ستكون إذا وقعت (حرب الكارثة) لأن العرب قد استعدوا وأعدوا لها منذ أكثر من عشر سنوات، وأخذوا بكل الأسباب التي تقود إلى الهزيمة أو إلى (الكارثة)!!

وهذه الحرب - إن وقعت - فلن تكون بعيدة في أسبابها أو نتائجها عن المؤامرة المدبرة منذ عقود ضد المسجد الأقصى.

إنني أقول هذا الكلام المثير للأشجان والأحزان؛ وأنا أعلم عن يقين، بأن حماية المسجد الأقصى لا تزال ممكنة، وأن كف يد اليهود عنه لا تزال فرصتها قائمة، وأن المسلمين الصادقين في المشارق والمغارب قادرون على ذلك لو أخذوا

الأمر بجدية، ولكنَّ استمراءنا لتكرار شريط التفريط، واستمرارنا في السير على درب التخبط والتخليط هو وحده الكفيل بأن يصنع من جيلنا شريكاً بالأصالة في جريمة إخلاء الساحة المقدسة من المسجد المبارك.. وهذه هي الكارثة.. كل الكارثة!

فهل تفلح الأمة في تفادي هذا الخطب الجلل والمنعطف الخطر؛ فتحمي حماها، وتحفظ أقصاها... إن هذا لن يكون إلا بالفداء والجهاد والعمل: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

عبد العزيز بن مصطفى كامل

محاضر سابق بكلية التربية - جامعة الملك سعود

الرياض في ١٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠٠٠م

الفصل الأول

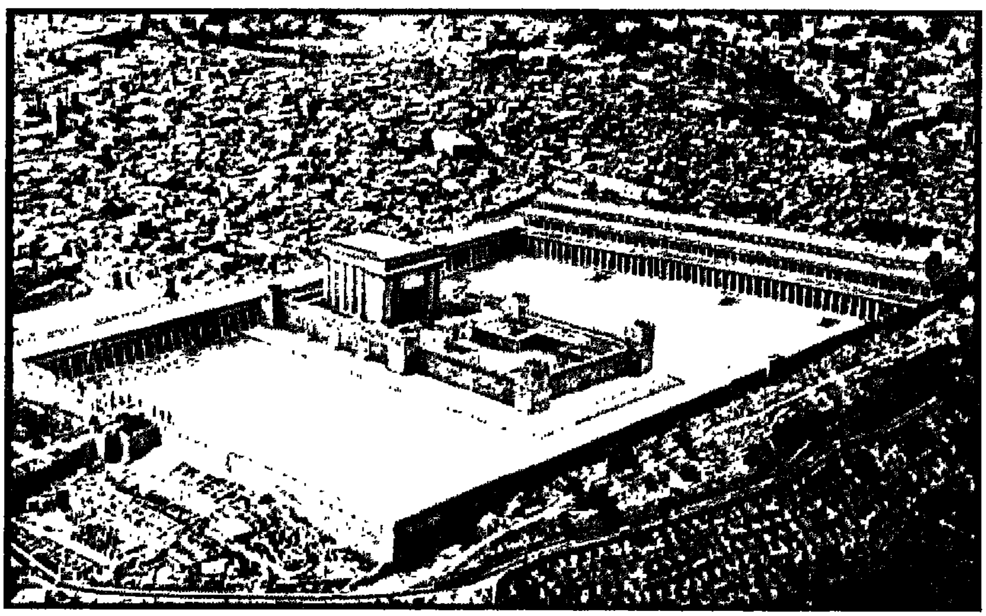
العداء الأبدي

- العدو القديم.
- العدو المعاصر.





واليهود يستهدفون الاثنين معاً



هكذا يريدون الساحة خالية من المسجدين لبناء الهيكل الثالث

العداء الأبدي

١ ـ العدو القديم:

لم يكن من قبيل المصادفة تحذير القرآن الكريم من عداوة اليهود ووضعهم في مقدمة صفوف أعداء المؤمنين في قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، ولم يكن مصادفة كذلك حديث القرآن المتكاثر عن هذا الصنف من الناس بهذا الشكل اللافت؛ حيث شغل الكلام عن بني إسرائيل واليهود حيزاً كبيراً في التنزيل الحكيم مكيِّه ومدنيِّه؛ بحيث ورد ذكرهم تصريحاً أو تلميحاً ومسهباً أو مقتضباً في نحو خمسين سورة من مجموع المائة والأربع عشرة سورة من سور القرآن.

نعم.. لم يكن ذلك كذلك قط، فباليقين هناك سر؛ بل أسرار، وبالحتم ثمة حكمة؛ بل حِكَم من وراء استحواذ اليهود علىٰ كل ذلك الاهتمام، تحذيراً وتنبيهاً، وتوضيحاً وتفصيلاً. ولقد كانت الأحداث المتتابعة أثناء عهد تنزل الوحي كفيلة بكشف أسرار كثيرة، وسبر أغوار عميقة جديرة بأن نقف أمامها طويلاً. فما كاد العهد المكي ينقضي إلا ويجيء العهد المدني كاشفاً بمرور أيامه عن جوانب الحقيقة.. حقيقة العداء اليهودي المتأصل للإسلام وأهله.

فهم بعدما اشتعلت نيران الحقد في صدورهم لما تبينوا أن النبي الذي أُرسل ليس من بني إسرائيل.. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، لما علموا ذلك وهالهم أن تظهر النبوة في غيرهم عادوا لممارسة وظيفتهم الشيطانية التقليدية، وهي إشعال الفتن وإيقاد الحروب، وبث الضغائن وإثارة الأحقاد والعداوات، وهي أمور جلبت اللعنة عليهم على ألسنة الأنبياء والمرسلين. . . ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]. وهم مع ذلك يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه!

وكادت فتنهم تعصف بالمجتمع الإسلامي الوليد في المدينة، لولا أن قيض الله لنيرانهم الخبيثة من يطفئها، وكان ذلك على يد النبي ﷺ في ذلك الحين، وظلوا من بعده يعودون لإيقاد الحروب وبث الفتن، ويعود الله عليهم بمن يطفئ نيرانهم ويوقف مسيرة إفسادهم. . . ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

[المائدة: ٦٤].

ولما بلغ من شعورهم بعزتهم وقوتهم وكثرتهم في عهد النبي ﷺ أن حرَّضوا الناس عليه وعلى أصحابه المهاجرين وأقسموا ليُخرجن الأعزُّ الأذلَّ من المدينة ناسبين العزة لأنفسهم. . لم يجد النبي ﷺ بُداً من التنكيل بهم وإيقافهم عند حدهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين من المنافقين والمشركين الذين ظاهروهم على نكث العهود والمجاهرة بالعداء.

ويدأ النبي ﷺ خلال فصول متعددة في خوض جهاد طويل ضدهم، بدأ الفصل الأول منه في الربع الأول من العهد المدني، ثم استمرت عملية التنكيل بهم إلى أن أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، وأمكن بذلك خضد شوكتهم وفل حدِّهم، وتم إجلاء بعضهم عن القرى الأخرى في الرُّبعين الثاني والثالث منه. وتم على حلقاتٍ تنفيذ سلسلة جهادية مضادة لهم؛ لم يكن ممكناً بدونها أن تستمر

دولة الإسلام الأولىٰ قائمة أو راية التوحيد مرفوعة إلا أن يشاء الله شيئاً . فتم قتل (أبي عفك) الذي كان يحرِّض علىٰ رسول الله ﷺ بشِعره وهجائه، وتم إجلاء (بني قينقاع) بعد أن استهانوا بحرمة الإسلام وحماه، فهتكوا حرمة امرأة مسلمة وكشفوا سوأتها[1]، وتم قتل (كعب بن الأشرف) الذي كان يحرِّض أيضاً علىٰ النبي ﷺ بشِعره ويشبب بنساء المسلمين[2]، وتم إجلاء (بني النضير) بعد أن تآمروا علىٰ اغتيال النبي ﷺ لإلقاء حجرٍ كبير عليه من أعلىٰ بيت كان يجلس أسفله؛ وذلك حين أراد أن يستعين بهم علىٰ دية بعض القتلىٰ عملاً بواجب حلفٍ كان قائماً معهم[3]، وتم القضاء علىٰ (بني قريظة) بعد أن ظاهروا الغزاة الزاحفين علىٰ المدينة جهرةً علىٰ المسلمين[4].

وبالتنكيل ببني قريظة تم القضاء علىٰ يهود المدينة الذين كانوا هم الأقوىٰ والأغنىٰ والأبعد نكاية وأذىٰ وكيداً للإسلام والمسلمين، ولم يبق في المدينة من اليهود إلا أفراد قلائل كانوا مسالمين، ولعلهم كانوا عرباً متهودين فتُركت لهم حرية الإقامة والدين.

ثم التفت النبي ﷺ إلىٰ اليهود الآخرين ممن كانوا خارج المدينة، وكانت لهم أدوار في الأذىٰ والفتنة، فتم قتل (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضيري)[5] في خيبر، بعد أن حزَّب الأحزاب علىٰ النبي ﷺ والمسلمين، ثم تم قتل (أسير بن رازم) وجماعة معه بعد أن اتخذه يهود خيبر أميراً لهم بعد أبي رافع، فاستأنف بعده مهمة تحزيب الأحزاب لحرب المسلمين.

---

(١) انظر البداية والنهاية، للإمام ابن كثير، (٤/ ٤)، طبعة دار الريان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٢) انظر المصدر نفسه، (٤/ ٦ ـ ١٠).
(٣) انظر المصدر نفسه، (٤/ ٧٦ ـ ٨٢).
(٤) انظر المصدر نفسه، (٤/ ١١٨ ـ ١٢٨).
(٥) انظر المصدر نفسه، (٤/ ١٣٩ ـ ١٤٢).

ثم ـ أخيراً ـ تم فتح خيبر والقرى اليهودية الأخرى بعد صلح الحديبية بنحو شهرين[١]، وفتحت حصونهم التي كانت أوكاراً للتآمر، وجحوراً للأفاعي.

ومما حدث أيضاً بعد فتح خيبر وإبقاء النبي ﷺ بعض اليهود فيها على أن يتولوا رعاية بساتينها على نصف الغَلة ـ أن امرأة أحد زعماء اليهود أهدت للنبي ﷺ شاة مشوية، دست فيها السُّم، فلاك شيئاً منها فاستكرهها وقال: «إن هذه الشاة لتخبرني أنها مسمومة»، واستدعى المرأة فاعترفت. ولقد مات من تلك الشاة أحد أصحاب النبي ﷺ وهو (بشر بن البراء)، وظل النبي ﷺ متأثراً بما لاكه منها؛ بل إنه قال ـ في مرضه الذي توفي فيه ـ لأخت بشر: **«إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهري[٢]، من الأكلة التي أكلتُ مع أخيك»**[٣] وكان أصحاب النبي ﷺ يرون أنه مات شهيداً بسبب تلك الشاة[٤].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره عند قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [**البقرة**: ٨٧] «وإنما لم يقل ـ تعالى ـ: وفريقاً قتلتم؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً؛ لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر»[٥].

وابن كثير ـ رحمه الله ـ يشير إلى القصة الآنفة الذكر وما ثبت في قصة لبيد بن

(١) انظر المصدر السابق، (٤/ ١٨٣ ـ ٢٠٥).

(٢) الأبهر هو: عرق مستبطن القلب، فإذا انقطع لم تبق معه حياة ـ قاله ابن الأثير في النهاية، ١/ ١٨.

(٣) رواه أبو داود (٤/ ٥٠) (٢٣) كتاب الديات: باب فيمن سقى رجلاً سماً رقم (٤٥١٢)، وإسناده حسن.

(٤) انظر البداية والنهاية، (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٤).

(٥) تفسير ابن كثير، (١/ ١٢٨).

الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، ووضع ما عمله في بئر حتى دله عليه جبريل عليه السلام، فبعث ﷺ من يقوم باستخراجه منه(١).

وفي الحقيقة أن النبي ﷺ بعد أن وضحت له نوايا القوم البُهت وخبثهم وتآمرهم، لم يتحرك شبراً خارج المدينة في غزو أو فتح إلا بعد أن تأكد أن اليهود قد ضعفت شوكتهم وأصبحوا مشتتين، ومات ﷺ وفي الجزيرة منهم بقايا مستضعفون، وكان ﷺ عاقداً العزم على إخراجهم مع إخوانهم من النصارى من جزيرة العرب، وأوصى بذلك مَنْ بعده فقال ﷺ: **«لأُخرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»**(٢).

وقد تابع المسلمون - بعد زمن النبي ﷺ - إخراج بقية اليهود؛ فأجلوهم من جزيرة العرب نهائياً امتثالاً لأمر النبي ﷺ: **«أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»**(٣)، وتم آخر فصل من هذا الإخراج في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبالرغم من كل ذلك لم يتوقف الكيد اليهودي حتى بعد الشتات؛ بل تتابع بحسب الأحوال والظروف، وبقدر ما تسمح به الثغرات، فلم يتركوا وسيلة يستطيعون بها تسديد ضربةٍ للإسلام إلا انتهزوها، ولم يدعوا سبيلاً للصد عنه إلا سلكوها.

وفي كل مراحل التاريخ الإسلامي لا تكاد تخلو فترة منه إلا ولإفساد اليهود علامات سوداء، في كل مجال يمكن الإفساد فيه، في الفكر وفي السياسة وفي الاجتماع والاقتصاد.

---

(١) القصة في صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب (١١)، والجزية، باب (١٤)، والطب، باب (٤٩، ٥٠)، والدعوات، باب (٥٨).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨) (٣٢) كتاب الجهاد والسير، (٢١) باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (٣).

(٣) أخرجه أحمد، ح(١٨٣٤)، والبخاري (٣٨) الجهاد والسير، ح (٣٨٢٥)، ومسلم كتاب الوصية، ح (٣٠٨٩).

فقد عانت أمتنا التلبيس والدَّس من اليهود الذين نعتهم الله في كتابه بأنهم أصحاب تلبيس ومكر وتدليس، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

درج اليهود منذ اللحظة الأولى على الدَّس في ديننا، عن طريق من دخل منهم في الإسلام نفاقاً، وتتلمذ على أيديهم ـ بعد ذلك ـ صليبيون، وفي خلال القرون المتطاولة دسُّوا ـ مع الأسف ـ في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى التخلص منه إلا بجهد عظيم، فيما يعرف بـ (الإسرائيليات)، ولبَّسوا الحق بالباطل في كل ما نالته أيديهم، اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين، فحفظه بفضله سبحانه على الرغم من محاولاتهم لتحريفه أيضاً[١]. وكان لهم دور بارز في نشوء الفرق الضالة التي شقَّت صفوف الأمة، وكان عبد الله بن سبأ اليهودي مثالاً بارزاً على ذلك[٢].

وإذا كانت تلك ومضات سريعة تلقي ضوءاً على بعض معالم سيرة اليهود مع الإسلام إبَّان ظهوره وحتى انتشاره وانتصاره؛ فإن تلك السيرة الوضيعة لهم مع الإسلام ما هي إلا امتداد للمسيرة الشنيعة لهم مع الأنبياء والمرسلين والمصلحين قبل الإسلام، مما جعل القرآن يتحدث عنهم كثيراً، ويشرح نفسياتهم الشريرة، ويصمهم بأقذع الوصمات، ويصفهم بأشنع وأبشع الصفات، وصماً عادلاً، ووصفاً مطابقاً.

---

(١) تواترت محاولات اليهود لتحريف المصحف الشريف، ومن ذلك ما كُشف في أواخر السبعينيات الميلادية من القرن الماضي، عندما طبعت (إسرائيل) ربع مليون نسخة محرفة من القرآن لتوزع في المناطق الإسلامية النائية والفقيرة، واكتُشف المخطط.

(٢) انظر رسالة (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام)، تأليف: سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض.

وليس حديث القرآن المتكاثر عنهم ـ كما سبق أن ذكرت ـ وليد مصادفة أو نتاج ظروف، بل إن المتأمل في التاريخ لابد أن يكتشف بلا عناء أن أمة اليهود هي بحق أمة متميزة، متميزة بالمكر ترتديه، وبالإثم والسحت ترتضيه، وبالشر والعداء تمتطي صهوته، وبحب العمر الطويل والمال الكثير تستعذب سكرته، وإن أمة من الأمم لم تشهد ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود، وعناد وكنود، وتَنَكُّر للهداية ومقت للمهتدين؛ حتى تأهلوا بجدارة لأن يكونوا محط غضب الله، ومحل سخطه.

كيف لا ؟! وهم المغضوب عليهم الذين يستعيذ المؤمنون ـ إلى يوم القيامة ـ بالله من أن يكونوا مثلهم أو أن يحشروا معهم أو مع إخوانهم من النصارى، وذلك في الدعاء المسطور في فاتحة الكتاب، يقرأه المؤمنون في كل صلاة فريضة أو نافلة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[الفاتحة: ٦، ٧]. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن النصارى لضالون»[١]، فهم المغضوب عليهم لأنهم حُمِّلوا التوراة فلم يحملوها، وهم المغضوب عليهم لأنهم نقضوا العهود ونكثوا المواثيق، وهم المغضوب عليهم لأنهم مثيرو الفتن، ومشعلو الحروب، ومصاصو دماء الشعوب.

وإذا كان قتل النفس البريئة أفظع جرم يُتصور من إنسان ضد أخيه الإنسان؛ فما بالنا بقوم كان ديدنهم قتل الأنبياء. . ؟ .

قَتَل المغضوب عليهم عدداً من أنبيائهم بالذبح تارة، والنشر بالمناشير تارة، وبالوشاية إلى الظالمين والتحالف مع الأعداء تارات أخر، وليس ثَمَّ كفر أشنع

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٧٨)، ورواه الترمذي (٥/ ١٨) (٤٨)، كتاب التفسير (٢) باب سورة الفاتحة، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية، رقم (٨١١).

ولا جرم أبشع من هذه الأفعال الآثمة، فهذا (أشعياء) ـ عليه السلام ـ ينهاهم عن القتل؛ فتكون عاقبته أن يقتل بأيديهم(١)، وهذا يحيى ـ عليه السلام ـ أراقوا دمه على صخرة بيت المقدس لما تورع عن إصدار الفتوى لأحد ملوكهم بنكاح إحدى محارمه(٢)، وذلك زكريا ـ عليه السلام ـ نشروه بالمنشار تقرباً لملكهم ذلك الذي قتل يحيى(٣).

وقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام، وعقدوا العزم على اغتياله، فأنقذه الله منهم ورفعه إليه(٤)، وحاولوا قتل محمد ﷺ فنجاه الله من كيدهم.

أفلا يستحقون ـ بعد كل ذلك ـ أن يُسموا بـ «قتلة الأنبياء»؟ جاء في الحديث: **«قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة؛ فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم،فهم الذين ذكر الله عز وجل»**(٥) أي في قوله ـ تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ **«كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوقُ بَقْلهم في آخر النهار»**(٦) (٧).

---

(١) انظر قصته في البداية والنهاية، (٢/ ٣٠، ٣١).
(٢) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٤٩، ٥٠).
(٣) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٤٨).
(٤) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٨٤ـ٨٨).
(٥) أخرجه الطبري في تفسيره برقم (٦٧٨٠)، والبغوي (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٦١)، وقال محققه: إسناده ضعيف.
(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٣)، وقال محققه: إسناده صحيح.
(٧) يلاحظ أن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا بمثابة العلماء في أمة الإسلام، ولم تكن كثرتهم كرامة لليهود بل دلالة على استعصاء أمراضهم، فكثرت أطباؤهم لذلك.

وكما كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء فيُكثرون ولا يكترثون، فكذلك كانوا يتوسعون في قتل أتباع الأنبياء كما قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، قال قتادة في تفسيرها: «هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكرونهم بالله، فيقتلونهم»(١).

وجدير بهؤلاء القوم أن تصدر منهم هذه الفضائح، بعد أن تطاولت ألسنة السفه منهم على الخالق سبحانه، وتعدت أنفس البغي منهم حدود البارئ جل شأنه، فقالوا على الله ـ عز وجل ـ ظالمين غاشمين ما تعف الألسن عن التلفظ به إلا مسنداً إليهم، فمما حكاه الله ـ تعالى ـ عنهم في كتابه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا .. ﴾ [المائدة :٦٤].

وهذه مقولة أخرى لا تقل فظاعة عن تلك، نعاها الله عليهم ووبخهم بها، وسجلها عليهم معلماً إياهم أنه يعلم سرهم ونجواهم: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وجرائم القوم أكثر من أن تحصى بمقالة، وأكبر من أن تحاكم في هذه العجالة، وخصوصاً إذا امتد بنا الحديث إلى العصر الحديث؛ حيث طمَّ بغيهم وعمَّ فسادهم وأصبح يهدد الجنس الإنساني بأسره بعد أن كان يتهدد الحزب الإيماني على وجه الخصوص.

---

(١) أورده الطبري في تفسيره برقم (٦٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٦٣)، وقال المحقق: إسناده حسن.

إنه لغريب أمر هذا الصنف من البشر المسمىٰ باليهود[1]، وعجيب شأنه، فأنت لا تكاد ترىٰ حركة مخربة أو فكرة ضالة أو دعوة منحرفة إلا وتجد ورائها يهوداً، فأي نفسية تلك النفسية اليهودية؟.. وأي طبيعة وأي جبلة؟!

إننا نجد اسم اليهودي يأتي كتوقيع في ذيل كل فتنة، وختم في نهاية كل مصيبة، وهذا التوقيع أو ذلك الختم يكون تارة معلوماً وتارات مجهولاً، ولكنه في حالات كونه مجهولاً فإنه يكون مجهولاً بالتعيين والتشخيص؛ ولكنه محدد بالقرائن والقياس، حتىٰ لكأن كلمة «مجهول» فيما يتعلق بالجرائم الإنسانية العامة أصبحت ترادف كلمة «يهودي».

ولنستعرض الآن بعضاً من هذه (التوقيعات) اليهودية لنقيس عليها غيرها..

* لقد كان الذي ألّب الأحقاد وقلّب الأحزان علىٰ الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، وجمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم وبين قريش من مكة والقبائل الأخرىٰ في الجزيرة علىٰ محاربة المؤمنين... **يهودي**.

* والذي أثار العوام وجمع الشراذم وأطلق الشائعات في فتنة مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما تلا ذلك من النكبات... **يهودي**.

* والذي كان وراء إثارة النعرات القومية في الخلافة العثمانية، ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال «الدستور» بها في عهد السلطان عبد الحميد حتىٰ انتهت إلىٰ إلغاء الخلافة جملةً علىٰ يد الظالم

---

(١) أطلق اسم (اليهود) علىٰ شعب إسرائيل بعد سقوط مملكتي (إسرائيل) و(يهوذا) واحتلال قورش الإخميني ملك الفرس بلاد بابل، وهيمنته علىٰ أرض مملكة يهوذا، ومنذ ذلك الوقت أطلق علىٰ شعب يهوذا اسم (اليهود) وعلىٰ ديانتهم (اليهودية)، وأصبحت كلمة اليهود تعني كل من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل.

أتاتورك . . . يهودي .

* ومن كان وراء الموجة الإلحادية التي أصبحت ـ فيما بعد ـ قوة ودولة تعيش على دماء المسلمين . . . يهودي .

* ومن كان وراء النزعة الحيوانية التي أصبحت ـ فيما بعد ـ منهجاً تتلوث به عقول الناشئة فيما يصنف تعسفاً بأنه عِلم وتقدم . . . يهودي .

* ومن كان وراء هدم الأسرة وتفكيك الروابط المقدسة في المجتمعات حتى أضحت فئاماً ليس لها خطام ولا لجام . . . يهودي .

* ومن كان وراء نزعة أدب الانحلال ، وموجة التفسخ والاضمحلال في علاقات الأفراد والجماعات . . . يهودي .

* وإن الذي قاد طلائع حركة الاستشراق حتى استشرى فسادها وعمَّ إظلامها وظلمها . . . يهودي .

* بل والذي كان أبرز قادة حركة التبشير (التنصير) التي اضطلعت بالدور التنفيذي لمخططات الاستشراق ، والذي كان يدبر لعملية الغزو التبشيري في ديار الإسلام . . . يهودي .

* وإن الذي وضع البذرة الأولى في مؤامرة العصر المسماة بأزمة الشرق الأوسط . . . يهودي .

وغير هؤلاء وأولئك ، يوجد الكثير من أئمة الكفر وقادة الضلال ممن أفرزتهم هذه الشخصيات تلامذة أو جنوداً أو معجبين أو عملاء ، وهم أضعاف المعلومين من أولاد الأفاعي الأفاكين وسليلي القردة الأفاقين .

إن زمرة المفسدين من الموقِّعين السابقين من أمثال أبي عفك وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وعبد الله بن سبأ . . قديماً، ومدحت باشا وكمال أتاتورك وكارل ماركس وهرتزل وفرويد ودور كايم وجان بول سارتر وجولد تسيهر وصمويل زويمر . . حديثاً، كل هؤلاء وأولئك مع تابعيهم وتلاميذهم في كل عصر ومصرٍ قد صنعوا على أعينهم فتناً عمياء ونكبات ظلماء، ما كان لها أن تُفسد بمثل ما أفسدت لو أن الناس انتبهوا في حينها إلى أن اليهود ينبغي أن يتخذهم الناس أعداءاً كما اتخذوا هم الناس أعداءاً عندما قسموا البشر إلى قمسين : «يهود»، و«جوييم» أي كفار عوام ما خلقوا إلا لخدمة اليهود، فليسوا بشراً إنما خلقوا على هيئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود، وهؤلاء الجوييم على اختلاف مللهم وتباين دياناتهم هم في نظر اليهود أعداء الله منشأً ومصيراً، في حين أن اليهود في نظر أنفسهم هم أبناء الله وأحباؤه أولاً وأخيراً.

وإذا كان الحقد الأسود قد اتسع في صدورهم ليشمل كل أصناف البشر من غير اليهود؛ فإن هذا الحقد قد تركز وامتقع وانعقد ليصب غالب مرارته على الأمة الإسلامية، فهي العدو الأول لليهود منذ وُجدت وظهر أمرها؛ فقد سبقت عداوتهم لنا - أمة الإسلام - كل عداوة، وفاقت أزمتنا معهم كل الأزمات استحكاماً وتمكناً وضراوة.

ولعل من العوامل التي أجَّجَت في صدورهم نيران الحقد ضدنا الأمور الآتية :

أولاً : الأمة الإسلامية فاجأت اليهود من بني إسرائيل بأنها الأمة البديلة المصطفاة، فقد أنزلت اليهود من فوق كرسي الريادة والقيادة للبشر هداية وإرشاداً

لتقتعده إلى الأبد، تاركة اليهود يتقاسمون بظلمهم الغضب واللعنة والطرد.

ثانياً: كتاب هذه الأمة هو أوضح وأفصح كتاب فضح اليهود، وكشف سوآتهم وعرَّى مخازيهم، فأهال التراب على عهدهم البائد؛ لتبدأ الإنسانية بعدهم عصراً جديداً في ظل كتاب معصوم، وهذا الكتاب مع ذلك خالد باقٍ لا يستطيعون مصادرته ولا تحريفه.

ثالثاً: رسول هذه الأمة ﷺ كان أثبت الرسل فؤاداً وأمضاهم جهاداً في مواجهة شرور اليهود، وهو أكثرهم نيلاً من تصلب رؤوسهم وإذلالاً لكبرياء أنوفهم. هذا مع كونه ليس منهم ولا من سلالتهم، بل أُغلق باب النبوة من بعده دونهم ودون غيرهم.

رابعاً: علماء هذه الأمة هم أفضل الناس في محاجة اليهود وأفصلهم في مناظرتهم، وهم أكثر الناس تعقباً لباطلهم في التآليف والتصانيف.

خامساً: جند الإيمان في هذه الأمة هم الأقوى عزيمة والأنكى شكيمة في القتال مع اليهود، إذا ما توفرت لهم أسباب الجهاد الشرعي. فلا قِبَل ليهودي بمجابهة أولياء الله المؤمنين إذا ما تكافأت الظروف وتلاءمت الأحوال. وهذه حقيقة عرفها اليهود قديماً وحديثاً.

سادساً: اكتشف اليهود أن هناك تضاداً بين وجود الإسلام في دولة قوية ووجود اليهودية في دولة قائمة، فكان سعيهم الدائم وجهدهم الدائب لهدم الخلافة الإسلامية والحيلولة دون أية إمكانية لإعادتها.

سابعاً: أطماع اليهود وآمالهم صادفت مواقع مملوكة للمسلمين، وأماكن مأهولة بالمسلمين، ففي بيت المقدس قبلتهم وهيكلهم، وفي فلسطين اختاروا

دولتهم، وفي أراضي النيل والفرات محط أطماعهم، فتطلب ذلك منهم قبل تحقيق أغراضهم وأثنائها وبعدها، أن يشحنوا قلوبهم ببغضنا، ويشحذوا سلاحهم لقتلنا، ويعدوا العدة للقضاء علينا وإلا فلا دولة ولا حدود ولا هيكل ولا تلمود.

هذه الأسباب اجتمعت ليكتمل بها حقد القوم علينا وليصل بها كامل أذاهم إلينا، ولهذا فنحن أشد أعدائهم عليهم وأبغضهم إليهم. أما نحن - المسلمين أمة الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ - فإن اليهود أيضاً أشد الناس لنا عداءً وأكثرهم جفاءً. لأن ديننا كشف لنا عن عدائهم للحق أينما حل وحيثما وجد.

وإننا لنجد وصف العداوة لاصقاً باليهود في آيات كثيرة من كتاب الله، حتى كأنهم ورثوا عن إبليس عداوته المطلقة لكل خير.

* إنهم أعداء الله، وأعداء الملائكة؛ ولهذا اتخذهم الله - عز وجل - أعداءً. قال - جل شأنه -: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٩٧، ٩٨].

* واليهود أعداء الأنبياء والرسل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

* واليهود أعداء المؤمنين: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[النساء: ٤٥، ٤٦].

* واليهود أعداء البشر جميعاً: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

* بل اليهود أعداء أنفسهم!! : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

ـ وقال ـ سبحانه ـ : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ـ وقال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

[الحشر: ١٤].

ولا شك أن قوماً حازوا هذا النصيب الوفير من العداء لله وللملائكته ورسله، وللمؤمنين، وتجاوزوا ذلك إلىٰ العداء لأنفسهم ـ لا شك أنهم قد تأهلوا بجدارة لأن يكونوا العدو الأول لنا نحن المسلمين.

فكان لابد لنا ـ ديناً ـ أن نتعرف علىٰ هؤلاء الأعداء، وندرس أحوالهم الماضية والحاضرة، حتىٰ نكون علىٰ بينة من أمرنا معهم.

فالقوم هم في مقدمة أعدائنا، ونحن كذلك في مقدمة أعدائهم، ولا عجب إذن أن يكون القسط الكبير من حديث القرآن عن الأعداء متعرضاً لهم ومتكلماً عنهم.

ويمكننا الآن أن نتلمس بعض الحِكم والأسرار من وراء ذلك التفصيل القرآني في ذكر أحوال بني إسرائيل، وقد أشار إليها الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ

وأنقلها عنه بإيجاز مع إضافة ما أرىٰ ضرورة إضافته .

يذكر الأستاذ سيد قطب[1] من هذه الأسباب ما يأتي :

أولاً : «ظهر من القرآن ومن السيرة أن اليهود هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد أولاً في المدينة ، ثم في الجزيرة العربية كلها ، فاحتضنوا النفاق والمنافقين ، وحرضوا المشركين وتآمروا معهم علىٰ الجماعة المسلمة ، كل ذلك قبل أن يسفروا بوجوههم في الحرب المعلنة الصريحة ، فلم يكن بدٌّ من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف مَنْ أعداؤها؟ ما طبيعتهم؟ وما وسائلهم؟ وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟» .

* ولعلي أضيف فأقول : إن كشف اليهود المشار إليه ، ما جاء في القرآن لظرف جيل واحد قد انقضىٰ ، وهو جيل الصحابة ؛ لأن القرآن يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة ، والتوجيه المفصل فيه عن اليهود بهذا التركيز لا بد أنه سيخدم مراحل وعهوداً تالية لعهد الصحابة ، سيأخذ فيها الصراع مع اليهود أبعاداً أخرىٰ .

فيمكنني أن أقول : إن تلك الإيضاحات المذكورة عن اليهود في القرآن ينبغي أن تطرح علىٰ جيلنا هذا في صراعه معهم ، وكذلك علىٰ الأجيال القادمة ، فتعاد الأسئلة نفسها التي من أجلها كشف القرآن للجماعة المسلمة الأولىٰ أبعاد التآمر اليهودي لتعرف الجماعة المسلمة في عصرنا وبعد عصرنا : من هم أعداؤها؟ وما طبيعتهم؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم؟ وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟ .

(١) انظر معركتنا مع اليهود ، ص(٣٤ : ٣٧) ، دار الشروق .

ثانياً: « . . . أن بني إسرائيل هم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير[1]، وقد امتد تاريخهم قبل الإسلام فترة طويلة، ووقعت منهم الانحرافات المختلفة، فاقتضى ذلك أن تُلم الأمة المسلمة - وهي وارثة الرسالات كلها - بتاريخ هؤلاء القوم؛ لتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة في حياة بني إسرائيل؛ لتضم هذه التجربة إلى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد».

* وأضيف: إن هذا يتضح جلياً من الأحاديث التي يحذر فيها الرسول ﷺ من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل (من يهود ونصارى) من المخالفات والافتراق في الدين؛ مبيناً أن من هذه الأمة من سيسلك مسلك بني إسرائيل خطوة خطوة.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « **تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[2].

وحذر ﷺ من سلوك سبيل بني إسرائيل في الإفساد، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»[3].

---

(١) على اعتبار أن عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بني إسرائيل أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٢٥) (٤١)، كتاب الإيمان (١٨) باب ما جاء في افتراق الأمة، حديث رقم (٢٦٤٠)، وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه (٢/ ١٣٢١) (٣)، كتاب الفتن (١٧) باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١).

(٣) رواه الترمذي في نفس الكتاب والباب السابقين، حديث رقم (٢٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٤٨).

ثالثاً: «. . . أن تجربة بني إسرائيل ذات صحائف شتىٰ في المدىٰ الطويل، وقد علم الله أن الزمن حين يطول علىٰ الأمم تقسو قلوبها وتنحرف أجيال منها، وأن الأمة المسلمة التي سيمتد تاريخها حتىٰ تقوم الساعة ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بني إسرائيل؛ فجعل أمام هذه الأمة وقادتها ومجددي الدعوة في أجيالها الكثيرة نماذج حية من العقابيل التي تُلم بالأمم، يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته»(١).

* وأضيف أيضاً: إن أمة بني إسرائيل كما كان لها جذور في الماضي القديم، فإن لها كذلك امتداداً واستمراراً في الحاضر والمستقبل يناظر حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ويوازيه، بل إن اليهود ـ وكذلك النصارىٰ ـ هم من الأمم التي علم الله ـ تعالىٰ ـ أنها ستبقىٰ مع بقاء الأمة المسلمة مناوئة لها ومعادية لدينها، ويدل علىٰ ذلك ما ثبت في أحاديث الملاحم وأحاديث القتال بين اليهود والمسلمين قبل قيام الساعة، وكون اليهود هم أكثر أتباع الدّجال الذي ستقاتله الطائفة المنصورة من هذه الأمة عندما يخرج.

فكما كان اليهود في بداية الإسلام سيفاً مسلطاً عليه؛ فإنهم ظلوا كذلك بعد مرور القرون الطوال وحتىٰ عصرنا هذا وما بعد عصرنا هذا؛ ولذا كان لابد من استمرار التوجيه والإرشاد والتنبيه ما دام الصراع مستمراً. وكما كان الصحابي يتلو قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا..﴾ [المائدة: ٨٢]، فيعرف منه مَنْ يضع في مقدمة الأعداء، فكذلك كان يتلوه التابعي وتابع التابعي ومن جاءوا بعدهم، كلٌ في عصره وفي ظرفه، وكان أشد الناس عداوة لهم أيضاً في كل العهود اليهود والذين أشركوا، وكذلك تلاها

(١) معركتنا مع اليهود ص ٣٨.

أصحاب القرون بعدهم، حتى جاء عصرنا فتلوناها ـ وهي خبر لا يقبل النسخ ـ وعلمنا من الآية أن أشد الناس عداوة لنا: ﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، وسيتلوها أبناؤنا من بعدنا وأحفادهم من بعدهم إلى يوم القيامة، فما دمنا وداموا فالصراع صراع وجود ليس بزمان محدود.

٢ـ العدو المعاصر:

بالرغم من أن الحركات الإسلامية كانت ولا تزال ضعيفة الإمكانات، مغلولة الأيدي مقيدة الإرادة فيما يتعلق بالاستعداد للمواجهة الحتمية مع اليهود في المنطقة، إلا أن اليهود ظلوا يتعاملون مع هذا التحدي المحيَّد على أنه خطر عظيم جسيم، وكان اليهود دائماً يُهوِّلون من خطر الإسلاميين في البلدان المحيطة بهم، ويبثون الدعايات والوشايات، بل ويدبجون المؤامرات لإيقاعهم في حبائل المواجهة المستمرة مع أنظمتهم؛ لأنهم يعلمون أن ما أسموه (الخطر الإسلامي) هو الخطر الحقيقي الوحيد على كيانهم على المدى البعيد، والمراقب لسياسات اليهود منذ أن وطئوا أراضي المنطقة، وأقاموا دولتهم، يلحظ لأول وهلة، أن هناك رعباً حقيقياً من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، حيث يظل بروز حركات إسلامية لمجاهدتهم هاجساً مؤرقاً ومقلقاً؛ ولهذا فهم يبذلون دائماً كل الجهود الممكنة المباشرة وغير المباشرة لاحتواء هذا الخطر المستقبلي.

ومنذ الأيام الأولى للصدام مع العرب، كان الهاجس اليهودي من خطر الإسلام حاضراً، فعندما بدأ هجوم عصابات اليهود لاغتصاب أرض بيت المقدس عام ١٩٤٨م وبدأت الحركة الإسلامية في مواجهة ذلك الخطر، سارع سفراء بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر إلى التدخل لدى ملك مصر في ذلك الوقت (الملك فاروق)؛ ليشيروا عليه بتوجيه ضربة شديدة للحركة الإسلامية في مصر ممثلة آنذاك في جماعة الإخوان المسلمين؛ فصدرت الأوامر بمحاصرة معسكرات المجاهدين في جبهة القتال، وجردوهم من أسلحتهم، ثم نُقلوا إلى المعتقلات والسجون، ليجدوا أحداثاً أخرى قد سبق وقوعها في مصر قبل عودتهم، وجدوا قراراً قد صدر بحل جماعة الإخوان المسلمين، واعتقال العديد

من أعضائها، وكان قرار الحل في مساء ٨ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٤٨م، ثم أعقب ذلك اغتيال الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ مساء ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩م في عيد ميلاد الملك فاروق.

وبعد أيام قلائل وضحت الخلفيات الباعثة على تلك الأحداث.. إن معاهدة (رودس) مع اليهود كانت مطبوخة، وعمل اليهود وعملاؤهم على تهيئة الجو قبل إبرامها مع الملك فاروق في ١٤ من شهر فبراير (شباط) ١٩٤٩م، وكان تدخل سفراء بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر لدى الملك لتوجيه تلك الضربة تحركه أصابع اليهود، وفي (فايد) صدر عن هؤلاء السفراء قرار الحل.

وعمل اليهود وأشياعهم أثناء السنوات التي تلت تلك الأحداث على وأد أي نبتة إسلامية ناشئة، فهؤلاء يدرسون ويخططون، وأولئك يعملون وينفذون.

إن مؤتمرات تعقد، ودراسات تعد، وبحوثاً تجمع لغرض واحد وهو: كيف يُقتل الوليد في مهده قبل أن يستوي عوده ويصبح فتىً يافعاً ثم رجلاً قوياً، يرد الكيد ويصد العدوان؟

عُقد مؤتمر في بداية شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٧٧م نظمه معهد (ترومان) الأمريكي، وكلية (الدراسات الإسلامية) في الجامعة العبرية! وكان الهدف من المؤتمر دراسة النشاط الإسلامي في آسيا، وشارك فيه ما يقرب من ٣٠ خبيراً من أمريكا وكندا وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان والفليبين واستراليا؛ وأشرف على المؤتمر البروفيسور اليهودي (برافي يسرائيل)؛ فماذا عساهم أن يبحثوا أو يخططوا بإشرافه؟!

ولا ينسى الإسلاميون أمر الوثيقة التي أعدها البروفيسور (ريتشارد ميتشل) والتي نشرت مجلة الدعوة المصرية قصتها ونقلتها عنها مجلة المجتمع الكويتية[1]. تلك الوثيقة التي تسربت وُجهت فيها النصائح إلى بعض الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط ومصر بالذات لكيفية مواجهة الحركات الإسلامية وإجهاضها أولاً بأول.

ويمكن لمن تتبع الأحداث المعاصرة للحركة الإسلامية، أن يستنتج علاقة مريبة بين الضربات الموجهة لتلك الحركة، وبين أمور تعد في الخفاء لها صلة مباشرة بمصالح اليهود ومخططاتهم في المنطقة، ونأخذ مصر مثالاً ونموذجاً.

* فكما كان اعتقال طلائع المجاهدين من الإخوان وقتل مرشدهم، وحل جماعتهم صفقة ممهدة لعقد اتفاقية (رودس) بين اليهود وحكومة النقراشي في عهد فاروق، كذلك تم إعدام عدد من قادة تلك الحركة وخاصة الذين شاركوا في جهاد اليهود عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م.

* وفي سنة ١٩٥٦م أُلقِيَ الألوف من أبناء الحركة الإسلامية في أعماق السجون لتتقدم إسرائيل سنة ١٩٥٦م، وتحتل حتى قناة السويس.

* في ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٦٦م تم إعدام سيد قطب ـ رحمه الله ـ ونفر من أصحابه، والحكم على بقية رفاقه بأحكام طويلة متفاوتة.. وتتقدم إسرائيل في ساحة خالية خاوية بعدها بشهور وتهزم ثلاث دول عربية، في وسط جوٍ مظلم من إرهاب الحكومات للإسلاميين وقتها، ومعروف أن سيد قطب ـ رحمه الله ـ كان يرى ضرورة قيام حركة إسلامية خالصة لتحرير ما اغتصبه اليهود من أرض

(١) في عدد المجتمع ٧٨٩.

بيت المقدس، وكتابه (معركتنا مع اليهود) معروف في ذلك.

* في السبعينيات الميلادية، وقبل معاهدة الصلح التي عقدها السادات مع اليهود، تم توجيه عدة ضربات مركزة للحركة الإسلامية على فترات متقطعة، وجاءت هذه الضربات على شكل عدة قضايا كان الإعلام يُهوِّل من شأنها، وتعقد لها المحاكم العسكرية لتعطي انطباعاً عاماً لدي الشعب بأن التوجه الإسلامي مصيره أسود، وبخاصة إذا تدخل في سياسة الدولة العليا المتعلقة بالصلح مع إسرائيل. وصدرت عدة أحكام بالإعدام وبالأشغال الشاقة المؤبدة وغيرها، وكان هذا الكم الضخم من القضايا والإجراءات والأحكام يتلاءم مع ضخامة ما حدث في نهاية ذلك العقد ابتداءاً من عام ١٩٧٧م إلى ١٩٨٠م من سلسلة مؤامرات أعدها اليهود وأعوانهم، من بينها معاهدتا كامب ديفيد والصلح المنفرد مع إسرائيل.

* وفي بداية الثمانينيات جمع السادات قادة وأعضاء الحركات الإسلامية على اختلاف اتجاهاتها في السجون والمعتقلات لمجاهرتها بمعارضة تطبيع العلاقات مع اليهود، والله وحده يعلم ما الخطوة التي كان ينوي السادات الإقدام عليها بعد هذا الإجراء الصارخ؛ ولكن الأمر المجزوم به أن ذلك الإجراء إنما جاء تحقيقاً لرغبة جامحة لدى اليهود في التعجيل بجمع معارضي السلام معهم في ساحات السجون وأقبية الزنازين.

أدلى مناحيم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بتصريح صحفي تناقلته وكالات الأنباء، قبيل اختتام زيارته التي قام بها للولايات المتحدة، في أواخر شهر أغسطس (آب) ١٩٨١م جاء فيه: «إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة كامب ديفيد وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء على الحركات المتعصبة

الإسلامية في مصر بشكل خاص»، واستطرد قائلاً: «إن صديقي السادات أبدئ اهتماماً شديداً بما قدمته له من (وثائق) تدين المتطرفين المسلمين بالعمل ضد اتفاقيات كامب ديفيد، وتدينهم بعرقلة عمليات تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وأكدتُ له بدوري أن إسرائيل لا تريد أن تكتفي بسماع تصريحات مُطَمْئِنة، ولكنها تريد إجراءات حازمة وعنيفة لتأديب قادة هذه الحركات وإيقافهم عند حدهم، وبخلاف ذلك، فإن إسرائيل ستظل تنظر بريبة وشك إلىٰ مستقبل اتفاقيات السلام مع مصر»، واختتم تصريحه قائلاً: «لقد كان صديقي السادات عند حسن ظننا به؛ إذ لم أكد أغادر مصر عائداً إلىٰ إسرائيل حتىٰ بدأ حملة عنيفة لمحاربتهم، وإنني أتمنىٰ له النجاح والتوفيق من كل قلبي. . »(١).

* وفي ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م تم تنفيذ حكم الإعدام في قتلة السادات الذي تورط في صراع مع الإسلاميين نزولاً علىٰ نصيحة بيجن. وجاء التنفيذ في توقيت مريب، وهو موعد الاستقبال الرسمي لـ(شارون) السفاح الإسرائيلي مرتكب مجازر صابرا وشاتيلا؛ لعل اليهود يهدأون ويطمئنون علىٰ مستقبل أوليائهم في المنطقة! وعلىٰ مستقبل أعدائهم أيضاً!

وقد حرص أعداء الإسلام من أولياء اليهود علىٰ أن يهيئوا لهم أولاً بأول ساحة خالية من أي حضور إسلامي مؤثر، ليس في مصر وحدها بل في معظم البلدان المحيطة بالكيان اليهودي، ولا شك أن المسلمين الصادقين كانوا هم قبل غيرهم الغاية المستهدفة. وتكفينا نظرة عامة علىٰ ما يحدث لمنظمة (حماس) علىٰ أيدي منظمة (التحرير) التي تعهدت في أوسلو وما بعدها بـ(تحرير) فلسطين وما حولها من المجاهدين!!، لتبقىٰ لقمة سائغة لليهود الملعونين.

---

(١) التصريح نشرته الصحف في حينه، وخاصة الصحف الكويتية.

ويجب أن نتذكر أنه قد وجد طيلة العقود الثلاثة الماضية تناسب طردي بين زيادة التوجه لدى بعض الأنظمة العربية إلى الصلح مع اليهود، وبين الإجهاض المتجدد للحركات الإسلامية فيها، وهذا يبين لنا أن قراراً ما قد اتخذ من جهات ما، لوأد تلك الحركات أولاً بأول حتى لا يشتد عودها يوماً وتقف ضد الاستسلام لليهود تحت أي مسمى. وهو ما سماه بعض الطواغيت: (سياسة الإجهاض المبكر) في عقد الثمانينيات، وسماه آخرون: (سياسة تجفيف المنابع) في التسعينيات.

فالحركة الإسلامية التي ضُربت في مصر في بداية الثمانينيات على يد ولي اليهود الظاهر؛ ضُربت وبطرق أشد على يد أوليائهم في الباطن في بلدان عربية متعددة. فقد ضُربت في سوريا بطريقة أشد وأعتى من الطريقة التي ضربت بها في مصر، وسوريا يُفترض أنها الجبهة الثانية ضد إسرائيل، يحدث فيها هذا لتقر أعين اليهود وهم يرون الألوف من أهل السنة في سوريا يساقون إلى الموت أو السجن أو النفي.

وتمتد الأذرع الطويلة لتنال الحركات الإسلامية ـ مسالمة وغير مسالمة ـ في بقية البلدان العربية؛ فتُضرب في الثمانينيات في المغرب وفي الجزائر وفي تونس وفي ليبيا على فترات متقطعة وبأسباب مفتعلة مختلفة، فلما جاء عقد التسعينيات وحاولت بعض تلك الحركات رد الصاع بجهاد الدفاع كان ما كان مما يعرفه الجميع، وتحقق ما يريده اليهود من تقاتل الأمة مع بعضها، وانشغالها بنفسها عن مجاهدة عدوها، بل انشغال النظم بمصالحة العدو الحقيقي، ومكافحة عدو مصطنع. وقد كان من المفارقات العجيبة طيلة عقد التسعينيات أن يرتفع شعاران لدى أكثر الأنظمة: شعار (التطبيع مع إسرائيل) وشعار (مكافحة التطرف)!!

ولسنا في حاجة لأن نسأل: لحساب من كل هذا؟! فأصحاب الحساب معروفون، ومن يتقاضون الحساب معروفون، والموجِّهون معلومون، والموجَهون أيضاً معلومون.

نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) الإسرائيلية في ١١/ ٣/ ١٩٧٨م مقالاً جاء فيه: «إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة: هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد؛ ولهذا يجب ألاَّ نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا تلك في استمرار منع استيقاظ الروح الدينية بأي شكلٍ وبأي أسلوب؛ ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا».

ونسجل هنا - بكل أسف - أن كثيراً من الحركات الإسلامية طيلة العقود الماضية تشاغلت عن المعركة الحقيقة التي شنها اليهود وأولياؤهم بمعارك جانبية استنزفت الطاقات واستنفدت الجهود، واستدرجوا إلى صدامات بلا طائل وتضحيات بلا مقابل.

إن اليهود لا يقفون في الساحة وحدهم ضد الحركات الإسلامية التي تحاول النهوض من كبواتها، فإلى جانب مظاهرة أولياء اليهود من المتسلطين على العالم العربي والإسلامي.. يقف المارد الأمريكي النصراني معلناً مؤازرته ومعاونته ضد كل حركة إسلامية مؤثرة، والأمريكيون لا يبخلون ببذل النصح وإسداء المشورة إذا كان الأمر يتعلق بالقضاء على أتباع محمد ﷺ.

تقول اليهودية الصهيونية (مادلين أولبرايت) في وشاية واضحة بالحركات

الإسلامية: «إن إدارة الرئيس كلينتون تعتزم بذل كل ما بوسعها لدحر (الخطر الثلاثي) المتمثل في دول وتنظيمات إرهابية وشبكات متطرفين - تمتاز بحرية في الحركة»، وقالت: «إن نوعاً جديداً من المواجهة يلوح بينما القرن الجديد يبدأ»، وأضافت: «من المحتمل أن يتجنب خصومنا ميادين القتال التقليدية، وقد يلجأون بدلاً من ذلك إلى أسلحة الدمار الشامل»، ثم أعلنت في كلمتها التي ألقتها أمام الكونجرس الأمريكي في ٤/ ٢/ ١٩٩٩م، عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد لخمس سنين لمواجهة (جماعات التطرف)، وخصصت له الإدارة الأمريكية ٥٠ بليون دولار، وقالت: «إن الخطة الخمسية تمثل مجرد بداية»[1] وفي الحقيقة إن هذه لم تكن هي البداية كما ذكرت شمطاء صهيون، ولكن الخطة بل الخطط ترتب منذ سنوات طويلة، ومنذ سمع العالم عما أُطلق عليه (الصحوة الإسلامية).

فقد نشرت جريدة (الهيرالدتريبيون) في عددها الصادر في ٨ أكتوبر سنة ١٩٨٤م مقالاً من إعداد «آموس بيرل منز» تحت عنوان: (استراتيجية لاحتواء الحرب الإسلامية المقدسة) اشتملت على ثلاثة جوانب:

أولاً: التصور الأمريكي للحركات الإسلامية.

ثانياً: التكتيك الذي يجب أن يتبع في محاربتها.

ثالثاً: الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع تلك الحركات.

والتصور الأمريكي للحركات الإسلامية كما حددته تلك الرسالة هو:

١ - هناك حرب إسلامية يشنها إسلاميون بدائيون ومتعصبون في العالم

(١) صحيفة الحياة، (٦/ ٢/ ١٩٩٩م).

الإسلامي والعربي ضد الغرب، وضد المسيحية والرأسمالية الحديثة والصهيونية في آن واحد.

٢ ـ الحرب لا تفرق بين رأسمالي وشيوعي أو أمريكي وروسي.

٣ ـ هناك أنظمة من مصلحتها مد هذه الحركات ومساعدتها.

ثم حددت الدراسة استراتيجية الاحتواء والقمع التي يجب الأخذ بها كما يأتي:

١ ـ حرب الإسلاميين هدف عاجل لا يقبل التأجيل.

٢ ـ الحرب ضدهم يجب أن تكون على المدى القصير (أي سريعة)، ولها الأولوية.

٣ ـ يتحتم أن تشمل الحرب الحركات الإسلامية في كل دول العالم الإسلامي.

أما التكتيك المقترح اتباعه؛ فتنص المقالة على أنه يشمل ما يأتي:

١ ـ لا مانع من استخدام أسلوب الاغتيال أو القتل عند الحاجة؛ وذلك بإعداد وحدات خاصة مدربة على ذلك.

٢ ـ دعم الأنظمة التي يتهددها نشاطات وحركات إسلامية.

٣ ـ استعمال وسائل التجسس في رصد أنشطة الحركات الإسلامية.

٤ ـ عزل رجال الدين المتشددين سياسياً؛ على شرط أن يكون دعم الأنظمة مقابل تعاونها مع الولايات المتحدة في عملية العزل هذه[1].

---

(١) تأمَّل التنفيذ العملي لهذه السياسات في السنوات التي تلت هذا التقرير.. وتعجب!

ولقد جسد الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) ـ في اختصار ـ مشاعر الغرب الصليبي تجاه المد الإسلامي في الشرق الأوسط فقال: «إن الخطر الذي تتعرض له منطقة الشرق الأوسط الآن ـ لا يأتي من قبل الثورة الشيوعية؛ بل يأتي من قبل التوجه الديني المتزمت هناك». وقد سُبق نيكسون بإخوان له يهود ردَّدوا ما يدل على نفاد صبرهم من تجدد الحركات الإسلامية التي تهدد اليهود بالخطر.

قال (ديفيد بن جوريون): «نحن لا نخشى خطراً في المنطقة سوى الإسلام..»، وبعده قال (ديان) في خطاب ألقاه أمام وفد من الأمريكيين اليهود في شهر يناير (كانون) الثاني ١٩٧٩م: «إن على الولايات المتحدة والدول الغربية أن تأخذ العبرة من أحداث إيران التي تمخضت عن اندلاع ثورة إسلامية بشكل لم يكن متوقعاً قط، وإن دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة عليها أن تعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل، باعتبارها خط الدفاع الأول عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورات الإسلامية التي بدأت في إيران، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أي منطقة أخرى من العالم الإسلامي..».

أما شمعون بيريز الذي كان يمثل دائماً (الحمائم) في الأحزاب اليهودية فقد قالها بصراحة: «إن البقاء مستحيل لندَّين لن يلتقيا ولن يتصالحا» وقال: «إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد». وقد كتب مقالاً لصحيفة (ها آرتس) الإسرائيلية في ١٧/ ١/ ١٩٩٧م جاء فيه: «إن الشرق الأوسط يقف عند مفترق طرق خطير، لا شيء فيه يمكن أن يبقى كما كان، الوضع يتغير بسرعة، وعلينا أن نختار بين التحول باتجاه سلام يصبح لنا فيه اقتصاد جديد، والتحول

إلى التطرف والأصولية يصبح له سلاح جديد. إنني أرى بوضوح قوة التحول إلى غير المرغوب. إن التحول الأصولي الإسلامي الذي يستهدف النصرة من شريحة عملاقة من السكان في العالم الإسلامي تقدر بمليار و ٣٠٠ مليون رجل وامرأة، تحولٌ لا يعتمد على المنطق، بل على التقديس وقصص الأساطير والمعجزات والوعود بنعيم الجنة. . إذن، أردنا أم لم نرد فإننا مضطرون للاختيار - مع القرن القادم - بين السلام أو مواجهة تعصب القرون الوسطى»، وأردف بيريز يقول: «حتى سنة ٢٠٠٠م، سيكون الشرق الأوسط مسلحاً من أخمص قدميه إلى رأسه بالصواريخ ذات المسافات المتنوعة وبأسلحة غير تقليدية، وفوق هذا بأصولية عطشى وجائعة، ومن شأن ذلك أن يغري بخوض حرب جديدة، والأكثر من ذلك - ربما وإلى أن تَحُل سنة ٢٠٠٠ - تتصاعد من جديد المنافسة على زعامة العالم، حيث ستصبح المنطقة ساحة واسعة لمن يحسم الصراع لصالحه».

أما نتنياهو، فمن الطبيعي ألاَّ يكون أقل حرصاً من بقية زعماء اليهود في التحذير من الخطر الإسلامي؛ فقد قال في مقابلة مع صحيفة (ها آرتس) في (٢٢/ ١١/ ١٩٩٦م): «إن عالم القرن القادم سيكون متعدد الأقطاب وغير مستقر، وسنتعرض إلى خطرين رئيسيين: الخطر الأول يأتي من داخل الفلسطينيين، أما الخطر الثاني؛ فيتمثل في التهديد الإسلامي من خارج فلسطين، ويتمثل الحل بالنسبة للتهديدالأول في أن نخلِّص الفلسطينيين من حلمهم، فمن الضروري أن يتخلصوا من فكرة (الخلاص)! وفيما يتعلق بالخطر الثاني؛ فلا أرى أنه يوجد حل سهل، وأعتقد أن حل هذه القضية بعيد عن إسرائيل»!

وعجيب كل هذا الرعب. . كل هذا الحقد. . كل هذا التآمر، كل هذا التعاون بالإثم والعدوان على أولئك المستضعفين من المسلمين المبعثرين في

الآفاق. . ماذا يا ترى لو أدرك هؤلاء المستضعفون ما يُراد بهم وما يُضمر لهم؟! ماذا لو عرفوا قدر أنفسهم، وخوف أعدائهم من يقظتهم وتجمعهم وقوتهم؟!

قد هيؤوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له فاربأ بنفسكَ أن ترعىٰ مع الهَمَلِ

وهكذا يتواصل تحريضهم في السر والجهار، ويمكر الأعداء بنا مكر الليل والنهار، وليس ثمة ما يمنعهم من ذلك، فهم يرون الغالب الأعم من المسلمين قد دخلوا تيه الظلمات، تيه الأهواء والزعامات واللافتات، لا يكادون يجدون منه مخرجاً، ولَيْتَه تيه الأربعين سنة ثم ينتهي كما انتهىٰ تيه بني إسرائيل؛ بل إنه تطاول عن ذلك وامتد. . نسأل الله أن يجعل لنا منه مخرجاً وفرجاً!

قالت صحيفة (فايننشال بوست) في إحدىٰ مقالاتها التحريضية ـ بعد ثورة إيران وصعود نجم أربكان بتركيا، وقتل السادات بمصر ـ: «إن أحداث إيران وتركيا وبلدان إسلامية أخرىٰ قد اضطرت (موشىٰ ديان) إلىٰ الاعتراف العلني وربما لأول مرة في حياته السياسية ـ بأن عودة الاتجاهات الإسلامية إلىٰ الظهور من جديد علىٰ مسرح المنطقة يشكل خطراً كبيراً علىٰ إسرائيل، وإن أي معاهدة سلام مع أي نظام عربي ستكون مجازفة خطيرة؛ لأن أحداث إيران أثبتت أن جميع الأنظمة في ا لمنطقة في مهب رياح الاتجاهات الإسلامية المتصاعدة. . ».

وفي حديث لـ (حاييم هيرتزوج) سفير إسرائيل السابق لدىٰ الأمم المتحدة نشرته جريدة (الجروزلم بوست) اليهودية بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٩٧٨م، قال: «إننا نشهد اليوم ظاهرة غريبة ومثيرة للاهتمام، وتحمل في أثنائها الشر للمجتمع الغربي بأسره، وهذه الظاهرة هي عودة الحركات الإسلامية التي تعد نفسها عدوة طبيعية لكل ما هو غربي، والتي تعد التعصب ضد اليهود بشكل خاص فريضة مقدسة. . ».

وهكذا، تدور الماكينة الإعلامية العالمية، ذات الهيمنة اليهودية، بالتحريض على الإسلاميين ونشر الأخبار والتصريحات والبيانات المشوِّهة لصورتهم، ونشرها مسموعة ومقروءة ومشاهدة؛ لتسهيل مهمة محاربتهم وسحقهم أمام شعوبهم، وهذا دأبهم منذ القدم، مع أن هؤلاء الإسلاميين ليسوا جيشاً ولا دولة ولا قوة منظمة مدعومة من أحد، ولكنه العداء للإسلام، ولكل من يتكلم باسم الإسلام! . . وصدق الله القائل: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٥، ٤٦].

ولابد هنا أن نسجل ملاحظة على جانب كبير من الأهمية وهي أن استغلال اليهود لدور الإعلام قد بلغ نهايته، إما من خلال الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها ويتملكون أكثرها، وإما من خلال الوسائل الإعلامية الأخرى التي يتغلغلون فيها ويؤثرون في توجيهها، ويسير اليهود في طريق استغلال هذه الوسائل مندفعين بأمرين: أحدهما التحريض؛ ومبعثه الرغبة في القضاء على عودة الروح إلى الجسد الإسلامي. وثانيهما الرعب؛ ومبعثه الخوف المتوارث في الوجدان اليهودي من تجربتهم الطويلة مع الإسلام خلال قرون خلت. ويتضح هذا جلياً فيما يبثون في وسائلهم.

ولعل من المناسب ـ هنا أيضاً ـ أن نذكر أن الكثير من الأسماء اللامعة والمشهورة في عالم الإعلام إنما هي يهودية لحما ودماً. وإذا كان الإعلام الأمريكي يكاد يسيطر على الإعلام الدولي؛ فإن اليهود يسيطرون على الإعلام الأمريكي، فبأي حال تجرى صناعة الرأي الأعمى العالمي؟!

إن وكالة (رويتر) للأنباء مثلا، أسسها يهودي اسمه (جوليوس بادل رويتر)

قبل أكثر من مائة عام. ووكالة (آسوشيتدبرس) تحولت إلى السيطرة الصهيونية بعد أن تحولت إلى شركة تعاونية عام ١٩٠٠م، وكذلك فإن مؤسس وكالة (اليونايتدبرس) يدعى (وليام راندولف هيرست) متزوج من يهودية وهو صهيوني الوجهة، وقد سانده اليهود عندما رشح نفسه حاكماً لنيويورك، ووكالة (هافاس) أسسها عدد من اليهود ويقومون على إدارتها.

بل الإذاعات ذات الصيت والشهرة التي تصنع الرأي العام العالمي.. قد تسلط اليهود عليها ووقفوا وراء ميكروفوناتها، فرئيس هيئة الإذاعة البريطانية سنة ١٩٨٣م هو (ستيوارت يانج) وهو يهودي تولى لمدة خمس سنوات رئاسة المجلس اليهودي المركزي للخدمات الاجتماعية.

وأما الصحف والمجلات التي تنشر المواد الإعلامية الصادرة عن هذه الوكالات والإذاعات؛ فإن هناك أكثر من ١٥٠٠ صحيفة يومية في الولايات المتحدة الأمريكية تطبع أكثر من ٥٥ مليون نسخة يومياً، ومن ضمن هذا العدد يستقل اليهود بملكية أو إدارة ١١٠٠ منها، أما المؤسسات الصحفية الكبرى ذات الصيغة العالمية؛ فإن الثلاثة الكبرى منها يملكها يهود، وهي: صحيفة (نيويورك تايمز) التي يتولى رئاستها (آرثر أوكس) اليهودي، ويشغل منصب المدير العام (ماكس فرانك) وهو يهودي، وصحيفة (الواشنطن بوست) وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا، فتملك (كاترين مائير) اليهودية أكبر حصة فيها، وأما الصحيفة الثالثة وهي: (وول ستريت جورنال) وهي صحيفة المال والأعمال، فتملكها شركة (داوجونز) التي يرأسها (بيتركان) اليهودي. وكذلك فإن أوسع المجلات الأمريكية الكبرى انتشاراً وهي (تايم) و(نيوزويك) و(يو إس نيوز)؛ فإن لليهود صلة كبيرة بخيوط إدارتها وملكيتها، وإذا كان الإعلام

الإلكتروني قد زحزح الإعلام المقروء عن مكان الصدارة؛ فإن الاهتمام اليهودي قد توجه إلى الشبكات التلفزيونية التي تقرن الصوت بالصورة، والحدث باللحظة، وتربط اللحظة بالرأي والتحليل، وتربط ذلك كله بالقناعات المملاة والآراء الموجهة.

إن هناك خمس شبكات تليفزيونية كبرىٰ في الولايات المتحدة، تبث ما نِسْبَته ٩٥٪ من مجموع الأخبار المحلية والدولية، وهذه الشبكات الخمسة مملوكة ليهود أو خاضعة لإداريين يهود، فشبكة (ABS) يملكها (مايكل إيزنار) وهو يهودي، وشبكة (NBC) يرأس قطاع الأخبار فيها (أندرولاك) وهو يهودي، وشبكة (CBS) يرأسها (إيروايز) وهو يهودي، وشبكة (فوكس) وهي أحدث الشبكات الكبرىٰ في أمريكا يملكها الإعلامي اليهودي الدولي (ميردوخ).

وغير خافٍ أن بضاعة السينما في هوليود من صناعة اليهود، وتُظهر بعض الإحصاءات أن نسبة الكتَّاب والمنتجين والمخرجين السينمائيين اليهود تعدت الخمسين بالمائة من مجموع العاملين في هذا المجال.

ولا يقصِّر اليهود ومَن وراءهم في توظيف كل هذه الإمكانات عند الحاجة من أجل تغيير الحقائق وتزييفها، ولبس الحق بالباطل كما هو ديدن اليهود، فهم يحاربوننا في كل مجال ومكان.. وينازلوننا في كل ميدان. وليست مواجهتهم لنا بصفتنا عرباً قوميين أو اشتراكيين أو رأسماليين؛ بل يحاربوننا بصفتنا مسلمين مؤمنين موحدين.. فهؤلاء فقط هم المستهدفون، أما العرب القوميون فهم أحبابهم، والعرب الاشتراكيون أولياؤهم، والرأسماليون أصدقاؤهم، والعلمانيون صنائعهم، والشيوعيون جنودهم... ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فتلك الأحزاب والتوجهات والتصنيفات العربية غير الإسلامية.. كلها تيارات تسير في سيل جارف يصب في بحيرة تحيا بها اليهودية الصهيونية.

إن الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية أسسها يهود من فلسطين ومصر والعراق؛ ولهذا فإن ولاءهم لليهود كان لا يقف عند حد.. قالت صحيفة الحزب الشيوعي العراقي في عدد ٨٨ الصادر عام ١٩٥٣م: «إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يُحارب الشعب الإسرائيلي (الشقيق)، فلا مصلحة في الحرب ضد الكادحين العرب واليهود؛ بل ينبغي أن نخوض الحرب معاً ضد البرجوازية العربية العفنة..».

وكما خرجت الأحزاب الشيوعية من تحت القَلَنْسُوة(*) اليهودية؛ فكذلك صنع النصارىٰ علىٰ أعينهم الأحزاب العلمانية كلها في العالم العربي، والحساب لليهود في النهاية. فالحزب القومي السوري الاجتماعي أسسه (أنطون سعادة)، وحزب القوميين العرب أسسه (جورج حبش)، وحزب البعث العربي الاشتراكي أسسه (ميشيل عفلق)، وأبرز قادة الفكر العلماني في العالم العربي نصارىٰ منهم (كلوفيس مقصود)، و(قسطنطين زريق) و(أميل البستاني) و(سلامة موسىٰ)؛ بل الذين تسموا بأسماء المسلمين ونادوا في ديار المسلمين بالتغريب والعلمانية وأخذ حضارة الغرب بغثِّها وسمينها.. هم تلاميذ مخلصون لليهود غالبا.. وللنصارىٰ أحياناً.

ونحن نعجب حينما نعلم مثلاً أن المشرف علىٰ رسالة الدكتوراه لطه حسين

(*) القلنسوة: من ملابس الرؤوس (كالعمائم)، لسان العرب: مادة: قلس.

كان المستشرق اليهودي (إميل دوركايم)، وأن شاعر الحداثة (محمود درويش) عضو في حزب راكاح اليهودي.

وبالرغم من أن اليهود يحاربون فينا الدين والقرآن والسنة، فإن من تصدوا لحرب اليهود دعاية وادعاءاً قالوا إنهم لا يحاربون اليهود أصحاب الدين السماوي؛ بل يحاربون إسرائيل ذات التوجه السياسي الاستعماري الصهيوني. كما قال عبد الناصر من قبل.

وأعجب من هذا أن نجد ـ وللأسف الشديد ـ أن الذين تصدوا لحرب اليهود بصفتهم أصحاب القضية الأساسيين ممثلين في قادة منظمة التحرير الفلسطينية التي أصبحت فيما بعد (السلطة الفلسطينية) قد انتهجوا العلمانية سبيلاً في مسيرتهم (النضالية) ضد إسرائيل[1]، عازمين على تحويل الدولة الفلسطينية ـ إن أقاموها ـ على الأيديولوجية العلمانية، التي تتلخص في عبارة (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة).

مما يؤسف له أيضاً أن المنحى العلماني للمنظمة قد بدأ فرضه حتى قبل إقامة الدولة، فالسلطة الفلسطينية تتصرف مع قضية الأرض المقدسة بالخلفية نفسها التي تتعامل بها كافة الأنظمة العلمانية، من إصرار على نزع الصفة العقائدية

---

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في (١٤/ ١/ ١٩٨٩م) فقرات من تصريحات صدرت عن ياسر عرفات حين مقابلته مع (جيرالد كوفمان) الناطق الرسمي لحزب العمال البريطاني، أعرب عرفات فيها عن عواطفه الحارة تجاه اليهود، وقال: «إنهم أولاد عمّنا.. ونعرفهم»، ثم تحدث عن الإسرائيليين قائلاً: «إنهم يسيئون إلى اليهودية، ولي حصة في هذا الدين... إنه جزء من تراثي»! وهذا التصريح، كان كشفاً مبكراً من عرفات لما ينوي فعله في السنوات التالية.

عنها، وحجب الروح الإيمانية عن البروز فيها، وتقييد الحركات الإسلامية عن التفاعل معها.

وقد أثبتت السلطة أنها ليست استثناءاً من الأنظمة الأخرىٰ التي اقترفت جريمة منع قيام جبهة إسلامية ضد اليهود من خارج فلسطين، مع فارق خطير وهو أنها ظلت تعمل بعناد علىٰ منع قيام هذه الجبهة داخل فلسطين، بعد أن لاحت البوادر بإمكانية قيامها بعد الانتفاضة الأولىٰ عام ١٩٨٧م التي أجهضها عرفات وأصدقاؤه في المنطقة مقابل (سلام الشجعان) في مدريد وأوسلو الأولىٰ وأخواتها.

ولهم في دعواهم العلمانية ثلاث حجج بواطل زاهقات:

أولاً: أنهم لا يريدون استخدام الدين وسيلة لتحقيق أهدافهم كما فعل اليهود، فقاسوا الإسلام علىٰ اليهودية، وساووا بين الحق البين والباطل الواضح.

ثانياً: أن استراتيجيتهم تتركز علىٰ إقامة دولة علمانية، يعيش فيها اليهود والنصارىٰ والمسلمون معاً؛ لكسب الرأي العام العالمي الذي أخزاهم في مواطن الخطر، وتخلّىٰ عنهم وخذلهم في البر والبحر.

ثالثاً: وجود نسبة من النصارىٰ في فلسطين، علىٰ الرغم من ضآلة هذه النسبة، وما أسعد النصارىٰ في بقاع الأرض كلها بهذه الحجة!! فمن أجل أقلياتهم في كل حدب وصوب من بلاد المدر والوبر فلنسقِط الإسلام احتراماً لهم، ولنترك الشرع لإجلالهم، ولتتحول أكثرية المسلمين واقعاً إلىٰ أقلية افتراضاً من أجل سواد عيونهم.. ألاَ بئست من حجج ذليلة، وساءت من علل عليلة.

إنه لابد من فهم جديد لأبعاد قضية بيت المقدس ينبعث من جوانب العقيدة الإسلامية الصحيحة كما فهمها أتباع النبي محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان، ذلك الفهم الذي سار به أبو عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص ليجاهدوا الروم هناك ويُخلِّصوا بيت المقدس من أركاس الصليبيين الروم، الفهم الذي ذهب به عمر ليتسلم مفاتيح المدينة لتعود إلى التوحيد الخالص طاهرة ظاهرة، الفهم الذي حدا بصلاح الدين أن يجاهد الصليبيين الأوروبيين ليعيد بيت المقدس للإسلام مرة أخرى عزيزاً منيعاً، والفهم الذي تأبَّى به السلطان العثماني عبد الحميد عن بيع هذه البقعة ببنوك اليهود؛ مع علمه بأن هذه الخطوة فيها نهايته، بل الفهم الفطري الذي جعل أطفال الحجارة وشبابها أصحاب الانتفاضة الأولى والثانية يفهمون أبعاد القضية، ويدركون أسرار الشخصية اليهودية فيُذلونها ويُرغمون أنفها بما لم تستطعه الجيوش أو تقدر عليه العروش.

لابد لهذا الفهم الجديد أن يأخذ طريقه إلى عقول أجيالنا من الآن فصاعداً. وليُهل التراب إلى الأبد على كل تلك الفهوم البالية، والشعارات الخاوية العلمانية، سواء أكانت قومية أو وطنية أو بعثية تقدمية أو يسارية أو يمينية؛ لأنها ضرَّت وما نفعت، وانخذلت وما ارتفعت، وضاعت وضيعت..

ولابد للفهم الإسلامي هذا أن يأخذ مكانه.. أو بالأحرى أن يعود لمكانه ومكانته في عقل الأمة المسلمة بعد طول غياب.

وإذا كانت معركة الغد الفاصلة بين اليهود والإسلام هي معركة دينية في الصميم، وعقدية في الأساس، فينبغي لجنود هذه المعركة أن تفهم طلائعهم من اليوم الخَلْفيَّة الدينية لها، والطبيعة العقائدية فيها. وأخصُّ بالذكر (جيل الصحوة)

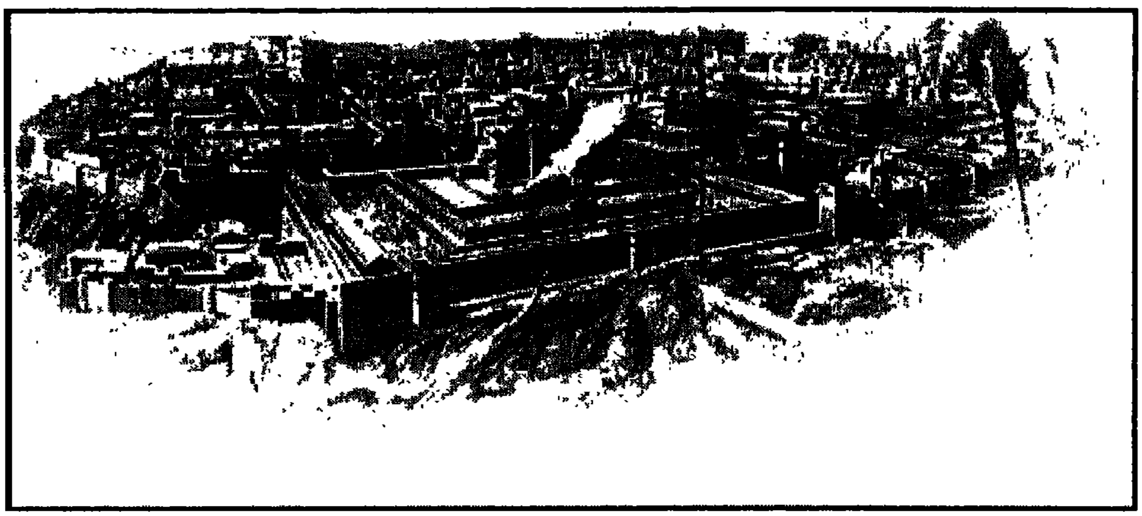
الذي حَظِيتْ ـ وللأسف الشديد ـ قضية المسجد الأقصى وبيت المقدس بالنصيب الأوفى من إهماله وذهوله فيما مضى من عقود، على ما في هذا الجيل من خير كثير . . وعلى ما يُنتظر منه من إنجاز كبير .

والصفحات الآتية، تضع النقاط على كثير من الحروف في سطور القضية، وتعيد تركيب المعالم الصحيحة على الطريق القويم بعد أن غيرها اللئام فلبَّسوا على الناس المسلك والغاية .

الفصل الثاني

بيت المقدس قبل الرسالة الخاتمة

- عهد إبراهيم عليه السلام والأرض المقدسة.
- عهد أبناء إبراهيم عليه السلام.
- عهد موسى عليه السلام.
- عهد يوشع عليه السلام.
- عهد داود وسليمان عليهما السلام.
- عهد يحيى وزكريا عليهما السلام.
- عهد عيسى عليه السلام.
- عهد الزوال.



الهيكل القديم قبل الإسلام

بيت المقدس
قبل الرسالة الخاتمة

المعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود حاضراً ومستقبلاً هي معركة دينية عقائدية، ولقد قُدِّر لأرض المسجد الأقصى وما حولها أن تكون ميداناً لهذه المعركة، ولتجلية الحقائق عن الموقف اليهودي الطامع في هذه الأرض وفي مكان المسجد؛ لا بد من دراسة متأنية تكشف الخلفيات التاريخية والدينية التي دفعت اليهود إلى جعل هذه الأرض محط أطماعهم، ومهوى أفئدتهم منذ عصور قديمة وحتى عصرنا هذا.

وحتى يسهل استيعاب الحقيقة القائلة بأن المعركة بيننا وبين اليهود معركة عقائدية؛ لا بد لنا من استشفاف الدروس من خلال صفحات التاريخ عندنا وعندهم؛ فإن ذلك قَمِينٌ(*) بأن يرفع الغشاوة عن أعين العميان الذين يُصرّون على فهم القضية من خلال أوراق ليست هي أوراقها.

وإن ذلك أيضاً كفيل بأن يفصِّل ويرسِّخ فهم المدركين لفحوى القضية إجمالاً، ولنْفتح الملف لنغوص في البحث والتأمل؛ ولكن لابد أولاً من ذكر بعض الإيضاحات الهامة.

أولاً: المدينة المقدسة:

لمدينة بيت المقدس أسماء كثيرة في التاريخ، فأقدم اسم لها هو (يبوس) نسبة إلى (اليبوسيين) وهم بطن من العرب الأوائل، واليبوسيون هم الذين أطلقوا

(*) قمين، أي جديرٌ وحري.

عليها أيضاً: «أورسالم» أي مدينة السلام، وقد ورد هذا الاسم في لوحة من ألواح (تل العمارنة)، موجودة في المتحف المصري بالقاهرة، ويرجع تاريخ هذه الألواح إلىٰ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي قبل دخول العبرانيين[1] إلىٰ فلسطين. وقد تطورت هذه التسمية الكنعانية والآرامية في اللغة العبرية إلىٰ «أورشليم».

وعند الفتح الإسلامي للمدينة المقدسة كان اسمها (إيلياء) أو(إيليا). وورد هذا الاسم في وثيقة الأمان التي أعطاها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لسكان المدينة. أما سبب هذه التسمية (إيلياء)؛ فإن الرومان عندما غزوا أرض فلسطين عمد الإمبراطور الروماني (إيليوس هدريان) إلىٰ إكمال ما بدأه (طيطس) من هدم المدينة والمسجد، وأجلىٰ عنها اليهود وأقام مكان المعبد هيكلاً[2] لوثن الرومان (جُوبيتر) وهو كبير آلهتهم، ووضع في المعبد تمثالاً لهذا الإله المزعوم كالتمثال الذي في معبد (الكابيتول) الروماني، وقرر الإمبراطور (إيليوس هدريان) محو وتغيير كل أثر لليهودية في المدينة المقدسة حتىٰ اسمها؛ فإنه اختار اسماً جديداً يتكون من كلمتين إحداهما مأخوذة من اسمه هو (إيليوس)، والثانية من اسم معبد الرومان (كابيتول)، فأصبح اسم المدينة (إليا كابيتولينا). ويقال: إن معنىٰ (إيليا) بيت الله[3].

ثم استقر اسم المدينة بعد الفتح الإسلامي علىٰ تسمية عربية إسلامية هي بيت

---

(١) العبرانيون: اسم أُطلق علىٰ إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن كانوا معه عندما هاجروا من العراق إلىٰ الشام عابرين نهر الفرات.

(٢) الهيكل: اسم يطلق علىٰ المكان الذي يُتعبد فيه وتذبح فيه القرابين في الديانات السابقة علىٰ الإسلام.

(٣) انظر (أهمية القدس في الإسلام)، عبد الحميد السائح ص١١، و(موسوعة اليهود واليهودية) للدكتور عبد الوهاب المسيري، (٤/ ١٠٥).

المقدس أو القدس، أو الأرض المقدسة، أو الأرض المباركة وهي تسميات ثابتة في القرآن والسنة.

موقع المدينة المقدسة:

تقع القدس في منتصف فلسطين تقريباً، على خط طول خمس وثلاثين درجة وثلاث عشرة دقيقة شرقي (جرينتش)، وخط عرض إحدى وثلاثين درجة وأربعين دقيقة شمالاً.

وهي تقع على تلال يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ما بين سبعمائة وعشرين إلى ثمانية وثلاثين متراً، وهي - في خطوط مستقيمة - تبعد عن البحر المتوسط اثنين وخمسين كيلو متراً، وعن البحر الميت اثنين وعشرين كيلو متراً وعن البحر الأحمر مائتين وخمسين كيلو متراً.

وتبعد بالطرق المعبَّدة عن عمَّان ثمانية وثمانين كيلو متراً، وعن بيروت ثلاثمائة وثمانين كيلو متراً، وعن دمشق مائتين وتسعين كيلو متراً، وعن القاهرة خمسمائة وثمانية وعشرين كيلو متراً.

وتنقسم المدينة إلى قسمين، قسم داخل السور، وهو البلدة القديمة ومساحتها تقريباً كيلومتر مربع واحد، وتقع فيها الأماكن المقدسة عند الأديان الثلاثة، والقسم الآخر خارج السور[١].

والقدس من أقدم مدن الأرض، وهي أقدم من بابل ونِينَوىٰ، وليس أقدم منها إلا (أون) أو (أيوتو)[٢] أولى عواصم مصر في فجر التاريخ، و(منف) أو (ممنفيس) ثاني عواصم مصر التي أنشئت ٣٤٠٠ ق.م.

---

(١) (تاريخ القدس) د. شفيق جاسر، ص ٢٠، (دار البشير للنشر والتوزيع - عمان).
(٢) هي (عين شمس) الآن بالقاهرة.

ثانياً: المسجد الأقصى:

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بناه إبراهيم عليه السلام كما يُفهم ذلك من حديث النبي ﷺ، ففي الصحيحين من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: «**قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة**»(١) ، فهذا الحديث يدل على أن المسجد الأقصى قد بناه إبراهيم - عليه السلام -؛ لأنه حدد بمدة هي من حياة إبراهيم عليه السلام، وقد قرن ذكره بذكر المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام أيضاً، وهذا مما أهمل أهل الكتاب ذكره، وهو مما خص الله نبينا ﷺ بمعرفته(٢) .

والمسجد الأقصى يُعرف أيضاً ببيت المقدس. ومعنى الأقصى: أي الأبعد، والمراد بُعده عن مكة بقرينة جَعْله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وقد ثبتت له هذه التسمية بنص القرآن في أول سورة الإسراء، قال - تعالى -: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء: ١]، وهذا الوصف جاء للتنبيه على معجزة الإسراء وكونه خارقاً للعادة؛ حيث قُطعت فيه مسافة طويلة في بعض ليلة.

وبهذا الوصف الوارد في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف عَلَماً بالغلبة على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام عَلَماً بالغلبة على مسجد

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٠)، وأخرجه البخاري (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١٠)، رقم (٣٣٦٦)، و(٤٠) باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ رقم (٣٤٢٥)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٧٠)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم (١، ٢) واللفظ له.

(٢) انظر تفسير (التحرير والتنوير)، لمحمد الطاهر بن عاشور، (١٥/ ١٤)، الدار التونسية للنشر.

مكة. قال ابن عاشور: «وأحسب أن هذا العَلَم من مبتكرات القرآن، فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء، ولم يكن مسجد لدين إلهي غير هذا المسجد ومسجد مكة»[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حادثة الإسراء حينما وقعت لم يكن المسجد الأقصى ببنائه موجوداً، كما أن مسجد الصخرة المعروف الآن لم يكن موجوداً كذلك، وإنما الذي كان موجوداً هو مكان المسجد المحاط بسور فيه أبواب، داخلها ساحات واسعة، وهذا هو المقصود من المسجد الأقصى في الآية الكريمة، إذ إن الإسلام قد جاء والمسجد قد اندرس بناؤه، ولكن ظل المكان معروفاً ومقدساً.

وأحاديث الإسراء تدل على أنه أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس راكباً البراق بصحبة جبريل عليه السلام، فنزل وصلى بالأنبياء إماماً وربط البراق بباب المسجد أي باب السور الخارجي. وحائط البراق هو الحائط الذي يسميه اليهود الآن بحائط المبكى؛ إذ إنهم يعتبرونه أحد أسوار الهيكل القديم والأثر الوحيد الباقي منه بعد هدمه الثاني، وهو بالقرب من باب المسجد الذي يفتح على الساحة[2]؛ ومما يدل على ذلك أنه عندما حضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين فتح بيت المقدس، استشار كعب الأحبار ـ الذي كان يهودياً وأسلم ـ وقال له: أين أضع المسجد؟ فقال كعب: اجعله وراء الصخرة. فقال: ضاهيت اليهودية يا كعب؛ بل نجعله في صدر المسجد[3]. يقصد الساحة، وذكر ابن كثير، أن عمر قال لكعب: «أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذتَ عني صليتَ

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ١٥).
(٢) انظر (أهمية القدس في الإسلام)، عبد الحميد السائح ص ٤٦ .
(٣) تاريخ الطبري (٧/ ٥٦١)، والبداية والنهاية، (٧/ ٦٠).

خلف الصخرة، وكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلَّىٰ رسول الله ﷺ، فتقدم إلىٰ القبلة فصلىٰ»[١].

أما المسجد الأقصىٰ علىٰ صورته القائمة اليوم فهو إنما بُني في عهد الأمويين فقد بدأ بناءه الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٣ـ٨٦ هـ)، وأتم بناءه ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ـ٩٦هـ).

والمؤرخون والعلماء إنما أطلقوا (المسجد الأقصىٰ) علىٰ جميع ما دار عليه السور وفيه الأبواب، وهو الذي كان معروفاً عند الإسراء والمعراج ويشمل: المسجد المعروف الآن، ومسجد الصخرة المشرَّفة، وجميع الساحات المحيطة بها[٢].

وتبين من ذلك أن المسجد الأقصىٰ الذي وقع الإسراء إليه والمقصود من الآية الكريمة هو ما دار عليه السور، وهو المقصود من الأحاديث الواردة في فضل زيارته ومضاعفة أجر الصلاة فيه.

أما التسمية القديمة عند أهل الكتاب لهذا المسجد العتيق فهي (الهيكل)، وهي تسميةٌ التصقت أكثر باسم سليمان ـ عليه السلام ـ فقيل: (هيكل سليمان)؛ لأنه أقامه علىٰ أحسن الهيئات التي بُني عليها.

ثالثاً: مسجد الصخرة المشرفة:

للصخرة المشرفة تاريخ ديني عريق، فهي قبلة الأنبياء منذ زمان موسىٰ ـ عليه السلام ـ وحتىٰ بداية عهد نبينا محمد ﷺ حيث صلىٰ إليها ستة عشر شهراً، وعند

(١) قال ابن كثير عن إسناد هذا الأثر: «وهذا إسناد جيد، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج، وقد تكلمنا علىٰ رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر»، البداية والنهاية، (٧/ ٦٠).

(٢) (أهمية القدس في الإسلام)، عبد الحميد السائح ص ٤٧.

الصخرة اتخذ إبراهيم ـ عليه السلام ـ معبداً ومذبحاً.

وهي التي أقام يعقوب ـ عليه السلام ـ عندها مسجده بعد أن رأى عموداً من النور فوقها ـ كما سيأتي ـ .

وهي التي نصب عليها يوشع ـ عليه السلام ـ (قبة الزمان) أو (خيمة الاجتماع) التي أنشأها موسى ـ عليه السلام ـ في التيه.

وهي التي بنى داود ـ عليه السلام ـ عندها محرابه، وشيَّد سليمان ـ عليه السلام ـ عندها الهيكل العظيم المنسوب إليه[1]، وهي التي عرج النبي محمد ﷺ من فوقها إلى السماء في ليلة الإسراء. وأول من بنى فوقها مسجداً في العصر الإسلامي هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٧٣ ـ ٨٦هـ) (٦٨٥ ـ ٦٩١م). وهو المسجد المعروف بمسجد الصخرة والمشهور بقبته الذهبية على المبنى المثمَّن، والذي تنصرف الأذهان إلى صورته كلما ذكر اسم المسجد الأقصى؛ مع أن المسجد الأقصى بناء آخر مستقل.

هذا.. ولا أجدني في حاجة قبل الحديث عن تاريخ بني إسرائيل في الأرض المقدسة أن أؤكد على ما لأنبياء الله من منزلة ومكانة في معتقد كل مسلم، فالإيمان بالأنبياء ـ ومنهم أنبياء بني إسرائيل ـ ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلاَّ به.

ومما هو معلوم أيضاً عند كل ذي علم وإيمان، أن ولاء المؤمن هو للمؤمنين في الزمان الأول والزمان الآخر، ورابطة الإيمان لا تفصمها حواجز الأرض ولا الجنس ولا اللون؛ ولهذا فإننا عندما نتناول الحديث عن شناعات بني إسرائيل

---

(١) وهو نفسه المسجد الأقصى، كما تدل على ذلك الأحاديث الصحيحة، وسيأتي بيانها.

قبل رسالة الإسلام؛ فإن هـذا الحديث لا يمس أبداً ولا يتناول مطلقاً جناب أتباع الأنبياء من المؤمنين، ولو كانوا من بني إسرائيل، فأنبياء بني إسرائيل نحن نحبهم، ونحب أتباعهم الذين صدقوا في إيمانهم، فالمعروف أن بني إسرائيل كان منهم مؤمنون ومنهم كفار، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤] فمؤمنوهم أولياؤنا، وكفارهم أعداؤنا، بل أشد أعدائنا.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن كل من لم يؤمن بمحمد ﷺ منهم أو من النصارىٰ فهو من أهل النار خالداً مخلداً فيها أبداً. وقد تحدث القرآن عن مؤمني بني إسرائيل ـ قبل أن تحل اللعنة والغضب علىٰ كفارهم ـ حديثاً واضحاً ـ فقال تعالىٰ: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

فكل هذه النصوص القرآنية تشير إلىٰ الطوائف التي اختارت طريق الدين الصحيح مع الأنبياء، قبل أن تُنسخ شرائعهم، وقبل أن ينتقل الاصطفاء إلىٰ أمة النبي محمد ﷺ.

وإنما أردت بهذه الإشارة الموجزة أن أنبه إلىٰ أنه ليس من سبيل المؤمنين أن يتهجم صاحب قلم علىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل بسبب كراهة هذا الكاتب لبني إسرائيل أو لليهود، وليس من سبيل المؤمنين أن يُجعل كل من انتسب إلىٰ بني إسرائيل من أتباع الأنبياء مجرماً وسفاك دماء، وليس من سبيل المؤمنين أن يطعن

في كتب الله المقدسة التي أنزلت على أنبياء بني إسرائيل قبل أن ينالها التحريف .

فالقرآن علمنا أن ننصف في الخصومة : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة :٨] .

أقول هذا بمناسبة ما وقعتُ عليه عند قراءاتي من عشرات المخالفات ـ التي تقدح في العقيدة ـ يقع فيها كتّاب معاصرون أثناء معالجتهم للقضايا التاريخية لبني إسرائيل ، وجدت منهم من يسيء الأدب مع موسى ـ عليه السلام ـ ومن يتهم يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ بأنه همجي سفاح ، وأن داود ـ عليه السلام ـ كان سفاك دماء ، وأن سليمان ـ عليه السلام ـ كان شهوانياً متفرغاً لملاذّه ، وأن بني إسرائيل الذين دخلوا مع يوشع بن نون كانوا كلهم مجرمين وسفاحين .

ومع هذا الهجوم الجريء غير المتورع ، نجد كثيراً من هؤلاء الكتّاب يتعسف في الكلام عن الوثنيين الذين كانوا في الأرض المقدسة وقت أن قاتلهم يوشع ثم داود ثم سليمان ـ عليهم السلام ـ بل والله وجدت من يدافع عن فرعون وقومه ضد موسى وأتباعه بزعم أنهم كانوا (أجانب) عن مصر وشعبها صاحب الأرض[1] .

وينسى هؤلاء أننا نحب موسى ولو كان إسرائيلياً لأنه من حزب الله ، ونبغض فرعون ولو كان مصرياً لأنه من حزب الشيطان ، ونحب يوشع وداود وسليمان وأتباعهم لأنهم كانوا موحدين مع كونهم من بني إسرائيل ، ونبغض جالوت الفلسطيني ومن خرج معه لأنهم كانوا وثنيين .

أما بعد أن تَبدَّل الحال ، وأنعم الله بالإسلام على من كانوا وثنيين ، وسلب

(١) اختر ـ بدون تسمية ـ مجموعة من ا لكتب المعاصرة الثقافة الفكرية التي تتناول الكلام عن اليهود ، وتأمل ما في داخلها من الكلام على الأنبياء ؛ فسترى عجباً ، وليس المجال متسعاً هنا لمناقشة هذه الكتب .

القوامة والإنعام والاصطفاء والهداية ممن كانوا على الحق والدين جزاء ما كانوا يعملون؛ فإن حبنا وبغضنا قد تبدل أيضاً حسب ما يريده ربنا وما تمليه عقيدتنا، وأحسب أن هذه القضية لا تحتاج لمزيد بيان عند كل مسلم صحيح الإيمان.

والآن.. لماذا استهدف اليهود في هذا العصر بيت المقدس بالذات، مع أن الأرض واسعة، وفي أكثرها من الثروات والكنوز ما ليس في أرض بيت المقدس، وفي أكثرها من الأمن والاستقرار لهم ما ليس في تلك البقعة المحاطة بطوفان من البشر يُكنُّون لهم كل العداء؟

لماذا هذا الحرص على تلك الأرض على الرغم من أنه قد عُرضت عليهم في بداية سعيهم لإنشاء وطن قومي لهم في العصر الحديث - أراضٍ في أماكن مختلفة من العالم؛ فأبوا إلاَّ أرض فلسطين؟

لماذا لم يقبلوا أرض أوغندا الخصبة التي تتفجر منها منابع النيل، ولم يرضوا ولو مرحلياً بإنشاء دولتهم في الأرجنتين أو في شرق إفريقيا، أو في ليبيا أو في قبرص أو في سيناء أو في الطور أو غيرها من الأماكن التي عُرضت عليهم من قِبَل قوى الاستعمار في العالم(١).. لماذا إذن أرض بيت المقدس؟

إن الإجابة على هذا التساؤل تجرنا إلى أعماق التاريخ لنسأله عن الصلة التي ربطت اليهود قديماً بهذه الأرض حتى عَدُّوها ملكاً لهم، وظنوها خالدة في ميراثهم. ولنقلب الصفحات التاريخية بحثاً في المراحل التي مرت بها الأرض المقدسة ومعبدها خلال العصور المتتابعة قبل مجيء أمة بني إسرائيل وحين وجودها، وبعد نزع الأفضلية منها وذهابها إلى تيه اللعنة والغضب.

---

(١) انظر تفاصيل المشاريع البديلة لفلسطين، والتي عُرضت على اليهود فلم يقبلوها في كتاب (إسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني) د. أسعد رزوق، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث.

أهم المراحل التاريخية التي مرت بالقدس والأقصى قبل الرسالة الخاتمة

العرب ينزلون أرض الشام:

قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة هاجرت قبائل عربية من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال بسبب القحط، وكان أسبقهم في ذلك الفينيقيين، فأقاموا على شاطئ البحر المتوسط، وتطوروا حتى أصبحوا أصحاب حضارة، وإلى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين بعد خمسمائة سنة من هجرة الفينيقيين - أي قبل الميلاد بألفين وخمسمائة عام - واستقرت قبائل الكنعانيين على ضفة نهر الأردن الغربية مُنسَابة نحو البحر المتوسط، وسُميت هذه الأرض باسم (أرض كنعان) وهو اسم يكثر وروده في التوراة.

وقبل الميلاد بمئات السنين نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط في يافا وغزة قبائل من جزيرة (كريت) تسمى قبائل (فلستين). وتم اختلاط بين الكنعانيين والمهاجرين الجدد من (كريت)، وتمازجوا وشكلوا خليطاً يغلب عليه الدم العربي، وعاشوا في تلك المنطقة التي سميت (فلسطين).

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت تعيش قبائل (الآراميين) الوافدة من حوض نهر الفرات بعد ازدحام هذا الحوض بالوافدين من جزيرة العرب، وهم المعروفون في الكتب المقدسة باسم(السوريين) وكانت عاصمتهم دمشق، وإلى جنوب البحر الميت كانت تسكن مجموعة أخرى من الآراميين في ثلاث ممالك (عمون - موآب - أدوم).

إبراهيم عليه السلام والمرحلة المبكرة للمسجد:

في تلك العصور التي ذُكِرت، عاش إبراهيم - عليه السلام - وكان من الساميين[1] الذين سكنوا العراق؛ إذ كان الساميون يقطنون أواسط وشمال أرض العرب، وإليهم ينتسب الآشوريون والعرب.

عاش إبراهيم - عليه السلام - في العراق التي وُلد بها، ثم بعد اختلافه مع أبيه وقومه واعتزالهم، هاجر إلىٰ أرض كنعان ماراً بمنطقة الآراميين، وهذا المرور أو العبور هو الذي سُمي بنو إسرائيل من أجله بالعبرانيين، فهم عبرانيون لأنهم عبروا نهر الفرات إلىٰ أرض الشام. وكانت هذه المرحلة في العام الألفين قبل الميلاد، ومنذ ذلك التاريخ استقر العبرانيون في أرض كنعان؛ ولكنهم كانوا في وضع منعزل عن بقية الشعوب هناك لابتعادها عن الدين الصحيح.

ظل إبراهيم - عليه السلام - مُدة في أرض الشام، ثم نزل إلىٰ مصر بعد قحط دبَّ في بلاد كنعان، ولم يطل بقاؤه في مصر؛ إذ طمع فرعونها في زوجته سارة، وكانت المدة التي نزل فيها مصر معاصرة لزمَن حكم الهكسوس، كما ذكر ذلك المؤرخون[2].

ثم عاد إبراهيم - عليه السلام - إلىٰ أرض كنعان خارجاً من مصر بعد أن نجىٰ الله زوجته سارة من فرعونها الذي أهدىٰ لسارة جاريةً هي (هاجر)، تلك

(١) نسبة إلىٰ سام ابن نوح - عليه السلام -، وقد كان لنوح ثلاثة أبناء ذكور، منهم نشأت أمم الأرض بعد الطوفان، وهم (سام وحام ويافث). والعرب وبنو إسرائيل ينحدرون من نسل سام، فهم ساميون.

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن الهكسوس كانوا من بدو الجزيرة العربية نزلوا مصر بعد مجاعة وقعت في بلادهم، ثم تمكنوا فيهاحتىٰ سادوا وحكموا.

الشريفة التي كانت قد وقعت في السبي وتملّكها فرعون مصر في ذلك الزمان. غير أن (سارة) بدورها أهدت (هاجر) إلى إبراهيم - عليه السلام -. فاتخذها سرية، ورزقه الله منها إسماعيل - عليه السلام - فكان ولده البكر. ثم نقل إبراهيم - عليه السلام - هاجر وولدها إلى أرض أخرى هي مكة في جزيرة العرب، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]..وكان إبراهيم يزور ذريته في مكة بين وقت وآخر.

وشبَّ إسماعيل - عليه السلام - في مكة وتزوج من قبيلة جُرهم العربية التي كان زعماؤها سادة مكة، ومن نسله - عليه السلام - جاءت العرب المستعربة، وتم بناء الكعبة المشرفة في مكة على يد إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - كما حكى القرآن.

ظل إبراهيم - عليه السلام - مقيماً في أرض كنعان بعد بناء الكعبة، وأصبحت هذه البقعة من أرض الشام مهجراً له بعد أن نشأت له - عليه السلام - فيها الذرية الطيبة[1].

واتخذ فيها مكاناً يعبد الله فيه، وكان هذا المكان يمثل المرحلة المبكرة جداً لتقديس هذه البقعة واتخاذها مكاناً للعبادة.

قال ابن تيمية - رحمه الله -:

«فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم - عليه السلام -، لكن سليمان - عليه السلام - بناه بناءاً عظيماً»[2].

---

(١) انظر البداية والنهاية، (١/ ١٤١ - ١٤٥). وانظر (موسوعة التاريخ الإسلامي)، د. أحمد شلبي ج١.

(٢) مجموع الفتاوى، (١٧/ ٣٥١).

وقال ابن كثير: «ذكر أهل الكتاب أنه(*) لما قدم الشام أوحىٰ الله إليه إني جاعل هذه الأرض لخَلِفك من بعدك، فابتنىٰ إبراهيم مذبحاً شكراً لله علىٰ هذه النعمة، وضرب قبة شرق بيت المقدس»(1).

قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: «إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما سكن أرض كنعان (وهي بلاد فلسطين) نصب خيمة في الجبل شرقي بيت إيل، وبنىٰ هناك مذبحاً للرب، وأهل الكتاب يطلقون المذبح علىٰ المسجد؛ لأنهم يذبحون القرابين في معابدهم. ومسجد إبراهيم هذا هو الموضع الذي توخَّىٰ داود أن يضع عليه الخيمة وأن يبني عليه محرابه أو أُوحيَ إليه بذلك، وهو الذي أوصىٰ ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ أن يبني عليه المسجد، أو الهيكل»(2)، ثم قال ابن عاشور: «وقد ذكر مؤرخو العبرانيين ومنهم (يوسيفوس) أن الجبل الذي سكنه إبراهيم بأرض كنعان اسمه (نابو) وهو الجبل الذي ابتنىٰ عليه سليمان الهيكل فيما بعد، وهو الذي به الصخرة»(3). إذن، يفهم من هذه النصوص والنقول أن أرض المسجد الأقصىٰ هي بعينها الأرض التي كان يسميها أهل الكتاب ـ قبل الإسلام ـ أرض الهيكل، والجبل نفسه الذي يسميه أهل الكتاب ـ قديماً وحديثاً ـ (جبل الهيكل) هو ذاته الجبل الذي يقوم عليه المسجد الأقصىٰ وهو الجبل المسمىٰ: جبل (نابو) أو (نيبو).

القدس والمسجد الأقصىٰ في عهد إسحاق ويعقوب عليهما السلام:

ولد إسحاق لإبراهيم ـ عليه السلام ـ من سارة بعد إسماعيل بأربع عشرة

(*) أنه: أي إبراهيم ـ عليه السلام ـ.
(1) البداية والنهاية، (1/142).
(2) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (15/16).
(3) نفس المصدر، (15/17).

سنة، وكان ذلك في أرض كنعان، وجعل الله - تعالى - كُلاً من إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - من الأنبياء، وتزوج إسحاق - عليه السلام - ووُلد له ولدان هما (يعقوب) و(عيصو)، وكانت النبوة في نسل يعقوب دون عيصو. ويعقوب - عليه السلام - هو (إسرائيل)، وهو الذي انتسبت إليه (بنو إسرائيل)؛ لأن النبوة لم تخرج من بعده إلاّ من عقبه.

تزوج يعقوب بنتي خاله (ليئة) و(راحيل)، وأهدته كل واحدة منهما جارية، أهدته (ليئة): (زلفة)، وأهدته (راحيل): (بلهة)، وولد له منهن جميعاً اثنا عشر ولداً، وهم أسباط بني سرائيل الذين ظلت فيهم النبوة حتى مجيء عيسى بن مريم - عليه السلام -. وهؤلاء الاثنا عشر هم: من زوجته ليئة: (روبين - شمعون - لاوي[1] - يساكر - زبولون - يهوذا)، ومن زوجته الأخرى راحيل: (يوسف وبنيامين)، ومن جاريته زلفة: (جاد وأشير)، ومن بلهة: (دان ونفتالي).

وفي عهد يعقوب - عليه السلام - أعيد بناء المسجد الذي كان إبراهيم - عليه السلام - قد اتخذه قبة يتعبد فيها؛ وذلك أنه كان قد حدث شيء من الخلاف بين ولدي إسحاق: (يعقوب وعيصو)، وتوعد عيصو أخاه يعقوب بالأذى؛ في قصة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية[2]: «فأمرت زوجة إسحاق ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها (لابان) الذي بأرض حران، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه، وأن يتزوج من بناته.. فخرج يعقوب - عليه السلام - من عندهم من آخر ذلك اليوم، فأدركه المساء في موضع فنام فيه فأخذ حجراً فوضعه تحت رأسه ونام، فرأى في نومه[3] ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض، وإذا

(١) ومن نسله موسى عليه السلام.
(٢) البداية والنهاية (١/ ١٨١)، والقصة موجودة في التوراة - سفر التكوين - الإصحاح ٢٧.
(٣) ورؤيا الأنبياء حق. والمعراج: هو ما يُصعد عليه ويرتقى به.

الملائكة يصعدون فيه وينزلون . . . فلما هب من نومه فرح بما رأىٰ، ونذر لله لئن رجع إلىٰ أهله سالماً ليبنين في هذا الموضع معبداً لله ـ عز وجل ـ، وأن جميع ما يرزقه من شيء يكون لله عُشره، ثم عمد إلىٰ ذلك الحجر فجعل عليه دُهنا يتعرَّفه به، وسُمِّي ذلك الموضع (بيت إيل) أي بيت الله، وهو موضع بيت المقدس اليوم، الذي بناه يعقوب ـ عليه السلام ـ بعد ذلك»(١).

ويذكر ابن كثير أن يعقوب ـ عليه السلام ـ لما عاد من رحلته التي أمرته بها أمه، وكان الله ـ تعالىٰ ـ قد فتح عليه بمال وثروة عظيمة ـ مر علىٰ قرية أورشليم ـ قرية شخيم ـ فنزل قبل القرية واشترىٰ مزرعة كبيرة بمائة نعجة، فضرب هنالك فسطاطه وابتنىٰ ثَمَّ مذبحاً فسماه: (إيل إله إسرائيل)، وأمره الله ببنائه ليستعلن له فيه، ثم قال ابن كثير: «وهو بيت المقدس الذي جَدَّده بعد ذلك سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ وهو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك كما ذكرنا»(٢).

القدس والمسجد الأقصى في عهد موسى عليه السلام:

تعاقبت السنون ومرت القرون، ومكان (بيت إيل) مقدس لدىٰ المؤمنين من بني إسرائيل، ولما دخل بنو إسرائيل مصر في زمن يوسف ـ عليه السلام ـ ثم خرجوا منها في عهد موسىٰ ـ عليه السلام ـ سنة ١٣٥٠ ق. م، بدأت مرحلة جديدة من تعلق بني إسرائيل بالأرض المقدسة، إذ إنهم خرجوا من مصر في الأساس لكي يعودوا إلىٰ أرض بيت المقدس بعد أن يجاهدوا الوثنيين الذين استوطنوها.

ولكن بدرت من بني إسرائيل المخالفات تلو المخالفات، ونكلوا عن جهاد

(١) البداية والنهاية، (١/ ١٨٢).
(٢) نفس المصدر، (١/ ١٨٤).

أعدائهم الوثنيين حتىٰ عُوقبوا بالتيه. ولقد فصَّل لنا القرآن من هذه الأحداث ما فيه العبر والدروس: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

وظل بنو إسرائيل في التيه في صحراء سيناء مدة أربعين سنة محرومين من الدخول إلىٰ أرض بيت المقدس تأديباً لهم، وفي تلك المدة حدثت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة ـ كما يقول الإمام ابن كثير ـ من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوىٰ عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تُحمل معهم علىٰ دابة، فإذا ضربها موسىٰ ـ عليه السلام ـ بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب منهم عين. وهناك في التيه نزلت التوراة، وشُرعت لهم الأحكام، وعُملت (قبة العهد). ويقال لها (قبة الزمان)(١) أو (خيمة الاجتماع).

(١) تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٠)، وانظر الوصف المفصَّل لهذه القبة في البداية والنهاية (١/ ٣٠٧، ٣٠٨). وأيضاً التوراة، سفر الخروج، إصحاح ٣٦.
ويحسن التنبيه هنا، إلىٰ أن اليهود المعاصرين، أعادوا صناعة هذه القبة تمهيداً لنقل التابوت إليها، وهو الموجود الآن ـ كما يقولون ـ في أثيوبيا!، انظر تفاصيل ذلك في كتاب (حُمَّىٰ سنة ٢٠٠٠) للمؤلف، (٢٨٦، ٢٨٧).

هذه القبة هي التي وُضع فيها (تابوت الشهادة) المذكور في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. قال ابن كثير: «وهذا التابوت كان بنو إسرائيل يستنصرون به على الأعداء بعد ذلك[(١)]، وفي التيه توفي هارون ـ عليه السلام ـ، ثم بعده بمدة ثلاث سنين تُوفي موسى عليه السلام»[(٢)].

وكان موسى ـ عليه السلام ـ قد طلب من الله ـ تعالى ـ أن يقبضه قريباً من الأرض المقدسة، فأجابه إلى ذلك، ومات قريباً منها بقدر رمية حجر كما في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أُرسل ملك الموت إلى موسى ـ عليهما السلام ـ، فلما جاءه صكَّه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت. فرد الله عليه عينه وقال: ارجع، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال: أي ربِّ، ثُم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر**»، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فلو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**»[(٣)].

القدس والمسجد الأقصى في عهد يوشع بن نون عليه السلام:

أقام يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ نبياً في بني إسرائيل بعد موسى ـ عليه السلام ـ ويوشع هو فتى موسى المذكور في سورة الكهف، ونبوته ثابتة بالسُّنَّة

---

(١) في التوراة ـ سفر الخروج، الإصحاح السابع والعشرين ـ وصف تفصيلي مطول لهذا التابوت.

(٢) تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، ح (١٣٣٩)، وأحاديث الأنبياء، ح (٣٤٠٧)، وأخرجه مسلم في الفضائل، ح (١٥٧، ١٥٨).

الصحيحة. وعندما مات موسى ـ عليه السلام ـ كانت مدة التيه لم تنته بعد، ومات أكثر بني إسرائيل في تلك المدة، فلما انقضت خرج يوشع بن نون بمن بقي من بني إسرائيل الذين دخلوا التيه، وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس، فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر. يقول ابن كثير: «فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم، وكان القتال محرماً عليهم فيه، قال: إنكِ مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ. فحبسها الله ـ تعالى ـ حتى فتحها، وأُمر يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سُجداً وهم يقولون (حطة). أي حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ـ ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على إستاهم وهم يقولون (حنطة)»[(١)].

فيوشع بن نون هو الذي دخل ببني إسرائيل بيت المقدس بعد أن حُرموا من دخولها في عهد موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ «. . . ولما استقرت يده على بيت المقدس نصب القبة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يُصلُّون إليها، فلما بادت صلوا إلى محلتها وهي الصخرة، فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعدُ إلى زمان رسول الله ﷺ، وقد صلَّى إليها ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل الهجرة، وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر أُمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلَّى إليها ستة عشر، وقيل سبعة عشرْ شهراً. ثم حُولت القبلة إلى الكعبة في شعبان سنة اثنتين في وقت صلاة العصر، وقيل الظهر»[(٢)].

القدس والأقصى بعد زمان يوشع بن نون عليه السلام:

ينقسم تاريخ بقاء بني إسرائيل في أرض فلسطين بعد دخولهم زمن يوشع

(١ ، ٢) تفسير ابن كثير، (٢/ ٤٠)، والحديث الذي أشار إليه ابن كثير ـ في البخاري، في تفسير سورة البقرة (٢/ ٥).

إلى ثلاثة أقسام:

الأول: عهد القضاة: وهو العهد الذي كان يحكمهم فيه القضاة من اثني عشر سبطاً، واستمر هذا العهد حوالي ٤٠٠ سنة - ويذهب البعض إلى أنه أقل من ذلك - ويدأ بنو إسرائيل في هذا العهد ينتقلون من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، واستقرت عقائدهم فيه.

الثاني: عهد الملوك: بعد أن عجز القضاة عن تسيير أمور بني إسرائيل، وبعد أن ضعفت شوكتهم فاجتاح العمالقة أرضهم(١) عمد الشعب الإسرائيلي إلى نبي لهم هو (صموئيل)، فقالوا له: نصِّب علينا ملكاً نستطيع معه أن ندفع العمالقة عن أرضنا، فكانت القصة التي حكاها القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[البقرة: ٢٤٦- ٢٥١].

وقد استجاب لهم النبي، وملّك عليهم طالوت، وكان داود - عليه السلام - أحد رجاله، وبرز في الجيش المعادي الفلسطيني (جليات) أو (جالوت) كما سماه القرآن، فبارزه داود - عليه السلام - وتغلب عليه، وتهيأ بعد ذلك الأمر لداود، وأصبح هو الملك الثاني، وبقي المُلك وراثياً في عقبه. وفتح داود - عليه السلام - (أورشليم) أو (أورسالم) أي مدينة السلام.

العهد الثالث: عهد التفكك، وزوال الشوكة، وانقسام المملكة، وسيأتي الكلام عنه في عهد سليمان - عليه السلام -.

---

(١) العمالقة: هم الفلسطينيون يومئذ، ولم يكونوا على دين صحيح حينذاك.

القدس والأقصى في عهد داود عليه السلام:

لما فتح داود - عليه السلام - مدينة القدس عام ٩٩٧ ق. م، نقل التابوت إليها، وأعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس، وجهز المواد اللازمة للبناء، ولكنه أحس أن الأجل لن يمهله حتى يكمل بناء المسجد، فعهد إلى ابنه سليمان بأن يتم بناءه، فجمع له من الذهب والفضة والأحجار الكريمة الشيء الكثير، وهذا يفسر لنا لماذا اتخذ اليهود النجمة السداسية شعاراً وسموها باسم داود؛ إنها تمثل - على بعض الآراء - قاعدة الهيكل الذي نوى داود أن يقيمه(١).

القدس والأقصى في عهد سليمان عليه السلام:

وُلد سليمان - عليه السلام - في القدس ونشأ بها، وتولى عرش المملكة بعد أبيه داود - عليه السلام - واستمر ملكه لمدة أربعين سنة من (٩٦٣ - ٩٢٣ ق. م.)، وذكر المفسرون أنه غاب عن سرير ملكه أربعين يوماً، ثم عاد إليه، ولما عاد شرع في بناء الهيكل المقدس بناءاً محكماً، وتُورد المراجع اليهودية وصفاً مفصلاً عن معبد سليمان بما يحوي من أروقة وبيوت وخزائن وغرف وأمتعة وموائد وكؤوس وأقداح ومذابح، بما يلائم نبياً ملكاً أوتي من كل شيء، وسخر الله له معالم الطبيعة. وسليمان - عليه السلام - هو أحد أربعة ملكوا الدنيا، وهم ذو القرنين وبختنصر والإسكندر وسليمان(٢)، فلا يستغرب ولا يستبعد أن تكون الأوصاف المذكورة عند أهل الكتاب عن هيكل سليمان صحيحة في مجملها، فهو الذي

---

(١) لأن الهيكل في الأصل بني على هيئة خيمة الاجتماع، ولو وُصلت رؤوس النجمة السداسية لكونت خيمة سداسية الأضلاع.

(٢) ورد المعنى بذلك عن سفيان الثوري في قوله: «ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، سليمان النبي، وذو القرنين، ونمروذ، وبختنصر» انظر فتح الباري، (٢/ ٤٢). ويؤكد هذا الكلام عن سليمان - عليه السلام - ماجاء عنه في القرآن: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

دعا الله عز وجل قائلاً: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]. جاء في سفر الملوك الأول: «بنى سليمان البيت وأكمله، وبنى حيطان البيت من الداخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشّاه بخشب، وفرش أرضية البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله لأجل المحراب - أي قدس الأقداس - وهيأ محراباً وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، وغشى المحراب بذهب خالص، وغشى المذبح بأرز، وغشى البيت من الداخل بذهب خالص، وسد بسلاسل من ذهب قدام المحراب»(١)، ويذكر المؤرخون أن ذلك البناء كان سياجاً من بناء يضم عدة أجنحة(٢).

قال ابن كثير: «وكان سؤال سليمان - عليه السلام - المُلك الذي لا ينبغي لأحد من بعده بعد إكمال بناء بيت المقدس، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل ربه - عز وجل - خلالاً ثلاثاً فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سأله: حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجوا أن يكون الله قد أعطانا إياها»(٣).

---

(١) انظر كتاب التوراة (سفر الملوك الأول/ الإصحاح السادس)، وفيه تفصيل طويل آخر عن هيكل سليمان في مواضع أخرى.

(٢) انظر: مقارنة الأديان: (اليهودية) (١/ ٢١٠).

(٣) البداية والنهاية، (١/ ٢٦) بتصرف يسير - والحديث في مسند أحمد، والنسائي مساجد(٦)، وسنن ابن ماجه، إقامة (١٩٦).

القدس والأقصى بعد عهد سليمان عليه السلام:

بعد وفاة سليمان - عليه السلام - تولى المُلك بعده ابنه (رحبعام)، وبايعه من الأسباط اثنان فقط هما (سبط يهوذا) و(سبط بنيامين)، وكانت البيعة في أورشليم، ولما اتجه رحبعام إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط في (نابلس) رفضوا أن يبايعوه، وبايعوا أخاه (يربعام) بعد عودته من مصر التي كان قد أوى إليها في عهد أبيه، وكانت له صلة بفرعونها - كما تذكر ذلك المصادر التاريخية - فحرضه على أن يستقل بدولة عن أخيه.

وهكذا انقسمت الدولة إلى مملكتين، بعد أن كادت تثور الحرب بين الأخويين، فكانت مملكة في الجنوب هي (يهوذا) وعاصمتها (أورشليم)، ومملكة في الشمال (إسرائيل) وعاصمتها (نابلس) أو (شكيم)، وكان أغلب الأسباط في دولة الشمال (إسرائيل)، وكانت أوسع رقعة من دولة (يهوذا)، ولكن دولة (إسرائيل) رغم اتساعها كانت أشد اضطراباً.

نهاية المملكتين، والتدمير الأول للهيكل:

في سنة ٧٢١ ق. م، محا (سرجون) ملك الآشوريين مملكة (إسرائيل) من الوجود، وأزال شعبها قتلاً وتشريداً، واعتقل آخر ملك فيها ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته، وأقام سرجون والياً باسمه على مملكة إسرائيل.

وفي سنة ٦٠٨ ق. م، زحف فرعون مصر في ذلك الوقت على مملكة يهوذا التي لم تكن قد سقطت بعد، فاحتلها، واستمر في زحفه حتى احتل مملكة (إسرائيل) الشمالية التي استولى عليها الآشوريون، فثار لذلك ملك بابل الجديد (بختنصر) الذي آل إليه السلطان على آشور، وزحف بختنصر على فلسطين

بقسميها (يهوذا وإسرائيل)، وهزم فرعون مصر فيها، واستعاد منه المملكتين، وقتل (صدفيا بن يواقيم) آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم، ودمر المعبد سنة ٥٨٧ ق. م، وسبى أكثر السكان إلى بابل، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار. وعرفت هذه المدة تاريخياً ـ بعصر السبي البابلي.

وأقام بختنصر على فلسطين والياً من قبله، وانتهى بذلك مُلك اليهود في فلسطين، وظل اليهود في الأسر البابلي بعد أن تم التدمير الأول للهيكل.

وكان هذا الغزو لديار بني إسرائيل وتشريدهم، وهدم معبدهم جزاءاً وفاقاً لتخليهم عن هدي الرسالات، وحقائق الدين، وتحولهم من دور الإصلاح المنوط بأتباع الرسل، إلى دور الإفساد الذي أرسلت الرسل لتطهير الأرض منه. وجرت سنة الله التي لا تتبدل على أمة بني إسرائيل، إذ عوقبوا على الإفساد وأُديل عليهم الأعداء. وقد جاء ذكر هذه الفترة في القرآن الكريم في أول سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤، ٥]، وظل بيت المقدس في خراب تام عهداً طويلاً بعد استيلاء بختنصر عليه وهدمه للمسجد[١].

وقد كانت مدة بقاء بني إسرائيل في فلسطين منذ دخول يوشع بن نون حتى سقوط مملكة يهوذا حوالي خمسة قرون. وفي أسباب هذاالانتقام الإلهي من بني إسرائيل في تلك الفترة، عقد ابن كثير باباً في الجزء الثاني من البداية والنهاية، فليراجع هناك؛ فإن فيه حِكَماً ومواعظ وعبراً عظيمة. ولا شك أن تسجيل القرآن لهذه الأحداث له دلالات وأسرار جديرة بالتأمل والتدبر.

---

(١) هناك أقوال أخرى في المعنى المقصود في الآية من العباد أولي البأس الشديد.

العودة من السبي وإعادة بناء الأقصى:

بعد سقوط مملكتَي إسرائيل ويهوذا احتل (قورش الإخميني)[1] ملك الفرس بلاد بابل، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض يهوذا، ومنذ ذلك الوقت أطلق الفرس على شعب يهوذا اسم (اليهود) وعلى ديانتهم (اليهودية)، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل.

سمح (قورش) لليهود بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٨ ق.م؛ إذ كان على صلة طيبة بهم لأنهم أصحاب دين سماوي[2]، فعادت طوائف من اليهود إلى بيت المقدس، وفضّلت طوائف أخرى البقاء في أرض بابل، وعمدت الطائفة العائدة إلى إعادة تعمير المدينة المقدسة، وأعادوا بناء المعبد مرة أخرى. ولكن عودتهم كانت عودة شعب بلا دولة؛ فقد كان الحكم الفارسي هو المسيطر على أرض فلسطين، ثم مع توالي العهود بدأ الفرس يشتدون على اليهود حتى تذمر اليهود من بطشهم، وفي هذه المرحلة زحف الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٠ ق.م. على فلسطين ورحب به اليهود، وظل بيت المقدس فترة تحت حكم الإسكندر، ثم آل الأمر فيه إلى البطالسة.

غزو الرومان وتجديد بناء الأقصى:

تاق اليهود إلى الاستقلال بالحكم عن المحتلين الغزاة من البطالسة، وقامت عدة ثورات قادتها أسرة (المكابيين) اليهودية، لمحاولة استلام الملك مرة أخرى،

(١) هناك أقوال قوية بأنه ذو القرنين، انظر كتاب (ويسألونك عن ذي القرنين)، تأليف الشيخ: أبو الكلام آزاد ـ والكتاب طبع بمصر.
(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب (ويسألونك عن ذي القرنين).

ولكن اليهود لم يفلحوا في الوصول إلىٰ كامل غرضهم من الاستقلال بالرغم من تنصيبهم لملك منهم؛ إذ ظل الصراع قائماً بين اليهود وبين أعدائهم المجاورين. فاستغل الرومان الوضع المتأزم واكتسحوا فلسطين سنة ٦٣ ق . م، واستولوا علىٰ القدس بقيادة القائد الروماني (بامبيوس)، وتم تنصيب (هيردوس) الروماني ملكاً علىٰ فلسطين بعد أن قتل آخر ملوك المكابيين.

وحاول هيرودس بعد ذلك أن يهدئ الأحوال ويسترضي اليهود، فبنىٰ الهيكل الذي كان قد أصابه الهرم، علىٰ نسق هيكل سليمان، وكان هذا هو الهيكل الثاني، وذلك عام (٢٠ ـ ١٨) ق . م، وظل المعبد علىٰ هذه الحالة حتىٰ جاء نبي الله زكريا وابنه يحيىٰ ـ عليهما السلام ـ وجاء عيسىٰ بن مريم ـ عليه السلام ـ ابن خالة يحيىٰ ـ عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

الأقصى في عهد يحيى وزكريا عليهما السلام:

وورد في القرآن ما يدل علىٰ أن المعبد كان قائماً في عهود هؤلاء الأنبياء، فإن مريم ـ عليها السلام ـ كانت أمها قد وهبتها لخدمة بيت المقدس، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا

بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٩].

فالنذر كان لخدمة المكان المقدس، ولكن جاء المولود أنثى هي مريم - عليها السلام - وكفلها زكريا - عليه السلام - الذي كان رئيس الهيكل حينئذ، وفي محراب الهيكل أو المسجد دعا زكريا - عليه السلام - ربه بأن يرزقه الذرية الطيبة، فجاءته البشرى بيحيى - عليه السلام - وهو قائم يصلي في المحراب.

ثم إن زكريا - عليه السلام - قد نشره اليهود بالمنشار فقتلوه، كما قتلوا ولده يحيى - عليه السلام - عندما وشوْا به إلى ملك ظالم في عصره، كان يحيى - عليه السلام - قد عفَّ عن الفُتيا له بنكاح إحدى محارمه.

وقتْل زكريا ويحيى - عليهما السلام - كان هو الإفساد الثاني لليهود الذي ذكر في أول سورة الإسراء كما قال كثير من المفسرين.

الأقصى على عهد عيسى عليه السلام:

كان عيسى - عليه السلام - معاصراً ليحيى - عليه السلام - فهما ابنا خالة. وقد بُعث عيسى - عليه السلام - وأحوال بني إسرائيل في غاية الفساد والإفساد، فعقائدهم قد طمست، وأخلاقهم قد رذلت، وسيطرت عليهم المادية الجشعة، حتى إنهم اتخذوا من الهيكل سوقاً للصيارفة والمرابين، وملهى لسباق الحمام، فأخبرهم - عليه السلام - بأن العقوبة الثانية قادمة إليهم على إفسادهم الثاني. . [**يا أورشليم.. يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا**][1].

(١) إنجيل متى (٢٣).

ومما يـدل على أن المسجد الأقصى كان قائماً في عهـد عيسى ـ عليـه السلام ـ ما ثبت في السنة الصحيحة من حديث الحارث الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطيء بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم. فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب. فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشُرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً...**»[1] إلى آخر الحديث الذي ذكر فيه إلى جانب الأمر بالتوحيد: الأمر بالصلاة والأمر بالصيام والأمر بالصدقة والأمر بالذكر. ثم ذكر لكل أمر منها مثلاً.

وقد بشّر عيسى ـ عليه السلام ـ بتعاليمه في فلسطين وهو في الثلاثين من عمره، وأخذت تعاليمه الروحانية تنتشر بين جماهير غفيرة من سكانها، مما أغاظ زعماء اليهود الماديين وكهنتهم المنتفعين.

وواجه عيسى ـ عليه السلام ـ إفساد كهنة الهيكل من اليهود محذراً إياهم من مغبة جشعهم وظلمهم: [**ولما دخل الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص**][2].

ولما استيأس ـ عليه السلام ـ من استجابتهم لنصائحه أخبرهم بأن هذه النعمة

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، (٥/ ٣٤٤)، والترمذي في أبواب الأمثال، ح (٣٠٢٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.).

(٢) لوقا (١٩/ ٤٥ـ ٤٧).

سوف تسلب منهم لأنهم لم يؤدوا شكرها. . سوف يُهدم المعبد! . [ثم خرج يسوع، ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يُروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع: ما تنظرون؟! . . الحق أقول لكم: إنه لا يُترك هاهنا حجر على حجرٍ لا ينقض][1] .

ثم حَدَث أن السادة والكهنة الغاضبين من أجل مصالحهم حرضوا السلطة الرومانية على عيسى - عليه السلام - وقررت مجالس اليهود الدينية الحكم عليه بالموت، تماماً كما قرروا قتل يحيى وزكريا قبله، ومن قبلهم عشرات الأنبياء.

وطالب المؤتمرون السلطات الرومانية بتنفيذ حكم القتل في النبي الذي ناضلهم من أجل تطهير المسجد من إفسادهم، وجاؤا بعيسى - عليه السلام - وحاكموه، وبعد المحاكمة اعترف الحاكم الروماني ببراءته، فقامت قيامة اليهود ونادوا: [اصلبه.. اصلبه.. دمه علينا وعلى أولادنا][2] .

وأُحكمت المؤامرة من كفار بني إسرائيل لقتل آخر أنبيائهم على الإطلاق، ولكنَّ قَدَر الله كان سابقاً بشأن آخر: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] .

المدينة المقدسة والتدمير الثاني للمسجد:

ظل الهيكل قائماً بعد عهد عيسى - عليه السلام - وحَدَث بعد ذلك أن صدقت نبوؤته - عليه السلام - وهُدم المعبد الذي لم يرعه اليهود حق رعايته؛ إذ أقدم أحد

(١) متى (٢٤/ ١، ٢).
(٢) متى (٢٧/ ٣٥).

ملوك الرومان وهو الإمبراطور طيطس عام ٧٠ ميلادية على إحراق المدينة المقدسة، وتدمير المعبد الذي أقامه (هيرودس) ولم يبق فيه حجر على حجر[(١)] وكان هذا هو التدمير الثاني للمسجد، بعد التدمير الأول الذي تم في عهد (بختنصر)، وإليه الإشارة في قوله ـ تعالى ـ من سورة الأسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الإسراء: ٧].

وكان الإفساد الثاني من بني إسرائيل الذي بسببه تحقق وعد الانتقام الإلهي منهم هو قتلهم زكريا ويحيى ـ عليهما السلام ـ وعزمهم على قتل عيسى ـ عليه السلام ـ ولكن الله ـ تعالى ـ نجاه منهم[(٢)].

وكان بطش الإمبراطور طيطس على إثر ثورة قام بها اليهود ضد الرومان، واكتفى طيطس حينئذ بتدمير الهيكل والمدينة مع إبقاء الحطام مكانه، ولكن جاء بعده طاغية آخر هو (أدريانوس) فأزال معالم المدينة وحطام الهيكل وكان ذلك سنة ١٣٥ ميلادية، فحرث الأرض وسواها وتبَّرها تتبيراً. وبذلك يكون الرومان قد دمروا المدينة المقدسة مرتين الأولى سنة ٧٠م على يد طيطس والثانية على يد (أدريانوس) سنة ١٣٥م، كما تخلص (أدريانوس) تماماً من اليهود تقتيلاً وتشريداً، وأقام مكان الهيكل معبداً وثنياً وسماه (جوبيتر) على اسم (رب الآلهة) عند الرومان ـ كما مرت الإشارة إلى ذلك ـ .

(١) تأمل عبارة عيسى ـ عليه السلام ـ في الإنجيل: (لا يبقى حجر على حجر)، وعبارة القرآن: ﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾. واستنتج لماذا داخ اليهود بعد حفريات طويلة في العثور على أي أثر للمسجد باستثناء حائط البراق الذي أبقى الله ـ تعالى ـ عليه، ليكون آية باقية على رحلة الإسراء التي نسخت حق اليهود في الأرض المقدسة.

(٢) انظر تفسير فتح القدير (٣/ ٢٠٩).

تدمير الهيكل الروماني الوثني:

لم يكن الرومان قد اعترفوا بالديانة النصرانية عندما بنوا (جوبيتر)، فبقي الهيكل على الهيئة الوثنية إلى أن تمكنت النصرانية من أرض فلسطين، فدمره النصارى من أساسه في عهد الإمبراطور (قسطنطين) مفسد النصرانية ومدخل التثليث وعقيدة الصليب فيها. وهكذا.. أصبحت أرض المسجد الأقصى قاعاً صفصفاً بلا بناء، ولكنها ظلت مع ذلك أرضاً مقدسة؛ لأن قداسة الأرض لا تزول بزوال ما فوقها من بناء، وكذلك لا تزول تلك القداسة عن الأرض ولو علتها أشياء غير مقدسة، كما كان الشأن في الكعبة المشرفة التي انتشرت الأصنام داخلها قبل فتح مكة.

انتهاء زمن الهيمنة اليهودية والنصرانية على أرض المسجد الأقصى:

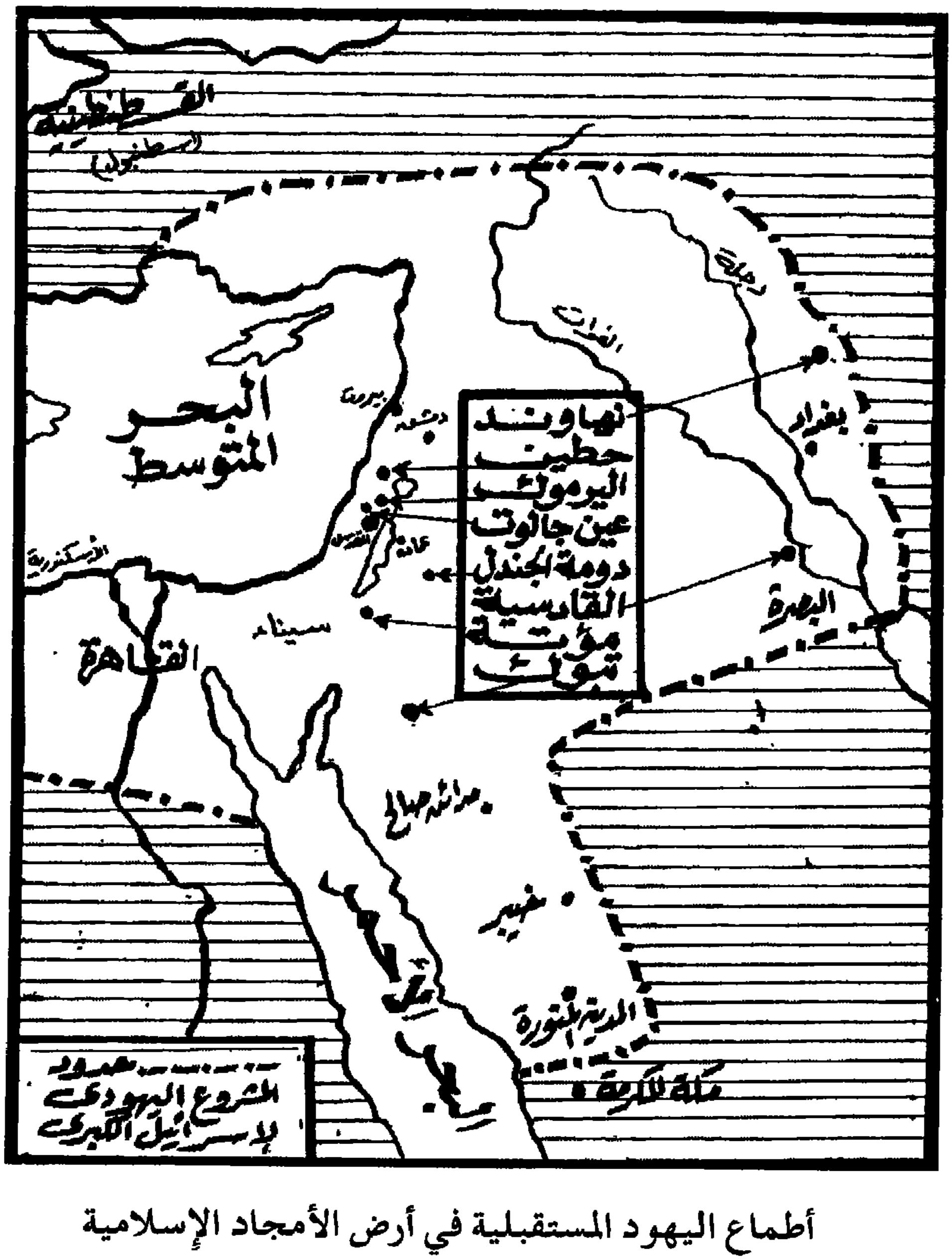
ظل مكان المسجد خالياً من بناء مقام فيه بقية عهد الرومان النصارى حتى حدث الإسراء بالنبي ﷺ في عهد الحاكم الروماني هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) في العام السابق للهجرة، ولما جاء وقت الفتح الإسلامي لبيت المقدس (١٥هـ/ ٦٣٦م) في عهد خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ (١٣ ـ ٢٣ هـ)، لم يكن لليهود آنذاك وجود بها، بل إن (صفرونيوس) بطريرك النصارى اشترط في عقد تسليم المدينة ألاّ يدخل المدينة أحد من اليهود.

وهكذا أغلق التاريخ ملف بني إسرائيل أو أهل الكتاب من يهود ونصارى فيما يتعلق بحيازة تلك الأرض المباركة ووراثتها وسدانة معبدها، لتنتقل الأرض والمسجد بعد ذلك إلى حيازة ووراثة وصبغة الأمة الإسلامية، وارثة الرسالات، وحامية المقدسات، بعد أن أُسري بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إيذاناً ببدء العهد الإسلامي للأرض المقدسة في ظل الرسالة الخاتمة.

الفصل الثالث

بيت المقدس في كنف الإسلام

- في عهد الرسالة.
- في عهود الصحابة.
- في عهود الخلافة الأموية.
- في عهود الخلافة العباسية.
- في عهود الخلافة العثمانية.
- سقوط بيت المقدس بأيدي النصارى.
- سقوط بيت المقدس بأيدي اليهود.



أطماع اليهود المستقبلية في أرض الأمجاد الإسلامية

بيت المقدس
في كنف الإســلام

احتلت القدس والمسجد الأقصى منزلة رفيعة في الإسلام، بعد أن تحولا إلى إرث الأمة الخاتمة، ولم يكن تعلق المؤمنين من بني إسرائيل بهذه المقدسات بأكثر من تعلق المؤمنين من أتباع محمد ﷺ بها؛ فالقدس والأقصى يسكنان قلب كل من له قلب من المسلمين.

ولقد جاء النبي الخاتم محمد ﷺ بالشريعة الخاتمة، والكتاب الأخير المهيمن على كل ما سبقه من كتب وما سلفه من رسالات: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، الأمر الذي ألقى مسؤولية حفظ وتكريم المقدسات على كاهل المنتسبين للكتاب المهيمن والرسالة الخالدة.

إن مكة والكعبة كانتا مقدستين في ملة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فامتد تقديسهما وتكريمهما عند هذه الأمة المسلمة. وبيت المقدس والمسجد الأقصى كانا مقدسين في ملة إبراهيم وإسحاق، وامتد تقديسهما وتكريمهما كذلك عند الأمة المسلمة.

وقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات البركة والطهر والقدسية في آيات متعددة:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا

خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾.

[الأعراف: ١٣٧].

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨].

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وجاءت الإشارة إلى قدسية هذه الأرض حين أقسم الله بها مع غيرها في سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾.

[التين: ١-٣][1].

- وفي قوله - تعالى - عن عيسى وأمه - عليهما السلام -: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون ٥٠]، إشارة إلى بيت المقدس، كما قال قتادة وكعب والسُّدي[2].

- وفي قوله - تعالى -: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ورد في تفسيرها أن المنادي هو إسرافيل؛ ينادي من صخرة بيت المقدس[3].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير، (٤/ ٥٦٣).

(٢) انظر فتح القدير، (٣/ ٤٨٦).

(٣) ابن كثير، (٤/ ٢٤٧).

ـ وفي قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، جاء في تفسيرها عن عكرمة أنها المساجد الأربعة: الكعبة، ومسجد قباء، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس(١).

قال الإمام ابن تيمية: «وقد دل الكتاب والسنة وما رُوي عن الأنبياء المتقدمين ـ عليهم السلام ـ مع ما عُلم بالحس والعقل وكشوفات العارفين، أن الخلق والأمر ابتدءا من مكة أم القرىٰ، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة علىٰ أن «مُلك النبوة» بالشام، والحشر إليها، فإلىٰ بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلىٰ الشام كما أسرىٰ النبي ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ»(٢).

وقال ابن كثير في تفسير آية الإسراء: «﴿... إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، هو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن(٣) الأنبياء من إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ولهذا جُمعوا له هناك ﷺ كلهم، فأمَّهم في محلتهم ودارهم، فدل علىٰ أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم»(٤).

(١) فتح القدير، (٤/ ٣٤).
(٢) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، (٢٧/ ٤٣، ٤٤)، مكتبة ابن تيمية، مصر.
(٣) معدن الأنبياء أي: الأصل الذي نبتوا فيه.
(٤) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٢).

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطَّأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين. وكان في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى ـ وهو المعبد العريق في القِدم ـ هي الصبغة الإسلامية، فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمَّ رسولها سائر الأنبياء.

ولقد سُميت السورة التي ذكر فيها المسجد الأقصى سورة (الإسراء) وسورة (بني إسرائيل)، وجاء فيها قوله ـ تعالى ـ لبني إسرائيل: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾ [الإسراء: ٨]. أي إن عدتم للإفساد عدنا عليكم بالعقوبة، ففي حادثة (الإسراء) إلغاء أبدي وطيٌّ سرمدي لصفحة (بني إسرائيل) من سجل التفضيل والاصطفاء.

ولا شك أن في اقتران الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات العُلى بالمسجد الأقصى دليلاً باهراً على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله ـ تعالى ـ ودليلاً كذلك على صحة القول بأن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا، وأنه المصعد من الأرض إلى السماء؛ ولهذا عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء منه.

وقد وردت إلى جانب الآيات آنفة الذكر أحاديث نبوية يتبين لنا منها مدى ما لبيت المقدس والمسجد الأقصى من منزلة وفضل في الإسلام منها: ـ

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله ـ عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لاتُشدَّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى»**(١).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٨٦) (٢٠)، كتاب فضل الصلاة (١) باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (١١٨٩) واللفظ له، ورواه مسلم (٢/ ١٠١٤) (١٥)، كتاب الحج (٩٥) باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (٥١١)، والحديث مروي عن جماعة من الصحابة بحيث دخل في حد المتواتر.

٢ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وُضع في الأرض. قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ»(١).

٣ ـ عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم عُرج بي إلى السماء»(٢).

٤ ـ عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدَّجال، فذكر الحديث وفيه: «.. وعلامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور»(٣).

٥ ـ عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٦٩) (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء (١٠) بابٌ ـ رقم (٣٣٦٦) و(٤٠) باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ رقم (٣٤٣٥)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٧٠) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (١، ٢) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١/ ١٤٥) (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، فرض الصلاة، رقم (٢٥٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٣)، وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر: رجاله ثقات ـ فتح الباري (١٣/ ١٠٥).

ولدته أمه»، قال رسول الله ﷺ : «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة»[1].

٦ ـ عن ميمونة مولاة النبي ﷺ وسلم قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره». قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتاً يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»[2].

٧ ـ عن ذي الأصابع ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله: إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟ قال: «عليك ببيت المقدس. فلعله ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون»[3].

٨ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له: « يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة؟ قال: قلت: إلى السعة والدعة، أنطلق حتى أكون من حمام مكة. قال: كيف تصنع إن أُخرجتَ من مكة؟ قال: قلت: إلى السعة والدعة،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٦)، ورواه ابن ماجه (١/ ٤٥٢) (٥)، كتاب إقامة الصلاة (١٩٦)، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، رقم (١٤٠٨) وصححه الألباني في التعليق الرغيب (٢/ ١٣٧)، وصحيح ابن ماجه (رقم ١١٥٦).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٤٦٣)، ورواه أبو داود (١/ ٣١٥) (٢)، كتاب الصلاة (١٤)، باب من السرج في المساجد رقم ٤٥٧. ورواه ابن ماجه (١/ ٤٥١) (٥)، كتاب إقامة الصلاة (١٩٦)، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس رقم (١٤٠٧)، وقال في مصباح الزجاجة (١/ ٢٥٠): «وإسناد طريق ابن ماجه صحيح ورجاله ثقات، وهو أصح من طريق أبي داود».

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٨٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وعبد الله في زيادته على أبيه. وفيه عثمان بن عطاء، وثقه دحيم وضعفه الناس». انظر ترجمة (عثمان بن عطاء) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨).

إلى الشام والأرض المقدسة. قال: وكيف تصنع إن أُخرجتَ من الشام؟ قال: قلت: إذن ـ والذي بعثك بالحق ـ أضع سيفي على عاتقي..»[١] الحديث.

٩ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة»[٢].

١٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس. قال: فقلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»[٣].

١١ ـ عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تقذرهم نفس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف»[٤].

١٢ ـ عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٦)، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا السليل ضريب بن نقير لم يدرك أبا ذر.

(٢) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣، ٦٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٧/ ١٣٣)، ح (٥١٤٦)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في الترمذي مع التحفة (٦/ ٤٦٣-٤٦٤)، وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد (١١/ ٨٨)، ح (٦٦٨٧١)، والطيالسي، ح (٢٢٩٣)، بنحوه، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

بصري، فعُمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»(١).

١٣ ـ عن ابن حوالة الأزدي ـ رضي الله عنه ـ قال: «وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي، أو على هامتي، ثم قال: يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك»(٢).

١٣ ـ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه، ثم قال: «إن هذا الحق كما أنك ها هنا ـ أو كما أنك قاعد» يعني معاذاً(٣).

١٥ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرف إلى الكعبة»(٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٩٨، ١٩٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٢)، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي، وهو ثقة، وقال ابن حجر: سنده صحيح.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٨٨)، وأبوداود (٣/ ٤١)، (٩) كتاب الجهاد (٣٧) باب في الرجل يلتمس الأجر والغنيمة، رقم (٢٥٣٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٢٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح (٧٨٣٢)، ومشكاة المصابيح ح (٥٤٤٩).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه موقوفاً على معاذ. وقال: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي. قال ابن كثير في هذا الحديث: إسناده جيد، وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٥)، والبخاري نحوه عن البراء (٨) كتاب الصلاة، (٣١) باب: التوجه نحو القبلة حيث كان.

وهذه المناقب والفضائل كانت حادياً للمسلمين منذ عهد الرسالة ثم عهد الصحابة ثم ما تلا ذلك من عهود؛ لكي يرفعوا رايات الجهاد، كلما تهددت قدسية الأرض المقدسة بسوء، وكان علماء الإسلام يشحذون همم المسلمين بتلك المناقب لكي تظل الأرض المقدسة في الشام خالصة للتوحيد، كما هو الشأن في مكة مهد التوحيد.

هذا، وقد قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدتُه في تحضيض المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهيي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه، وهذه المناقب أمور: أحدها البركة، وتثبت بخمس آيات من كتاب الله؛ حيث ذكر الله أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرى الرسول ﷺ إليها، وانتقال بني إسرائيل إليها، ومملكة سليمان بها، وأيضاً ففيها الطور الذي كلَّم الله عليه موسى، والذي أقسم الله به في سورة (الطور)، وفي: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢]، وفيها المسجد الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبرهيم، وإليها مسرى نبينا ﷺ، ومنها معراجه، وبها ملكه وعمود دينه وكتابه، وطائفة منصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد، كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى، من تحتها دحيت الأرض، والشام إليها يحشر الناس، كما في قوله ـ تعالى ـ ﴿لأول الحشر﴾؛ حيث نبه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإيلياء معاد في الخلق وكذلك في الأمر؛ فإنه أسرى بالرسول ﷺ من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه بالشام. فمكة هي الأول، والشام هي الآخرة في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى، (٢٧/ ٥٠٥).

تنبيهات هامة:

أولاً: نُذكِّر بأن أرض المسجد الأقصى هي أرض مقدسة بغض النظر عن وجود بناء لمسجدٍ فيها أو عدم وجوده، فهي كانت مقدسة قبل أن يبنى فيها المسجد، تماماً كما كانت الأرض التي عليها الكعبة مقدسة قبل أن يبني إبراهيم ـ عليه السلام ـ الكعبة عليها. فالمكان نفسه مبارك ـ أي مكان أرض الكعبة ـ كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ [الحج: ٢٦] فظهر من هذه الآية أن المكان مبارك مقدس، وما كان كذلك فلا يمكن أن يأذن الله ـ تعالى ـ شرعاً بأن يكون سكناً خاصاً بالمشركين والكافرين فضلاً عن أن يقيموا فيه شعائرهم الكفرية والشركية.

وكذلك الأمر في أرض بيت المقدس التي وصفت بالبركة والقدسية في آيات كثيرة كما سبق ذكرها. وقد مرَّ أن النبي ﷺ عندما أسري به إلى المسجد الأقصى لم يكن هناك بناء إلا السور المحيط بأرض المسجد، ثم أضفى المسجد عليها قدسية أخرى لأنه المكان الذي تمارس فيه عملياً شعائر التوحيد المأمور بها، ولهذا تختص تلك الأماكن المقدسة بأن ما يقام فيها ـ من المساجد التي تشد إليها الرحال ـ أمر توقيفي؛ ليس لأحد أن يغير مواضع وأماكن البناء فيه، يقول ابن تيمية: «ولم يبن أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مسجداً ودعا الناس إلى السفر للعبادة فيه إلا هذه المساجد الثلاثة»، ثم قال: «ولهذا لا يجوز تغيير واحد من هذه المساجد الثلاثة عن موضعه»(١).

(١) مجموع الفتاوى، (٢٧/ ٣٥٣).

ثانياً: من التعبيرات الشائعة خطأً بين الناس وفي سائر وسائل الإعلام وصف المسجد الأقصى أو الساحة حوله بأنها (حرم)، فيقال: (الحرم القدسي) أو (ثالث الحرمين) أو نحو ذلك، وهذا التعبير خطأ من الناحية الشرعية؛ لأن المسجد الأقصى والساحات المحيطة به مع أنها مباركة ومقدسة بنصوص الوحي إلا أن ذلك الوحي لم يُثبت لها حكم (الحرم) الذي تتعلق به في الإسلام أحكام خاصة، مثل ألاّ يقطع شجره، ولا ينفَّر صيده، ولا يختلى خلاه ولا تُلتقط لقطته، إن تلك الأحكام ثابتة في حرمي مكة والمدينة ولها تفاصيلها في مظانها من كتب الفقه، أما أرض المسجد الأقصى، فلم يتعبدنا الله ـ تعالى ـ بهذه التكاليف فيها على ما قرره أهل العلم، وإذا كان وصف (الحرم) لا يصدق على المسجد الأقصى؛ فإنه لا يصدق على المسجد الإبراهيمي من باب أولى، فلا يصح أن يقال: (الحرم الإبراهيمي).

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «ليس ببيت المقدس مكان يسمى (حرماً) ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع، إلا ثلاثة أماكن: أحدهما: هو حرم باتفاق المسلمين، وهو حرم مكة شرفها الله ـ تعالى ـ. والثاني حرم عند جمهور العلماء، وهو حرم النبي ﷺ من عير إلى ثور، بريد في بريد؛ فإن هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد، وفيه أحاديث مستفيضة عن النبي ﷺ، والثالث «وج» وهو وادٍ بالطائف، فإن هذا روي فيه حديث رواه أحمد في المسند، وليس في الصحاح، وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث، وليس حرماً عند أكثر العلماء، وأحمد ضعَّف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به، وأما سوى هذه الأماكن الثلاثة، فليس حرماً عند أحد من علماء المسلمين، فإن الحرم ما حرَّم الله صيده ونباته، ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجاً عن هذه

الأماكن الثلاثة»[1].

ثالثاً: الصخرة لا تتعلق بها عبادة خاصة في الإسلام، وعلى الرغم من التاريخ الديني العريق لها قبل الرسالة إلا أن دين الإسلام حصر التعظيم على سبيل التدين والتقرب في المسجد الأقصى، وهو الذي بناه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مكانه القائم به الآن، ولم يرض عمر - رضي الله عنه - أن يبنى المسجد خلفها، حتى لا تُتخذ قبلة للمسلمين بعد أن نسخ الله التوجه إليها بالكعبة المشرفة.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: «وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة، كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى - عليه السلام - ثم نُسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة، فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يعظمها اليهود وبعض النصارى»[2].

ولكن باعتبار أن مسجدها يدخل ضمن الأرض التي يطلق عليها وصف (المسجد الأقصى)، وهو كلُّ ما كان بداخل السور؛ فإن فضائل المسجد الأقصى تعم أرض المسجد المقام على الصخرة، دون أن تختص الصخرة نفسها بعبادة خاصة، ولكن تبقى الصلاة في المسجد المخصوص الذي بناه عمر - رضي الله عنه - أفضل من سائر الساحة المباركة داخل السور.

قال ابن تيمية: «فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في مقدمه. والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد»[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٧/ ١٤، ١٥).
(٢) المصدر السابق، (٢٧/ ١٢، ١٣).
(٣) المصدر نفسه، (٢٧/ ١١).

لمحات من تاريخ المسجد الأقصى وبيت المقدس في الإسلام:

بعد أن بينت ـ فيما سبق ـ المراحل التي مر بها المسجد الأقصى والأرض المقدسة في التاريخ السابق للبعثة، أشير الآن إلى المعالم التاريخية البارزة المميزة التي مرت بالمسجد المبارك والأرض المباركة من حوله خلال المراحل المتتابعة من التاريخ الإسلامي.

أولا: في عهد النبي ﷺ:

صعد النبي ﷺ إلى السماوات العُلى، ليرى من آيات ربه الكبرى، وكان المسجد الأقصى هو المكان الذي صعد منه. . وكان حدث المعراج شرفاً آثر الله به النبي العظيم من ذلكم المسجد العظيم ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلة عظيمة. .

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يشرف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، ولكن الواقع أن بيت المقدس كان له نصيب آخر من أحداث عهد النبوة؛ إذ توجه إليه اهتمام الرسول ﷺ عملاً بعد أن ندب إلى تكريمه وتعظيمه معنىً.

فبعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تم فتح مكة المكرمة وأعز الله دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرفة. . تلفتت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليطهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير. . تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلت بها.

وكان رسول الله ﷺ قد بعث برسائل إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام، وبعث الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قِبَل الروم (شرحبيل بن عمرو الغساني)؛ ولكنه أوثق المبعوث رباطاً وقتله، ولم يُقتل

لرسول الله ﷺ رسول غيره، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج للشام في العام الثامن للهجرة، فاجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل قد تهيؤوا للخروج إلى مؤتة[1] ولم يخرج النبي ﷺ معهم، وفي هذه الغزوة قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة الذي تناول الراية من يد أخيه جعفر بعد استشهاده، ثم لما قتل ابن رواحة شهيداً التقف الراية سيف الله المسلول خالد ابن الوليد، ففتح الله عليه بأن انسحب ببقية الجيش انسحاباً آمنا بعد أن ناوش الروم ونال منهم حين انسحابه، وقد حمد له النبي ﷺ هذا الصنيع.

ثم إن الروم قد بدأت بحشد الجيوش للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك؛ حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى - عليه السلام - ومنها رُفع، وهم يدَّعون أنه صُلِب وقتل ثم دُفن فيها[2]، وأعد الرومان حشودهم ليعيدوا الكَرَّة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة ترده من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة، وتنامت إلى أسماع المسلمين أنباء الإعداد النصراني، ومع أن قتال الروم ليس بالغزوة السهلة أو الموقعة اليسيرة لكون دولتهم دولة عظمى آنذاك، تبسط سلطانها على عدة قارات، مع ما تملك من الموارد الكثيرة رجالاً وأموالاً.. مع ذلك كله لم يجد النبي ﷺ بُداً من استنفار المسلمين لملاقاة ذلك العدو المستكبر، وذلك بعد منصرفه من الطائف في السنة التاسعة للهجرة.

---

(١) (مؤتة) منطقة تقع شمال البتراء في شرق الأردن، قرب الطرف الجنوبي للبحر الميت من جهة الشرق.

(٢) نقلت إذاعة لندن في ١٣ أكتوبر ١٩٨٨م خبراً مفاده أن متحدثاً كنسياً باسم الكنيسة الإيطالية أكد أن الاختبارات البريطانية أثبتت بما مقداره (٩٥٪) من اليقين أن المكان الذي اشتهر بأن المسيح عيسى بن مريم مدفون فيه خلال قرون طويلة مضت، ليس هو المكان الذي فيه المسيح! وأن الكفن الموضوع هناك يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي!

وقد اكتنفت إعداد الجيش الذي أنشئ لقتال الروم في الشام ظروف عصيبة، حتى سُمي جيش العسرة، والآيات التي أنزلت في القرآن متعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال بين أهل الإسلام وغيرهم من ملل الكفر.. فسورة التوبة تفيض بصفحات طوال عن أنباء وأحوال جيش العسرة.

ولما بلغ الجيش الإسلامي تبوك لم يجد للرومان أثراً يدل على استعداد لحرب، فيبدو أنهم آثروا الاختفاء عن ملاقاة جيش الإسلام الفتي الذي خرج في عدد لم يخرج المسلمون بمثله من قبل؛ إذ كان نحواً من ثلاثين ألفاً من المقاتلين المعبئين تعبئة لم تُسبق لجيش إسلامي، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزة للمسلمين، فأقفل الرسول ﷺ بالجيش عائداً إلى المدينة بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقائهم(١).

وبعد أن عاد ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أراضي الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - وكان أسامة شاباً حدثاً لم يجاوز الثماني عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة - رضي الله عنه - الذي قتل في غزوة مؤتة وأن يوطيء الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين، وكان ذلك مع مبدأ شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه.

وتجهز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذا الوقت اشتدت برسول الله ﷺ شكواه التي قبضه الله - تعالى - فيها، فأقام الجيش هناك ينتظرون ما الله قاضٍ في هذا الأمر.

---

(١) انظر تاريخ الطبري، (٣/ ١٤٦، ١٤٧).

ثانياً: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

اختار الله - عز وجل - نبيه ﷺ للقائه، وآثر ﷺ الرفيق الأعلى على البقاء في الدنيا. واختارت الأمة أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ في ظروف عصيبة، ومنعطف حاد في مسيرة الدعوة الإسلامية.

وبدأ الخليفة الجديد في ترتيب أمور الدولة والإبقاء على النظام والاستقرار فيها، ووجد بعث أسامة ينتظر قراراً بالإنفاذ أو الإيقاف؛ ولكن الصديق كعادته في الوفاء لرسول الله ﷺ أبى إلا أن يُنفذ جيشاً أعده الرسول ﷺ قبل وفاته، ووجه الجيش إلى تخوم البلقاء، فسار إلى حيث وجهه أبو بكر. ولم يكد عهد أبي بكر - رضي الله عنه - يستقر حتى تداعت فتنة العرب المرتدين تتكالب على أمة لم تندمل جراحها بعد بسبب مصابها الجلل في قائدها وإمامها ونبيها ﷺ.

وشمر أهل الدعوة للدفاع المستميت عنها في حقبة رهيبة، ومع ذلك لم ينشغل القائد والخليفة بمهم الأحداث عن أهمها، ولم تلفه تداخلاتها، بل نسَّق جهوده، ورتب خطواته في مسيرة الحفاظ على الأمانة التي تحملها أمام الله - تعالى - وأمام أمة الإسلام.

أدرك أبو بكر - رضي الله عنه - خطورة الخطوة التي تجرأ عليها المرتدون، وعزم على قتالهم، ولم يلتفت إلى نصح من نصحه بالكف عنهم، وقال قولته: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة». وقال «والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي، ولو خالفتني يميني لقاتلتهم بشمالي». ونُصح أبو بكر أيضاً بالاستفادة من بعث أسامة في قتال المرتدين، ولكنه أصر على إتمام إنفاذ جيش أسامة.

وأتم الله - تعالى - لأبي بكر النصر الحاسم على المرتدين، وتوجه نظره بعد

ذلك إلى توجيه جيش إسلامي كبير إلى الشام وإلى العراق، فوجه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاه إمرة الجيوش، كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثني عشر ألفاً[1]، ثم أسند أبو بكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف الله المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق، وبدأ الصدام بين جند الرحمن وجند الشيطان، والتقى يزيد بن أبي سفيان في وادي عربة جيشاً نصرانياً يقوده البطريرك (سرجيوس)، فهزمه شر هزيمة سنة ١٣هـ، ثم وقع الالتقاء الثاني بين جيش الإسلام وجيش الروم بقيادة (ثيودورس) شقيق هرقل، في جمادى الأولى من العام نفسه في منطقة (أجنادين)[2].

وكان (ثيودورس) قد توجه بجيشه البالغ مائة ألف مقاتل، زوده بمعظمهم هرقل، وظل هرقل في حمص، وعين قائداً آخر هو (وردان) على اثني عشر ألف مقاتل ووجهه إلى بعلبك، وأمره أن يحاول منع المسلمين من التجمع تحت قيادة خالد بن الوليد الذي كان مُحاصِراً لدمشق في ذلك الوقت، وجرت محاورات والتفافات قرر هرقل بعدها تجميع جيوشه في أجنادين، فتجمع جمع مبارك من أفذاذ القادة المسلمين حتى ينهزم الجمع المشرك ويولوا الأدبار.

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه وكان بأرض بصرى، ومعاذ بن جبل بجيشه وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر، أما عمرو بن العاص فكان بفلسطين، واتجه الجميع إلى

(١) انظر الكامل، لابن الأثير، (٢/ ٢٢).
(٢) منطقة في فلسطين بين الرملة وبيت جبرين.

أجنادين بفلسطين، يتقدمهم سيف الله المسلول. وكان في المؤخرة أبو عبيدة مع الأحمال والأموال، وبدأت رحى المعركة تدور بضراوة حتى انجلى غبارها عن نصر مظفر لأهل لا إله إلا الله.

وتمخضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان وغزة والرملة وعكا واللُّد، وفتح عمرو بن العاص مدناً أخرى منها يافا ورفح[1]. وبهذا مهدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق الطريق للزحف نحو بيت المقدس.

وطار الرشاد من عقل الدولة البيزنطية وهي تعاين معاقلها تتهاوى وحصونها تندك تحت أقدام جند الله المؤمنين، فحشدت جيوشاً جرارة أخرى قوامها خمسون ألفا، وقيل مائة ألف مقاتل، وتجمع الجيش الروماني في اليرموك بقيادة (ثيودورس) أخي هرقل ليواجه جيش المسلمين البالغ خمسة وعشرين ألفاً منهم ألف صحابي ومائة بدري، إلا أن الله ـ عز وجل ـ نصر جنده مرة ثانية وفتح للمسلمين فتحاً مبيناً، وتمت السيطرة على المنطقة الوسطى من سوريا التي تحمي ظهورهم بالبادية مما مهد لفتح بيت المقدس بعد ذلك.

وبعد هذه الأحداث بوقت قريب لحق أبو بكر بملأ السماء، وظفر جثمانه الطاهر بجوار الرسول ﷺ في يوم ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، بعد أن أنجز الوعد ووفى بالعهد.

ثالثاً: في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

انتهى دور خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في قيادة جيش اليرموك بانتهاء حياة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وعيَّن عمر بن الخطاب أبا عبيدة قائداً بعد خالد،

(١) انظر: (فتوح البلدان)، للبلاذري، ص (١٤٤، ١٤٥).

حتى لا يفتن الناس بخالد المظفَّر الذي لم يُهزم في معركة قط، وحتى يعلموا أن النصر من عند الله وليس من عند خالد.

ووجه عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - لفتح المدينة المقدسة، وكان معسكِراً في الجابية[1]، ولما وصله رسول عمر قام أبو عبيدة بتوجيه خالد بن الوليد في خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس، ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبي سفيان، ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة - رضي الله عنهم جميعاً - واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة، وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة في أيام برد شديد، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار بعد مرور أربعة أشهر، فطلبوا الصلح من أبي عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه.

فأجابهم أبو عبيدة إلى مرادهم وأرسل طالباً إلى الخليفة عمر - رضي الله عنه - أن يحضر لتسلم المدينة، وجاء وفد أبي عبيدة إلى المدينة وبصحبتهم وفد من النصارى، فسألوا عن أمير المؤمنين ليبلغوه طلب رؤسائهم، واشتد عجبهم عندما رأوا قائد دولة المسلمين مفترشاً الأرض تحت ظل شجرة يحتمي بها من قيظ الحر.

أجابهم عمر وقرر الخروج إلى إيلياء، وكانت لا تزال تسمى بهذا الاسم، ووصل عمر الفاروق المحدَّث المظفَّر إلى المدينة ليحرر مسرى رسول الله ﷺ من آصار الشرك الصليبي. ودخل القدس عن طريق جبل (المُكبِر)[2] الذي سمي بهذا الاسم لأن عمر - رضي الله عنه - لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبَّر وكبَّر معه المسلمون.

---

(١) وهي قريبة من منطقة الجولان الآن.
(٢) وهو جبل (طور زيتا).

وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ ممتطياً بعيراً أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الآخرىٰ تمر، وبين يديه قربة مملوءة بالماء، وخلفه جفنة للزاد[1] وذكر ابن الجوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغلامه، فنزل عمر وركب الغلام وعمر يمسك بخطام البعير، فلما رآه المحصورون آخذاً بمقْوَد الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكىٰ بطريرك النصارىٰ (صفر يونيوس) وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلىٰ قيام الساعة»[2].

وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهىٰ من كتابتها طلب من البطريرك أن يدله على مكان مسجد داود[3]، فسار وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، وراوغهم البطريرك ليعمي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضىٰ بهم إلىٰ مكان مسجد بيت المقدس حتىٰ وصلوا الباب المسمىٰ (باب محمد) وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة علىٰ درجه، فتجشم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يميناً وشمالاً ثم قال: «الله أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود ـ عليه السلام ـ الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه أسري به إليه»، وكان على الصخرة زبْل كثير مما طرحته الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل والمسلمون يحذون حذوه، ومضىٰ عمر نحو مكان محراب داود فصلىٰ فيه وقرأ سورة ﴿صٓ﴾ وسجد[4].

وذكر المؤرخون أن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما دخل

(١) فتوح الشام، للواقدي (١/ ٢٣٥، ٢٣٦).
(٢) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (١/ ٢٥٧).
(٣) ولم يكن هناك بناء لمسجد، وإنما سُمي مسجداً باعتبار كونه مكان مسجد.
(٤) الأنس الجليل، (١/ ٢٢٥، ٢٢٦)، وانظر البداية والنهاية، (٧/ ٥٦ ـ ٦٢).

الساحة سأل كعب الأحبار الذي كان من جنود الفتح وكان يهودياً فأسلم - رضي الله عنه - سأله عن مكان الصخرة، فدله عليها وكانت مغطاة بالزبل، فأزال عمر ومعه المسلمون الزبل من عليها، وقرر أن يبني هناك مسجداً، فاستشار كعب الأحبار فأشار عليه أن يبنيه خلف الصخرة لتجتمع قبلتا موسى ومحمد - عليهما السلام - ولكن عمر رفض وقال له: «ضاهيت اليهودية يا كعب»، وأقام المسجد أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته(١).

رابعاً: في العهد الأموي:

ظل المسجد الذي أقامه عمر بن الخطاب قائماً في عصور الخلفاء الراشدين التالية لعهده، حتى جاء عهد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - أول خليفة في دولة بني أمية، فنودي بالبيعة له في مدينة القدس، ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠ هـ في مدينة القدس(٢)، وتولى الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد عملية إعمار المدينة المقدسة وتجديدها، وظلت أعمال الإعمار جارية على قدم وساق حتى أصبحت مدينة بيت المقدس في عهدهما من أعظم المراكز في الدولة الإسلامية فقد أعادا بناء الأسوار المحيطة بالمدينة، وأقاما الأبنية والقصور بجوار الزاوية الجنوبية لسور المسجد ليسكنها أمراء القدس في العهود الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية فيما بعد(٣)، وأخذ عبد الملك البيعة لنفسه في بيت المقدس كما ذكر ذلك خليفة بن خياط(٤). وتولى تشييد مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وكلف عبد الملك لهذه المهمة أحد

---

(١) فتوح الشام، (١/ ٢٤٢).
(٢) انظر تاريخ الطبري، (٦/ ٩٣).
(٣) تاريخ القدس في الإسلام، ص ١١٩.
(٤) الطبقات، (١/ ٣٢٩).

العلماء الأعلام وهو أبو المقدام رجاء بن حيوة، ومعه يزيد بن سلام. وكان البدء في ذلك البناء عام ٦٦ هـ ـ ٦٨٥م. وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشييدهما. وتم البناء عام ٧٢ ـ ٧٣ هـ، وبعد الانتهاء من ذلك الإنجاز، كتب رجاء ويزيد إلى عبد الملك بدمشق رسالة جاء فيها: «قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم كلام. وقد بقي مما أمر أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم، مائة ألف دينار ـ فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب».

فكتب إليهما الأمير: «قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك»، فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا فضلاً عن أموالنا..»(١).

أما الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، فإنه لما تولى الحكم طلب من جميع ولاته أن يزوروا المسجد الأقصى ويقسموا يمين الطاعة والعدل بين الناس فيه.

خامساً: في العهد العباسي:

ظلت المدينة المقدسة ومسجدها في صيانة وحفظ تحت جناح الدولة العباسية [١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ]، وزاد اهتمام العباسيين بها في عهد أبي جعفر المنصور، فقد أولى المسجد الأقصى عنايته بعد أن تعرضت الأرض المقدسة لزلزال تهدمت بسببه أجزاء من المسجد، فلما وصل الخبر إلى الخليفة وقيل له: إن كل ما في بيت المسلمين لا يفي برد المسجد إلى ما كان عليه. لم يعجزه ذلك بل أرسل إلى أمرائه

(١) الأنس الجليل، (١/ ٢٧٣).

وعماله وسائر قواده بأن يتولى كل واحد منهم بناء رواق من أروقة المسجد، فبنوه أوثق وأمتن وأحسن صناعة مما كان عليه وكان ذلك في سنة ١٥٤ هـ[١].

وكذلك قام الخليفة المهدي بإصلاحات في المسجد عام ١٥٨ هـ، وزاد في طوله، وفي عهد المأمون الذي بويع سنة ١٩٨هـ، وجه نظره أيضاً لإصلاح المسجد بعد أن بليت بعض معالمه.

وظل المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محميين تحت كنف دولة العباسيين حتى انتهى عصرها.

سادساً: في العهد الطولوني ثم الإخشيدي ثم الفاطمي

استمرت القدس ومسجدها الأقصى في أمان واستقرار تحت حكم الطولونيين منذ تولى الحكم أحمد بن طولون، ودخلت تحت حكم الإخشيديين في عهد محمد بن طغج الملقب بالإخشيد، واستمرت على هذا حتى انتهى عهد الدولة الإخشيدية.

ثم وقعت القدس تحت طائلة الحكم الرافضي العُبيدي في عهد الحاكم الفاطمي المعز لدين الله، حيث احتل قائده جوهر الصقلي فلسطين في عام ٣٥٩هـ، إلا أن هؤلاء الحكام الفاطميين الذين تبنوا ظاهراً المذهب الشيعي عملوا على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين، وتزاوجوا منهم، واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين والأطباء[٢].

(١) تاريخ القدس، ص ٢١٥.
(٢) راجع تاريخ القدس، ص ٢٢٣.

وازدادت هذه الظاهرة في عهد الحاكم العزيز بالله [٣٦٥-٣٨٦ هـ] الذي تزوج من امرأتين نصرانيتين، كانت إحداهما أم ولده الذي تولى الحكم سنة ٣٨٦ هـ، ولقب بالحاكم بأمرالله الفاطمي، ولقد عمل هذا الخبيث على تقريب النصارى أكثر وأكثر، ولا عجب من أمثاله في ذلك، فقد كانت أمه وجاريته نصرانيتين، وتلقى تربيته وعلمه على أيدي النصارى، وعيَّن شقيق جاريته النصراني أسقفاً بالقدس، وكان وزيره (عيسى بن نسطور) نصرانياً، وطبيبه (أبو الفتح منصور بن معشر) نصرانياً، وكان نائبه في سوريا يهودياً؛ ولكن على الرغم من كل ذلك عاد الخليفة العبيدي (الحاكم بأمر الشيطان) فانقلب على النصارى وعلى اليهود إلى الضد ثم رجع مرة أخرى إلى تقريبهم واسترضائهم.

وفي عهد الخليفة الظاهر والخليفة المستنصر بالله أبرمت المعاهدات بين الدولة الفاطمية والدولة الرومية البيزنطية النصرانية، وأدى هذا إلى رواج وانتعاش الوجود النصراني في المدينة المقدسة، وفتح ذلك أعين النصارى على الاستيلاء على هذه الأرض فيما بعد.

وفي عام (٤٦٥هـ/ ١٠٧١م) بعث ألب أرسلان السلجوقي بجيش إلى فلسطين، استطاع به أن ينتزعها من يد الدولة الفاطمية، وأقام الدعوة العباسية بالقدس.

ثم استعاد الفاطميون الباطنيون القدس من السلجوقيين مرة أخرى عام (٤٩١هـ/ ١٠٩٨م) في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي بالله، ولم تلبث القدس أن انتزعها الصليبيون من يد أوليائهم الفاطميين الذين كانوا من الأسباب الرئيسية في النكبة الصليبية التي حلت ببيت المقدس.

سقوط القدس في يد الاحتلال الصليبي:

لم يكن نجاح النصارىٰ في انتزاع بيت المقدس من أيدي الفاطميين مصادفة بلا خلفيات، لا . . بل إن الذي يدرس تاريخ الروافض ويتعرف علىٰ هويتهم المشبوهة يسهل عليه استيعاب حقيقة الأمر الذي سارت عليه الأحداث.

فالدولة الفاطمية الرافضية كانت إحدىٰ الحركات الباطنية التي أعملت معاول الهدم في صرح الأمة الإسلامية، وكانت أيضاً سبباً في ضعف دولة الخلافة العباسية، وشارك أمراء السلاجقة الذين ظهروا نتيجة ضعف الدولة العباسية في التضحية بالأرض المقدسة، وتعامىٰ الطرفان عن الخطر الصليبي منشغلين بالصراع بينهما.

وما أشبه الليلة بالبارحة - عندما انشغل العرب والترك بالنزاع بينهما حتىٰ استلب النصارىٰ الإنجليز أرض فلسطين ثم أسلموها إلىٰ اليهود. . ولا تزال الليالي تشبه البارحات.

لقد بلغ من عمالة الفاطميين - أو بالأحرىٰ الباطنيين العبيديين الروافض - أن استعانوا بالصليبيين للقضاء علىٰ السلاجقة الأتراك! وفي الوقت الذي كان الصليبيون في طريقهم إلىٰ القدس، وكانت مدن الشام تتساقط تحت أقدامهم، كان الفاطميون والسلاجقة يتناوبون التنازع علىٰ المدينة المقدسة متجاهلين خطر الجيش النصراني - إذا لم نقل: متواطئين علىٰ دخول الجيش النصراني - ولم يحرك قائد الفاطميين (الأفضل شاهنشاه) ساكنا إلا عندما جاء الخبر بحصار الصليبيين للقدس.

ولاحت الفرصة الذهبية لأهل الصليب لكي ينفثوا أحقاد قرون خلت في جسد الأمة الإسلامية، ولكي يحققوا حلماً دينياً وهدفاً سياسياً ومغنماً اقتصادياً

لا تعوض فرصته . . خاصة وأن الوقت كان في بدايات الألفية الثانية التي اعتقدت طوائف كثيرة من النصارىٰ أن المسيح عيسىٰ بن مريم سيعود فيها إلىٰ الأرض ليحكمها كلها من القدس؛ انطلاقاً مما يسمىٰ بالعقيدة الألفية التي كانت سبباً في عصرنا هذا أيضاً لتعاون النصارىٰ مع اليهود في السيطرة علىٰ بيت المقدس كله استعداداً لمقدم الألفية الثالثة، ألفية المسيح[1].

لقد انتهزت الزعامة البابوية النداء الذي وجهه البطريرك (سمعان الثاني) بطريرك القدس، و(بطرس الناسك)، وتوجه إلىٰ مجمع النصارىٰ عام ١٠٩٥م، ودعا إلىٰ شن حروب مقدسة ضد المسلمين لإخراجهم من بيت المقدس، فاستجاب ملوك وأمراء الإقطاع في أوروبا الوسطىٰ والغربية، لأن في تلبيتهم لهذا النداء استجابة للدعوات الألفية التي كانت منتعشة في ذلك العهد، إضافة إلىٰ أنها فرصة لتحقيق حلمهم القديم في إقامة امبراطورية جديدة في الشرق علىٰ غرار الامبراطورية الرومانية التي قصم المسلمون ظهرها في صدر الإسلام.

وتقدم جيش النصارىٰ يدق نواقيس الحرب في ألف وخمسمائة فارس وعشرين ألف راجل، ولولا الخذلان والضعف الذي كان مستولياً علىٰ جيش الفاطميين والسلاجقة لكان القضاء علىٰ هذا الجيش الصليبي سهلاً. وحاول الحاكم الفاطمي (افتخار الدولة) التصدي للغزو الصليبي ولو من باب الظهور بمظهر الغيرة ولكن الوقت كان قد تجاوزه، وخصوصاً بعد أن طلب النجدة من الخليفة فلم تصل إليه، فعرض علىٰ قائد الصليبيين (ريموند) مبلغاً عظيماً من المال مقابل الإبقاء علىٰ حياته وحياة حرسه الخاص.

وهكذا وقعت القدس في يد النصارىٰ بعد أربعين يوماً من الحصار، استبسل

(١) راجع كتاب: حمّىٰ سنة ٢٠٠٠ ـ للمؤلف ـ الفصل التاسع والعاشر.

أهلها أثناءها في الدفاع عنها لكن دون جدوى، وبعد أن مضى عليها خمسة قرون كاملة في ظل حماية دول الخلافة الإسلامية المتتابعة؛ سقطت مدينة القدس في يد عباد الصليب في نهار يوم الجمعة في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ في عهد خلافة المستعلي بالله الخليفة الفاطمي والمستظهر بالله الفاطمي.

وتهيأت لأهل الصليب الفرصة لأول مرة بعد أن أضاءت الدنيا بنور الإسلام أن يسددوا للمسلمين طعنة في الصميم.

دخل الصليبيون المدينة بعد فرار (افتخار الدولة) وحرسه، وانطلقوا في هوس و(هستيريا) يزرعون الرعب والدمار والخراب، منتشين بما أصابوا من نصر رخيص على حاكم أرعن، ولم يسلم من حقدهم وبطشهم رجل ولا امرأة ولا شيخ ولا طفل.. قتَّلوا في الجميع دون تمييز، وأراقوا الدماء دون تورع، وأشاهوا وجوه الناس وساؤوها فلم يسلم من ظلمهم خد أيمن ولا أيسر.

واستمرت المذبحة الرهيبة طوال يوم الدخول وليلته، واقتحموا المسجد الأقصى في صباح اليوم التالي، وأجهزوا على من احتموا فيه، واصطبغت ساحات المسجد بدماء العباد والزهاد والركع السجود، وتوجه قائد الحملة الصليبية (ريموند) في الضحى لدخول ساحة المسجد ملتمساً طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته [1]، وكان وقت هذه النكبة في شهر يونيو (حزيران) ١٠٩٩م.

وذكر المؤرخون أن الصليبيين قتلوا نحواً من سبعين ألفاً، وقيل خمسة وستين ألفاً، حتى كان النظر لايقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام

---

(١) انظر الكامل، لابن الأثير (١٠/ ١٩٤).

المقطوعة في الطرقات والساحات، ونهبوا جميع الأمتعة، وخربوا أثاث المسجد الأقصىٰ ومسجد الصخرة، ونهبوا القناديل التي بلغت نيفاً وأربعين قنديلاً من فضة، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا نيفاً وعشرين قنديلاً من ذهب[1].

ظل الصليبيون في بيت المقدس يشيعون فيه الإفساد مدة إحدىٰ وتسعين سنة، إلىٰ أن أذن الله بالنصر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فإنه لما اشتد عزمه لهذا الفتح المبين، خرج من دمشق وبدأ بالغزو من السواحل إلىٰ أن وصل إلىٰ عسقلان، وكان مراده التوجه لفتح بيت المقدس، إلا إن الموقف كان يحتاج إلىٰ جسارة، لكثرة ما في الأرض المغتصبة من الفرسان والعَدد والعُدد، وكونها أصبحت كرسي دين النصرانية.

وكان في بيت المقدس شاب من أهل دمشق قد أخذه الصليبيون في الأسر، فكتب إلىٰ صلاح الدين الأيوبي أبياتاً، وأرسلها له علىٰ لسان المسجد الأقصىٰ، جاء فيها:

يا أيها الملكُ الذي ... لمعالِم الصُلبانِ مُنكِسْ
جَاءتْ إليكَ رسالةٌ ... تسعَىٰ من البيت المقدَّسْ
كُلُّ المساجدِ طُهِّرتْ ... وأنا علىٰ شَرفي مُدنَّسْ

فأخذت الغيرة علىٰ الإسلام صلاح الدين، وتوجه نهار الأحد الخامس عشر من رجب، فنزل بجيشه غربي بيت المقدس، ثم انتقل إلىٰ الجانب الشمالي وخيم هناك، وضيق علىٰ الإفرنج المسالك ونصب المجانيق، وضرب علىٰ المدينة حصاراً

(١) المصدر السابق، (١٠/ ١٩٤).

انتهى بتسليم الصليبيين للمدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ[١] .

ومما يجدر ذكره هنا ، أن فتح صلاح الدين لبيت المقدس ، وتطهير أرضه من الوثنية النصرانية ، كان حماية في الوقت نفسه لأرض الحرمين الشريفين ، إذ إن القائد الصليبي المتعصب (أرناط) صاحب قلعة الكرج ، كان عازماً على الهجوم على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، بعد أن تمكن من الحدود الجنوبية لفلسطين ، وقد بذل صلاح الدين جهداً كبيراً لكسر شوكة هذا القائد العنيد حتى كلل الله جهوده بالانتصار على الصليبيين ، ووقع أرناط في الأسر ، ولم تكد عين صلاح الدين تقع عليه حتى أمر بقتله في الحال ، عقاباً له على ما أقدم عليه من جرأة في التفكير في العدوان على الحرمين الشريفين[٢] . وقد قام من جاء بعد صلاح الدين من الأيوبيين والمماليك بتصفية بقية الوجود الصليبي في الشام وبيت المقدس .

سابعاً : بيت المقدس تحت حكم العثمانيين:

انتهى العصر المملوكي بدخول مصر والشام والعراق في الدولة العثمانية ، عندما قام السلطان سليم الأول بحملة على بلاد مصر والشام ، انتهت بالقضاء على دولة المماليك ، وآلت إلى العثمانيين الولاية على بيت المقدس ، ولكن والي مصر (محمد علي) اختلف مع الحكم العثماني بعد هزيمته في حرب اليونان التي دفعه العثمانيون إليها ، ولما طالب بتعويض عما خسره في تلك الحرب لصالح العثمانيين رفضوا ذلك ، فاتجه إلى ضم الشام إلى مصر ، وبالفعل حصل له ذلك

(١) انظر (أخبار الدول وآثار الأول) ، لأبي العباس أحمد بن يوسف القرماني ـ نقلاً عن (الروض المغرس في فضائل بيت المقدس) .

(٢) انظر أطلس التاريخ الإسلامي ، للدكتور حسين مؤنس ص ٣١٠ .

فاستولى على بلاد الشام بما فيها القدس، واستمر ذلك مدة عشر سنوات ، بعدها تبخرت أحلام محمد علي في أن تكون له دولة عربية كبرى على أنقاض الدولة العثمانية أو منافسة لها على الأقل، فتقلص سلطان محمد علي في مصر بعد أن تصدى لطموحاته النصارى الإنجليز، وأجبروه على التخلي عن الشام والقدس، فعادت مرة ثانية إلى العثمانيين، وظل بيت المقدس تحت حكم العثمانيين حتى بدأت دولتهم تضعف بعد أن أصابها داء الأمم ، وبدأت القوى العظمى تنهش من جوانبها ، حتى إن نابليون بونابرت بعدما استولى على مصر عام ١٧٩٨م اتجه للسيطرة على الشام، وأطلق نداءاً إلى يهود العالم أن يساعدوه في تخليص بيت المقدس من المسلمين، على أن يمكنهم من العودة إليها؛ ولكن نابليون فشل في مسعاه للاستيلاء على بيت المقدس.

سقوط بيت المقدس تحت أيدي الإنجليز:

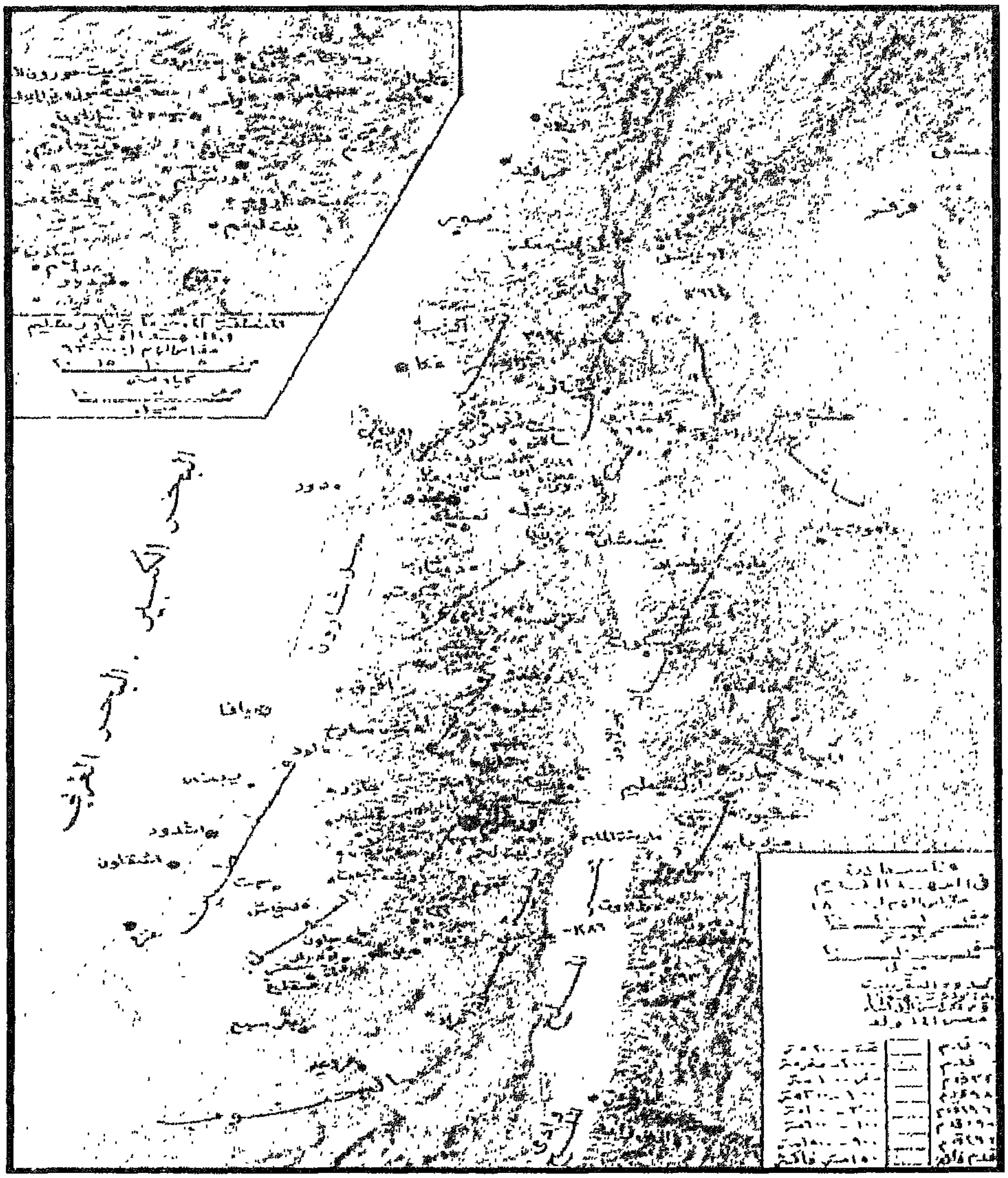
ولكن فشل النصارى الفرنسيين في الاستيلاء على القدس وانتزاعها من العثمانيين لم يثن النصارى الإنجليز عن تحقيق هذا الهدف، فأعاد الإنجليز الكرَّة التي بدأها الفرنسيون، فاحتلت انجلترا مصر عام ١٨٨٢م، ولما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وحاربت تركيا إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء (انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا) انتهز الإنجليز الفرصة، وشجعوا العرب على الثورة على تركيا في الشام والحجاز، وبالفعل قام ما يعرف بـ (الثورة العربية الكبرى)، فكانت سبباً مباشراً في دخول الإنجليز القدس في ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧م، وهو العام الذي صدر فيه وعد (بلفور) الذي يقضي بإعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين، ثم أعلنت بريطانيا الحماية على مصر وفلسطين، واستغلت انتدابها

على فلسطين، لكي تهيىء الأوضاع فيها لصالح اليهود، وهذا ما تم بالفعل طيلة ثلاثين عاماً هي عمر الانتداب، وبعدها مباشرة وفي العام ١٩٤٨م، أعلن الإنجليز إلغاء الانتداب على فلسطين، بعد أن أوعزوا لليهود بأن يعلنوا دولتهم في نفس توقيت إلغاء الانتداب. وقامت دولة اليهود وسيطرت على القدس الغربية وأعلنتها عاصمة بعد ذلك، ثم احتلت القدس الشرقية التي بها المسجد الأقصى عام ١٩٦٧م، لتعلن منذ ذلك الوقت وإلى الآن أن القدس بقسميها هي العاصمة الموحدة الأبدية لدولة (إسرائيل)، ويقف الآن خلفهم جُل نصارى العالم متنازلين لهم عن (مدينة المسيح) - كما يقولون - طمعاً في دخولهم في دينه عندما يعود!

الفصل الرابع

أهل الكتاب والبعد الاعتقادي للصراع

- الأرض المقدسة والهيكل في الفكر اليهودي.
- التوراة والهيكل.
- التلمود والهيكل.
- البروتوكولات والهيكل.
- الصهيونية والهيكل.
- الماسونية والهيكل.
- الإنجيل والهيكل.
- مسيح اليهود المنتظر والهيكل.
- مسيح النصارى المنتظر والهيكل.
- عقيدة الهرمجدون والهيكل.
- الشريعة الدهرية.. أو (البقرة الحمراء) والهيكل



الجغرافيا الدينية . . . الأرض المقدسة في أول صفحة في الطبعة العربية من (الكتاب المقدس) . . . لماذا؟

الأرض المقدسة والهيكل في الفكر اليهودي

بعد أن استعرضت في فقرات مختصرة ومضات سريعة من تاريخ الأرض المقدسة ومسجدها المقدس قبل مجيء الإسلام وبعد مجيئه وحتى عصرنا الذي نعيشه، وبعد الإشارة إلى عِظَم منزلة بيت المقدس والمسجد الأقصى في الإسلام، أعرض الآن إلى الحديث عن منزلة الأرض المقدسة والهيكل في الوجدان الديني والتراث الفكري اليهودي القديم والحديث، ذلك لكي يتبين لنا مدى ما لهذه البقاع من مكانة عندهم تدفعهم بقوة وتؤزهم بشدة إلى ركوب الصعب والذلول لاستعادة السيطرة التامة الشاملة عليها بشكل نهائي؛ تمهيداً لاستقبال أحداث آخر الزمان التي يرى اليهود أنهم المحور الذي تدور عليه.

ومن الأمور الهامة جداً هنا، أن ننبه إلى أن هذا التقديس المشترك هو الذي يمثل البعد الحقيقي الديني لقضية فلسطين والقدس والأقصى، فأهل الكتاب كفار ومشركون، وهذا الكفر والشرك هو الذي يجعل من المستحيل أن يرضى لهم الإسلام بحيازة الأرض المقدسة المختارة من الله لكي يتعبدوا فيها على غير دين التوحيد، وهذا التوحيد أيضاً لو ادعاه اليهود لما قبل منهم؛ لأن التوحيد لا يقبل إلا ممن آمن بخاتم الرسل وسيدهم محمد ﷺ، أما اليهود والنصارى؛ فإنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ومع هذا الكفر والعناد، يصرون على حيازة تلك الأرض، وإقامة شعائر وشرائع الشرك فيها، بعد أن يقضوا على رمز التوحيد فيها (مسجد الإسراء).

وهذا البعد الديني، هو ما لايريد العلمانيون العرب أن يفهموه، فيتحدثون

الآن عن «السيادة المشتركة» و«السيادةالإلهية» و«سيادة الأمم المتحدة» و«حرية العبادة اليهودية عند حائط البراق»، وإذا كان هؤلاء العلمانيون قد وصفوا (وعد بلفور) بأنه: «عطاء من لا يملك لمن لا يستحق». . وهو كذلك؛ فإن كلامهم عن قضية بيت المقدس هو كلام من لا يفهم فيما لا يملك! . . . وعندما تتحدث إحدى الصحف العربية الكبرى عن حق العرب الفلسطينيين في تأدية (الطقوس الدينية) في المسجد الأقصى يتبين لنا على أي وجه يفهمون القضية. . . إنها قضية (طقوس)! يمكن أن يشاركهم فيها غيرهم، أما اليهود والنصارى؛ فالأمر عندهم واضح، وهو أنه لا تفريط أبداً في المكان الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، وعندما يقيمون هيكلهم، (لا أقامه الله) في الأرض المقدسة؛ فإنهم يريدونه خاصاً بـ(طقوسهم).

إن في تراث اليهود القديم حديثاً طويلاً، وسيراً مسهبة عن هذه الأرض وذلك الهيكل وكلمة الهيكل (Eg-gal) (أيكال) كلمة من مصدر سومري، ونقلت إلى اللغة الفينيقية ثم العبرية ثم العربية، وهي تعني (البيت الكبير)، والتصقت هذه التسمية بكل مكان كبير يُتخذ للعبادة، ولما بنى سليمان المسجد الأقصى على هيئته العظيمة التي بناها عليه، نُسب ذلك المسجد إليه، وأطلق عليه أهل الكتاب: (هيكل سليمان)، ويذكر التاريخ أن سليمان ـ عليه السلام ـ استغرق في بنائه ثلاثة عشر عاماً، ليستكمل به معالم المدينة المقدسة (القدس) التي بناها قبل ثلاثة آلاف عام. وهي أيضاً كانت موجودة قبل سليمان، وكان المسجد الأقصى قائماً فيها قبل مرحلته التي كان عليها في عهد سليمان. إلا أن المدينة والمسجد شهدا عصرهما الزاهر في زمانه عليه السلام.

ولا شك أن الأرض المقدسة كانت مهاداً وطيئاً سكنت فوقه واستراحت في كنفه كل دعوات أنبياء بني إسرائيل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ إلا أن يد

التحريف التي نالت كتب هؤلاء الأنبياء زادت بعد ذلك في المبالغة في الكلام عنهما، حتى أصبح كتاب التوراة مثلاً ـ وخصوصاً الأسفار الخمسة الأولى منه ـ عبارة عن حديث متنوع متلون عن الأرض والمعبد في مجال الشرائع والشعائر والأحكام والطقوس. . . إلى آخره.

وإن ولع اليهود في هذا العصر بالحديث عن الأرض والهيكل لا يقل إلحاحاً وترداداً عن حديثهم القديم.

لقد ردد أساطينهم المعاصرون مقولةً تُلخِّصُ موقفهم تجاه هذا الأمر. . [**لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الهيكل**] قالها بن جوريون، ورددها بعده بمناسبة وبدون مناسبة مناحم بيجن، وأثبت زعماء اليهود بعدهم ـ بشكل عملي ـ أن هذه العبارة هي محور التحرك السياسي والعسكري طوال سني الصراع في السلم والحرب.

إن الهيكل بلغ عند اليهود المعاصرين منزلة جعلتهم يتخذون منه رمزاً منقوشاً على العلم الإسرائيلي، إنه (نجمة داود) السداسية. هذه النجمة التي نجدها تتوسط ذلك العلم فلا يرفرف إلا بها. ونجدها مطبوعة على هام الجند اليهود في الخوذات والكابات، ويحملونها على أكتافهم، وتتصدر دباباتهم، وتطير مع طائراتهم، وتنطلق مع صواريخهم، لم يخجل اليهود من اتخاذ هذا الرمز الديني شعاراً لدولتهم «المتقدمة»(١)، ليذكرهم أيضاً باسم أول من بنى دولة باسم إسرائيل وهو داود عليه السلام. كما لم يخجلوا من قبل أن يسموا هذه الدولة

---

(١) هناك معانٍ أخرى يقال إن اليهود رمزوا إليها بنجمة داود، منها: أن النجمة تشير إلى ترس داود الذي كان يقاتل به، ومنها: أنها ترمز بمثلثيها المتماثلين إلى تطابق السلطة الدينية مع السلطة الدنيوية، ومنها: أنها ترمز إلى بزوغ نجم ابن داود، وهو مسيح اليهود المنتظر من نسل داود. ولهذا يطلقون عليها أحياناً، نجمة ابن داود. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري (٣/ ٢٢٤).

علىٰ اسم نبي هو (إسرائيل) الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، ولا يرىٰ زعماؤهم غضاضة في الجهر بترديد آيات من التوراة في كل المحافل تنص علىٰ أن أرض إسرائيل من النيل إلىٰ الفرات؛ بل جعلوا هذه العبارة شعاراً مكتوباً بشكل دائم في أبرز مكان في الكنيست الإسرائيلي.

ولنتأمل الآن حجم وقيمة المشاعر الدينية عند أهل الكتاب عن الأرض المقدسة والهيكل، قديماً وحديثاً..

أولاً: التوراة والهيكل

التوراة هي في الأصل - قبل التحريف - كتاب منزل من عند الله - تعالىٰ - علىٰ نبيه موسىٰ - عليه السلام - ثم ضمت إليها آثار الأنبياء الذين جاءوا من بعده لبني إسرائيل، فهي مجموعة من الأسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجوع من سبي بابل، تنقسم التوراة بشكلها الإجمالي إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التوراة المنزلة على موسى - عليه السلام - وفيها شريعته.

وهذه التوراة تعني عند اليهود الأسفار الخمسة المنسوبة إلىٰ موسىٰ - عليه السلام - وهي [سفر التكوين - سفر الخروج - سفر اللاويين - سفر العدد - سفر التثنية].

القسم الثاني: أسفار الأنبياء، وهي قسمان:

أ - أسفار الأنبياء الأول، وهي ستة أسفار:

[سفر يشوع - سفر القضاة - سفر صموئيل الأول - سفر صموئيل الثاني - سفر الملوك الأول - سفر الملوك الثاني].

ب - أسفار الأنبياء المتأخرين وهي أربعة عشر سفراً:

[سفر أشعيا - سفر أرميا - سفر حزقيال - سفر هوشع - سفر يوئيل - سفر عاموس - سفر عوبديا - سفر ميخا - سفر ناحوم - سفر حبقوق - سفر صفنيا - سفر حجي - سفر زكريا - سفر ملاخي].

القسم الثالث: الكتب والصحف:

وهو يشتمل علىٰ كتب حكم وآداب وأمثال ومزامير وأخبار تاريخية.

والكتب والصحف أيضاً قسمان:

أ ـ الكتب الكبيرة وهي [المزامير ـ الأمثال ـ أيوب ـ دانيال ـ عزرا ـ نحميا ـ أخبار الأيام الأول ـ أخبار الأيام الثاني]

ب ـ الكتب الصغيرة وهي [راعوث ـ نشيد الإنشاد ـ الجامعة ـ المراثي ـ أستير].

وقد ترجم هذه الأسفار إلى اللغة اليونانية سبعون عالماً من اليهود، وذلك عام (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م) بالإسكندرية. ثم ترجمت إلى اليونانية الحديثة، ثم ترجمت إلى العربية أول مرة سنة ٩٤٢م بواسطة المترجم (سعديا الفيومي)(١).

وللتوراة نسختان: نسخة عبرانية، وهي المتداولة على نطاق واسع بين اليهود والنصارى، والأخرى سامرية، ولم تترجم إلى اللغة العربية إلا في السنوات المتأخرة. وكل واحدة من النسختين تختلف عن الأخرى في عدد الأسفار، وفي كثير من النصوص.

والنصارى يطلقون اسم (الكتاب المقدس) على مجموع التوراة والإنجيل، أو العهد القديم والعهد الجديد، وهناك اختلاف في الترجمات أيضاً، فالطبعة التي تستعملها الكنيسة البروتستانتية تختلف عن طبعتي الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية.

وكما سبق أن أشرت؛ فإن الحديث عن الأرض والمعبد في التوراة يكاد يصبغها بطابعهما، فمن أول سفر فيها وهو سفر التكوين يبدأ الحديث عن الوعد الإلهي بمنح الأرض المقدسة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وذريته (٢).

---

(١) راجع مقارنة الأديان، ص ٢٣٨. وقاموس الكتاب المقدس (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: سفر التكوين ـ الإصحاح ١٢.

ويتجاهل اليهود أن هناك أمة أخرىٰ غيرهم من ذرية إبراهيم هي أمة بني إسماعيل. ويتناسون أن ذرية إسماعيل - عليه السلام - حسبما هو مسطور عندهم - موعودة بالتمكين والكثرة: [لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها؛ لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك](1).

[وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً؛ اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة](2).

وتتحدث التوراة عن المرحلة المبكرة جداً لاتخاذ إبراهيم - عليه السلام - معبداً في أرض الشام: [واجتاز إبرام(3) في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال: لنسْلِك أُعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته](4).

وتتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب معبداً في تلك الأرض:

[فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت، وأخذ من حجارة المكان، ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان، ورأى حلماً، وإذ سُلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها..](5). [ثم قال الله ليعقوب: قُم اصعد

(1، 2) التكوين - الإصحاح 17، 21.
(3) إبرام هو إبراهيم عليه السلام - والمذبح اسم يطلق علىٰ المعبد.
(4) التكوين 12.
(5) سفر التكوين - الإصحاح 28.

إلى بيت إيل وأقم هناك، واصنع هناك مذبحاً للرب الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك](١).

وتذكر أن رفات يوسف نقل إلى الأرض المقدسة: [**وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الأرض التي اشتراها يعقوب]**(٢).

ثم تحكي التوراة أن الصراع بين موسى ـ عليه السلام ـ وفرعون مصر كان يدور حول مطلب موسى في الخروج ببني إسرائيل من مصر لكي يعبدوا الله في الأرض الموعودة: [**وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليُعيِّدوا لي في البريَّة. فقال فرعون: من هو الرب حتى أسمع لقوله فأُطلق إسرائيل؟ لا أعرف الرب، وإسرائيل لا أطلقه]**(٣).

وبعد الخروج كان على بني إسرائيل أن يشدوا السير ويستعدوا للجهاد لدخول الأرض المقدسة، وتتنزل الشرائع المفصلة لما ينبغي أن تكون عليه الطقوس الدينية المفترضة أن تكون في الهيكل، ويؤمر موسى ـ عليه السلام ـ باتخاذ التابوت وبناء خيمة الاجتماع التي كانت محل العبادة في أرض التيه في سيناء(٤).

وتذكر التوراة بتفصيل موسع جداً صفة التابوت وخيمة الاجتماع؛ فعندها كانت تتنزل التوراة، وتُفصِّل أيضاً في الترتيبات الشعائرية والتعبدية من ذبائح وملابس ومآكل ومشارب(٥).

---

(١) سفر التكوين ـ الإصحاح ٣٥.
(٢) سفر يشوع ـ الإصحاح ٢٤.
(٣) سفر الخروج ـ الإصحاح ٥.
(٤) تفاصيل ذلك في سفر الخروج ـ الإصحاح ٢٥، ٢٦، ٢٧.
(٥) تفاصيل ذلك في سفر الخروج ـ الإصحاح ٢٩، ٣٠، ٣١.

ثم يؤمر موسى ـ عليه السلام ـ بالانتقال ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة: [وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفتُ لإبراهيم وإسحاق قائلاً لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك مَلاكاً، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً][(١)].

وتبين التوراة أن موسى ـ عليه السلام ـ وهارون أخوه ماتا قريباً من الأرض المقدسة ولم يدخلاها.. ولحبهما لتلك الأرض طلبا الموت قريباً منها: [وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم، هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومت في الجبل الذي تصعد إليه، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُمَّ إلى قومه][(٢)].

[... وقال له الرب: هذه الأرض التي أقسمتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنَسلكَ أُعطيها. قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فعود، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم][(٣)].

وبعد انتهاء عهد موسى ـ عليه السلام ـ تذكر التوراة أن (يشوع) أو (يوشع بن نون) خادم موسى ـ عليه السلام ـ كان أول تكليف له أن يخف لاقتحام أسوار الأرض المقدسة بالجيل التالي لجيل التيه: [وكان بعد موت موسى عبد الرب أن

---

(١) سفر الخروج ـ الإصحاح ٣٣.
(٢) سفر التثنية ـ الإصحاح ٣٢.
(٣) سفر التثنية ـ الإصحاح ٣٤.

الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم.. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم؛ لكم أعطيته - كما كلمت موسى من البرية - ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات..](1).

وتذكر التوراة أن يوشع - عليه السلام - اصطحب التابوت في حين اقتحام الجيش للأرض المقدسة: [**فبكَّر يشوع في الغد، وحمل الكهنة تابوت الرب، والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيراً وضاربون بالأبواق.. وكان في المرة السابعة أن يشوع قال للشعب: اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة**](2).

وهكذا يستمر دوران الحديث المكثف عن الأرض والمعبد والمقدسات خلال صفحات التوراة في كل عهود الأنبياء التالين لعهد يشوع بن نون. وذلك في أسفار: القضاة الإحدى والعشرين، ثم أسفار راعوث الأربعة، وأسفار صموئيل الإحدى والثلاثين، وأسفار صموئيل الثاني الأربعة والثلاثين.

ثم تبدأ بعدها مرحلة الحديث عن الأرض والمعبد في العصر الذهبي لبني إسرائيل عهد الملوك، منذ عهد داود - عليه السلام - ثم ابنه سليمان - عليه السلام - ثم ما تلا ذلك من عهود.

وتتحدث التوراة حديثاً طويلاً عن الهيكل الذي بناه سليمان - عليه السلام - وتطنب في ذكر صفاته وهيئاته اللائقة بالنبي الملك الذي أوتي من كل شيء.

---

(1) سفر يشوع - الإصحاح 1.
(2) سفر يشوع - الإصحاح 6.

[فبنى سليمان البيت وأكمله، وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشّاه من داخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس، وأربعون ذراعاً كانت البيت أي الهيكل الذي أمامه، وأرز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قثاء وبراعم زهور، الجميع أرز، لم يكن يُرى حجر، وهيأ محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، المحراب عشرون ذراعاً طولاً، وعشرون عرضاً وعشرون ذراعاً سُمكاً، وغشّاه بذهب خالص، وغشّى المذبح بأرز، وغشّى سليمان البيت من داخل بذهب خالص، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب، وغشّاه بذهب، وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت، وكل المذبح الذي للمحراب غشّاه بذهب وعمل في المحراب كروبين من خشب الزيتون، علو الواحد عشرة أذرع، وخمسة أذرع جناح الكروب الواحد، وخمسة أذرع جناح الكروب الآخر، عشرة أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه، وعشرة أذرع الكروب الآخر. قياس واحد وشكل واحد للكروبين..] وتتابع الصفحات في وصف هيكل سليمان الذي استغرق بناؤه حسب قول التوراة سبع سنين.

ثم نقل تابوت العهد.. [حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط رؤساء الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد عهد الرب من مدينة داود، هي صهيون.. وجاء وجميع شيوخ إسرائيل، وحمل الكهنة التابوت، وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة، فأصعدها الكهنة واللاويون والملك سليمان وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه، أمام التابوت كانوا يذبحون من الغنم والبقر مالا يُحصى ولا يعد من

(١) سفر الملوك الأول ـ الإصحاح ٦.

الكثرة، وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكروبين][1].

وبعد أن أتم سليمان ـ عليه السلام ـ بناء الهيكل تذكر التوراة على لسانه ابتهالاً أخذ اليهود منه معتقدهم في الرجل الذي لا بد أن يخرج من نسل داود[2] فيحكم العالم من كرسي إسرائيل . . **[ووقف سليمان أمام مذبح الرب، تجاه كل جماعة إسرائيل، وبسط يديه إلى السماء وقال: أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله مثلك في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم، الذي قد حفظتَ لعبدك داود أبي ما كلمته به، فتكلمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم. والآن أيها الرب إله إسرائيل، احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلاً: لا يُعْدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل؛ إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم، حتى يسيروا أمامي كما سرت أنت أمامي . .]**[3] ولكن اليهود لم يقيدوا معتقدهم هذا بالمحافظة التي نص عليها العهد، وظنوا العهد مفتوحاً لهم ولو كفروا وبغوا وتكبروا.

هذا . . ولا يفوتني هنا أن أنبه على أن هذه العقائد التوراتية اليهودية فيما يتعلق بالأرض المقدسة والمعبد المقدس هي أيضاً عقائد دينية عند النصارى الذين يدينون بدين الكتاب المقدس: (التوراة ومعها الإنجيل).

(١) سفر الملوك الأول ـ الإصحاح ٨ .
(٢) يأتي الحديث مفصلاً عن عقيدة (الماسيا) أو المسيح المنتظر عند اليهود .
(٣) سفر الملوك الأول ـ الإصحاح ٨ .

ثانياً: التلمود والهيكل

التعريف بالتلمود:

(التلمود) معناه في العبرية (علْم) أو (تعاليم)، فالعلم في العبرية (لمد) أو (لامود)، وقد بدأت مراحل كتابته عندما تجمع اليهود في شمالي فلسطين بعد تشتيت طيطس لهم، ووجدوا حينها أن التوراة تحتاج إلىٰ شروح وتفاسير، فشرعوا في هذا العمل وأسموه (المشنة) ومعناها (الإعادة: أو الكتاب الثاني بعد التوراة). وانتهوا من عملهم هذا سنة ٢٠٠م، وجعلوا يوالون الشروح حتىٰ تمت الشروح المتعددة سنة ٤٠٨م. وجُمع التفسير الأول والثاني فيما سموه (التلمود) وسموه (التلمود الأورشليمي).

وبعد أن أُجلي قسم كبير من اليهود إلىٰ فارس أقبلوا هناك علىٰ وضع زيادة في تفسير التوراة، ووضعوا تلموداً جديداً وسموه (التلمود البابلي) وسموا الشرح (جمارا) ومعناه: الإتمام والإكمال. فالتلمود علىٰ هذا قسمان: قديم وهو (المشنة) الأورشليمي، وجديد وهو (الجمارا) البابلي.

والتلمود كتاب سري وضعه الحاخامات خلال فترة امتدت ما بين ٤٠٠ إلىٰ ٦٠٠ سنة، وبلغت مجلدات شروح التوراة المسماة بالتلمود عشرين مجلداً ضخماً حتىٰ صار لهذا الكتاب السيطرة علىٰ الفكر اليهودي. وقد طُبع التلمود بقسميه مرات عديدة، في أقطار مختلفة، وكانت أول طبعة للتلمود الأورشليمي سنة ١٥٢٢م ، وأول طبعة كاملة للتلمود البابلي سنة ١٥٢٠م. ولما انتشر التلمود

واطلع النصارى على ما فيه من عداء وحقد ظاهر عليهم ثاروا على ما ورد فيه، فاضطر اليهود في السنوات المائة الماضية إلى إصدار طبعات خالية من التهجم الصريح على المسيحية، وتركت أماكن بيضاء في صفحات عديدة بعد حذف ما كتبوه عن المسيح والمسيحيين.

والتلمود كتاب مقدس عند اليهود كالتوراة أو أكثر، وفي التلمود عبارة تشير إلى ذلك: [.. **إن التوراة كالماء، والمشنة كالخمر، والجمارة كالخمر المعطر**] وجاء فيه أيضاً: [**إن كلمات الربانيين في كل عصر هي من كلام الله، مثل كلمات الأنبياء، والخطايا المقترفة ضد تعاليم التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة**].

وقد طبعت (إسرائيل) في أواخر الخمسينيات ٦٠٠٠ نسخة من التلمود، كل نسخة ٣٥ جزءاً، ولم يكن مباحاً للبيع بل كان يوزع بالحجز لليهود، فهم يصرون على جعله كتاباً سرياً.

ويدَّعي اليهود أن أول من بث علم التلمود هو موسى - عليه السلام - إذ إنه أُعطي تفسير التوراة مع التوراة، ثم علمَّها ليوشع بن نون ثم علمها يوشع للنقباء، ثم تناقلتها الأجيال حتى جاء وقت الأسر البابلي فدونوها.

وبطبيعة الحال؛ فإن التلمود الذي هو شروح للتوراة يتناول أحاديث التوراة عن الأرض المقدسة والهيكل بالشرح، وبالتالي فهو يحتوي على كَمٍّ كبير من الحكايات عنهما، إلا أن التلمود يتميز بأسلوبه التخريفي في سرد الوقائع وعرض العقائد.

يقول التلمود:

[تربة فلسطين طاهرة، لا بد من دفن المتقين من موتى بني إسرائيل فيها، وإن لم يتيسر ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها].

[.. الذي يتمشى أربعة أذرع في أرض إسرائيل على يقين أنه من أبناء الآخرة].

[..لما دخل طيطس الهيكل، وبهزةٍ من سيفه مزق ستار الهيكل، فسال الدم من الستار، فأُرسلت بعوضة لعقابه، ودخلت مخه، وأخذت تكبر حتى صارت مثل الحمامة، وحين فتحت جمجمته وجدوا أن البعوضة لها فم من نحاس ومخالب حديدية] !!

[دمر نبوخذ نصر بلاد إسرائيل وحطم الهيكل المقدس ونهب مجوهراته وتركه فريسة للنيران الملتهبة][1].

ويقول التلمود: [ومن بعد تدمير الهيكل إلى الآن فإن الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهذه الخطيئة قد أبهظت ضمير الله، حتى إنه يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته مالئاً الدنيا زئيراً كالأسد، ثم يصرخ: الويل لي لأني تركت بيتي يُنهب وهيكلي يُحرق وأولادي يَتشتتون].

تعالىٰ الله العظيم الحليم عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه ٦٦، ٧٢، ٨٤. (ظفر الدين خان)، دار النفائس.

ثالثاً: بروتوكولات حكماء صهيون والهيكل

بروتوكولات حكماء صهيون كتاب يشتمل على عدة فصول، تهدف في النهاية إلى رسم تَصوُّرٍ لإيجاد الدولة اليهودية التي ستحكم العالم من القدس تحت تاج مَلِك من نسل داود، وقد وضعه لفيف من زعماء اليهود بعد مؤتمرهم العالمي الأول المنعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، برئاسة زعيم الصهيونية الحديثة (تيودور هرتزل)، واجتمع فيه حشد من عتاة المفكرين اليهود يمثلون جمعية يهودية، وكان هذا هو المؤتمر اليهودي العالمي الأول الذي استمر في الانعقاد سنوياً بعد ذلك حتى وقتنا هذا.

والبروتوكولات ـ عند المثبتين لمصداقيتها ـ تمثل بلا شك مصدراً من مصادر الفكر اليهودي المعاصر، وخصوصاً عند من يقسمون تاريخ اليهود العام إلى ثلاثة مراحل، مرحلة موسى ـ عليه السلام ـ ومرحلة ما بعد موسى، ومرحلة ما بعد هرتزل.

وثار جدل واسع حول مصداقية نسبة هذا الكتاب (البروتوكولات) إلى اليهود، وانقسم الناس في ذلك إلى مُثبت مؤكد لوجودها وصحة نسبتها، وآخر ينفي مصداقية هذه النسبة لليهود.

وعلى أي حال؛ فإن الذين ينفون صحتها لا يستطيعون تفسير التطبيق الحرفي لمعظم بنودها في العالم الذي نعيشه اليوم، إضافة إلى أنها لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها منهم، مثل التلمود وكتب الشريعة

اليهودية، إلا أن هذه الوثائق فصَّلَت مجملها، وعينت الوقائع والأحوال التي تعني اليهود في العصر الحديث في كل مجالات السعي للإفساد.. في السياسة، في الاقتصاد، في الاجتماع، في الفن، في الإعلام.. إلخ. وهل يجحد صاحب إدراك في عصرنا هذا ما وصل إليه اليهود من هيمنة على كل هذه المجالات في الدول المتحكمة في العالم اليوم.

يدلل الأستاذ عباس محمود العقاد على هذا المعنى عندما يقول: «هذا الدولاب الهائل الذي دار على حين فجأة من الأستانة إلى أمريكا إلى أفريقية لتنفيذ البروتوكولات شاهد من شواهد العصبة العالمية التي تعمل باتفاق في الغايات، وإن لم تعمل باتفاق في التدبير»، ويدلل العقاد على مدى تمكن اليهود من أجهزة النشر ـ مثلاً ـ في الدول الغربية بأنه ما من كتاب عربي يهاجم الصهيونية يُسمح له بالترجمة إلى اللغات الأخرى، ولا يجرؤ أحد على ذلك، ولا تجرؤ مطبعة على طبعه، وضرب مثالاً بكُتُبه[(١)].

وقد نقل المترجمون من الكتاب اليهودي أربعة وعشرين بروتوكولاً، وقالوا إن هناك غيرها لم تكتشف[(٢)]؛ لأن هذه الأربعة والعشرين هي التي استطاعت سيدة فرنسية أن تختلسها من زعيم من أكابر اليهود.

ولست بصدد الحديث عن تفاصيل ما في هذه البروتوكولات من أوجه التآمر على الجنس البشري، ولكن فقط أشير إلى المواضع التي فيها ما يتعلق بالغايات

(١) انظر تقديم الأستاذ العقاد لكتاب (الخطر الصهيوني)، ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي.
(٢) راجع هذه التراجم في كتاب (الخطر اليهودي)، لمحمد خليفة التونسي، و(الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي)، لماجد كيلاني.

النهائية من صياغة البروتوكولات والسعي لتطبيقها، وهي إقامة مملكة اليهود العالمية التي ينتظرون المسيح اليهودي لكي يحكمها.

ويلاحظ على حديث البروتوكولات في هذا الصدد أنها تركز على وصف المملكةالتي سيحكم منها المخلِّص المنتظر، وكيفية التمهيد لمجيئه، ومن ثم سيطرة اليهود معه على العالم . . دون إشارة إلى مقر ملكه.

جاء في البروتوكول الثالث: «وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي ستتمسك بهذه الوسائل نفسها، أن نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا»(١) . . «إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم يعمل في غفلة كقناع لأغراضنا، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا في مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً»(٢).

«ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية أو أن يكون داهية من دم صهيون»(٣).

«إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل. إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً إلا لأيد عريقة كأيدينا . . . إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم، وإن

(١) الخطر اليهودي ص١٧ .
(٢) نفس المصدر.
(٣) (البروتوكول الخامس) ص ١٢٢ .

عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا هي التي تسمى الذهب»(١).

«حُكْمُنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم فيصرخون هاتفين: اخلعوهم وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا.. حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة»(٢)، «حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض - لن نبيح مكان أي دين غير ديننا»(٣).

وهذا الملك اليهودي الذي تتحدث عنه البروتوكولات، يعتقدون بمقتضى التوراة والتلمود أنه سيحكم العالم حيث يقام هيكل سليمان في القدس.

---

(١) البروتوكول الخامس، ص ١٢٣.
(٢) البروتوكول العاشر، ص ١٤١.
(٣) البروتوكول الثالث عشر، ص ١٥٢.

رابعاً: الصهيونية والهيكل

هذا، وقد نشأ عن التصور اليهودي لإيجاد الدولة اليهودية في البروتوكولات؛ حركة فعالة هي الحركة الصهيونية الحديثة التي لم تكن أيضاً بعيدة في اهتماماتها وتعلقاتها عن الأرض المقدسة والهيكل.

فالصهيونية هي: «حركة يهودية دينية سياسية، أُشتُق اسمها من (صهيون) وهو الجبل الواقع في الجنوب الغربي من القدس القديمة. وتهدف الحركة الصهيونية إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين، فإذا تم لها الاستيلاء على القدس أقامت موضع المسجد الأقصى هيكل سليمان، ويكون على رأس هذه الدولة التي تعمل على بسط سيادتها شرقاً وغرباً ملك اليهود من نسل داود، والذي ينتهي إليه حكم العالم، ومن ثم مزجت الحركة الصهيونية بين السياسة والدين، واتخذت الدين ركيزة تقوم عليه الدعوة السياسية»[1].

والصهيونية لها مصدران أساسيان يدلان على أنها حركة دينية يهودية، يقول بن جوريون: «تستمد الصهيونية وجودها وحيويتها من مصدرين هما: الوعد الإلهي والأمل بالعودة في التوراة، والمصدر الثاني هو البروتوكولات التي وضعها حكماء اليهود».

والمرحلة الحديثة من الحركة الصهيونية هي امتداد لحركة قديمة مرت بمراحل مختلفة كان آخرها ـ قبل هرتزل ـ ما حدث في أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ

(١) انظر (القاموس السياسي)، أحمد عطية الله ص ٩١٧.

نشطت هذه الحركة في روسيا القيصرية بسبب حركة الاضطهاد العنصرية التي تعرض لها اليهود من نصارى روسيا بسبب مساهمة اليهود في الحركة الانقلابية فيها . . والتي عمل زعماء اليهود بعدها على تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وشراء الأراضي وإقامة المستعمرات فيها .

وقد ورد ذكر جبل صهيون مقترناً بالمقدسات عند اليهود في مواضع كثيرة من التوراة : [**ويكون في آخر الأيام أن يجعل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب؛ فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب**] .

[**إذا بنى الرب صهيون ـ يُرى بمجده، لكي يحدثنا في صهيون باسم الرب، وتسبيحه في أورشليم**][1] .

ـ وفي شرح معنى الصهيونية قالت دائرة المعارف البريطانية :

«إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس، وعليه أمير من نسل داود»[2] .

ـ وقالت دائرة المعارف اليهودية في شرح كلمة صهيونية :

«يبغي اليهود أن يجمعوا أمرهم ، وأن يقدموا إلى القدس ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل (مكان المسجد الأقصى) ويقيموا

(١) أشعيا ـ إصحاح ٢ : ٢ .
(٢) دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٦٤م .

أملاكهم هناك» .

- وجاء في دائرة المعارف البريطانية أيضاً ما يلي :

«كلمة صهيون (zion) كانت في الأصل تطلق على جبل اليبوسيين في القسم الجنوبي من القدس، وحينما احتلها الملك داود فكر في بناء بيت الرب (الهيكل) في ذلك المكان، وجاء من بعده الملك سليمان فأنجز المهمة وصار الاسم (zion) يطلق علي المنطقة كلها»، والصهيونية كما تقول دائرة المعارف البريطانية هي التي حفزت يهود السبي البابلي تحت قيادة (زوربّابل) إلى إعادة بناء الهيكل[1] .

يتبين من خلال تلك النصوص والنقول أن الصهيونية - بالرغم من أنهامذهب سياسي تتخذ من الهيكل وساحته المقدسة اسماً لها، وشعاراً مقدساً تكافح من أجله، وتعتبر نفسها الحركة التي تستهدف إعادة مجد إسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض الأقصى، ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود الذي هو مسيحهم المنتظر .

والصهيونية قامت على هذا المفهوم، ليس فقط منذ أن أسس تيودور هرتزل مرحلتها المعاصرة، ولكن قبل ذلك أيضاً بقرون طويلة عبر مسيرة الألفي عام التي حاول اليهود خلالها إعادة دولتهم في بيت المقدس .

فالصهيونية تبنت هذاالهدف في وقت مبكر جداً، وسأسرد الآن باختصار أجزاء من مسيرة ألفي عام للصهيونية نحو بيت المقدس والهيكل، فأذكر أهم الحركات الصهيونية التي كان لها شأن في محاولة العودة إلى الأرض المقدسة :

(١) دائرة المعارف البريطانية، طبعة ١٩٢٦، ج٢٧، ٢٨/ ٩٨٦، ٩٨٧ .

١ ـ قامت في أعقاب السبي البابلي أول حركة صهيونية، واستهدفت العودة إلى أرض صهيون، وسميت حركة (المكابيين)، وتبنت فكرة إعاءة بناء الهيكل بعد العودة إلى أورشليم.

٢ ـ حركة (باركوخبا) [١١٧ ـ ١٣٨م]، وهي حركة أثارها ذلك اليهودي ليقود بها اليهود إلى فلسطين، ومن ثم إعادة بناء الهيكل وتنصيب ملك من نسل داود.

٣ ـ حركة (موريس الكريتي)، وكانت مشابهة لحركة (باركوخبا) ولم يكتب لها النجاح، وفي القرون الوسطى ركدت الحركة الصهيونية، وضعف نشاط اليهود بسبب الاضطهاد الذي لاقوه في تلك القرون، ولم تظهر في هذه المرحلة حركات صهيونية عنيفة تنادي بتأسيس دولة يهودية في فلسطين.

٤ ـ حركة (دافيد روبين) وتلميذه (سولمون مولدخ) [١٥٠١ ـ ١٥٣٢م]، وقد ظهر هذان اليهوديان في صورة منقذين للشعب اليهودي، وقائدين طموحين يسعيان إلى تجميع اليهود وإعادة توطينهم في فلسطين.

٥ ـ مع بداية القرن السابع عشر بدأت الحركة الصهيونية التخطيط على المدى البعيد للعودة إلى أرض فلسطين فظهرت حركة (منشة بن إسرائيل) [١٦٠٤ ـ ١٦٥٧م]، وكان يدعو إلى إعادة توطين اليهود في بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين، وبالفعل وجدت الصهيونية الحديثة الأرض التي تبذر فيها بذرتها الأولى ـ وهي بريطانيا ـ لتترعرع بعد ذلك وتبدأ في تنظيم الصفوف لعودة حقيقية.

٦ ـ في القرن السابع عشر أيضاً ظهرت حركة (شبتاي زيفي) [١٦٢٦ ـ ١٦٧٦م]، لتقود اليهود في حركة عنيفة عنيدة، حتى إن صاحبها ادعى أنه

هو المسيح المنتظر .

٧ ـ في بداية القرن التاسع عشر تصوبت الأنظار نحو فلسطين، وازداد نشاط اليهود، واجتمع مجلسهم الأعلى بناءاً على دعوة من نابليون ١٨٠٦م، ووعدهم فيه بمنحهم فلسطين مقابل مساندته في احتلال الشرق العربي .

٨ ـ في أواسط القرن التاسع عشر ترجم رجال المال اليهود الآمال الصهيونية إلى أعمال فقام مبرزوهم أمثال (مونتفيوري) و(روتشيلد) بتقوية أحلام اليهود في العودة بأن قدموا الأموال الطائلة لشراء الأراضي في فلسطين، وبناء المستعمرات اليهودية فيها، وبدأ منذ ذلك الحين الوجود اليهودي في فلسطين .

٩ ـ تداعى اليهود من أنحاء العالم لتأييد ومساعدة الحركة الصهيونية المتجهة إلى فلسطين، فقامت حركة في روسيا في القرن التاسع عشر أيضاً ـ واستعانت بيهود من أمريكا على شراء الأراضي في فلسطين لترحيل اليهود الروس إليها .

١٠ ـ في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين دخلت الحركة الصهيونية طوراً جديداً وخطيراً، إذ وضع الصحفي النمساوي «تيودورهرتزل» [١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م] المجَرِيُّ الأصل ـ الأساس العملي الحقيقي للصهيونية الحديثة، فألَّفَ كتاباً بيَّن فيه أهداف الصهيونية التي تتلخص في جمع يهود العالم في دولة يهودية خالصة .

وتمخضت حركة هرتزل عن المؤتمرات الصهيونية السنوية التي صاغت بروتوكولات (شياطين) صهيون ـ كما مرَّ ذكره ـ ومن يومها والصهيونية تُعد الأداة التنفيذية التي قامت على رعاية مشروع الدولة اليهودية حتى برزت للوجود، وهي ما تزال تسعى في تثبيته وتوسيعه بوحي من أصداء (صهيون) .

لقد كانت الأرض المقدسة والهيكل هدف تلك الحركة منذ البداية، وكانت فلسطين هي الاختيار الأول لمكان الدولة، ولكن عندما تبين أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لا يعطف على هذه الحركة بأن منعت حكومته عمليات تملك الأرض في فلسطين - التي كانت تمثل إحدى ولايات الشام العثمانية - اتجهت أنظار بعض زعماء الحركة ولو بشكل مؤقت إلى أنحاء أخرى من العالم، شملت أماكن في إفريقيا وأمريكا الجنوبية، ووعدت بريطانيا باقطاع مستعمرة أوغندا لإقامة هذا الوطن، ولكن الاقتراح فشل، كما تعثرت محاولة إقامة هذه الدولة على أرض سيناء ١٩٠٦م حتى مع ممارسة ضغط بريطاني على الحكومة المصرية، لهذا التقت أنظار الصهيونية مرة أخرى حول فلسطين.

وتحفزت الصهيونية في تنفيذ مخططها وهو إقامة الدولة الدينية اليهودية فوق الأرض المقدسة، وجدَّ السعي منذ الحرب العالمية الأولى. وتزعمت كل من بريطانيا والولايات المتحدة تحقيق هذا الهدف على مراحل، ففي معاهدة الصلح عام ١٩١٩م التي تضمنت قيام نظام الانتداب على الولايات العثمانية في الشرق العربي، رُسمت حدود ما عرف باسم فلسطين، وكانت معاهدة (سايكس بيكو) بين فرنسا وبريطانيا - التي ذاع سرها عام ١٩١٧م - قد تضمنت تقسيم مناطق النفوذ بينهما من تركة دولة الخلافة الإسلامية العثمانية. وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا حامية اليهود، وكانت قواتها العسكرية تحتلها حينذاك.

وفي ٢ نوفمبر من العام نفسه ١٩١٧م، أصدرت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها النصراني الصهيوني (بلفور) وعداً بإقامة وطن يهودي في فلسطين، وأصبح هذا الوعد برنامجاً لحكومة الانتداب البريطاني، وعينت بريطانيا (السير هربرت صمويل) الوزير البريطاني اليهودي مندوباً سامياً، فوضع

الأسس التي تقوم عليها هذه الدولة في المستقبل، والتي تشكل جنينها بإنشاء الوكالة اليهودية والاعتراف بها.

مرت الحركة الصهيونية بمرحلة دفع جديدة خلال الحرب العالمية الثانية، وتمخضت الحرب في إحدىٰ نتائجها عن إعلان قيام دولة يهودية في الجزء الأكبر من فلسطين، واعترفت أمريكا وروسيا قبل غيرهما بالدولة الجديدة التي اتخذت من الديانة الصهيونية ركيزة أساسية في التوسع والسيطرة. وقامت دولة (إسرائيل) علىٰ نسيج الدين، فهو لحمتها وسداها.

وبعد أن أشرفت بريطانيا الصليبية علىٰ عملية إنضاج الطبخة اليهودية بتيسير فتح أبواب الهجرة اليهودية الرسمية، وتيسير وصول الأسلحة إلىٰ المستوطنين اليهود وتدريبهم عليها، بالإضافة إلىٰ إنشاء الفيلق اليهودي واعتباره وحدة مستقلة عن الجيش البريطاني، والعمل علىٰ إفشال التجمع العربي عام ١٩٤٨م.

بعد أن قامت بكل ذلك وغيره.. سلمت بريطانيا الحقودة علم الصهيونية إلىٰ الولايات المتحدة الأمريكية التي عدت نفسها منذ ذلك الحين مسؤولة عن إسرائيل وتوفير أسباب البقاء والاستقرار لها بالهبات والمنح المالية والعينية والقروض طويلة الأجل والمقطوعة الأجل، وفتحت أمريكا أبواب خزائنها وترساناتها لدولة صهيون، وتعهدت بالقيام بعملية توازن القوىٰ في الشرق الأوسط بين الدولة اليهودية ومجموع الدول المحيطة بها.

ولا عجب من تلك الدول النصرانية في فعل ذلك، فالصهيونية المنسوبة إلىٰ صهيون ليست مقصورة علىٰ اليهود؛ بل هناك نصارىٰ يعتنقون الصهيونية،

ويفتخرون بأنهم صهاينة، وينطلقون في ذلك من أن الإنجيل هو امتداد للتوراة، وأن إعادة بناء الهيكل سيعجل بمجيء المسيح عيسىٰ بن مريم للمرة الثانية. فكل يهودي صهيوني؛ ولكن ليس كل صهيوني بالضرورة يهودياً، بل يمكن أن يكون نصرانياً وربما شيوعياً، فهناك الكثير من الشخصيات البارزة المعاصرة صهيونيون وإن لم يكونوا يهوداً، من هؤلاء: (بلفور، وتشرشل، وإيدن، وترومان، وإيزنهاور، وكيندي، وجونسون، وكارتر، وريجان، وبوش، وكلينتون) كل هؤلاء تبدي ممارستهم السياسية ما يكشف عن انتمائهم إلىٰ المذهب الصهيوني السياسي.

قال الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر): «لقد آمن وأظهر سبعة من رؤساء الجمهورية، أن علاقة أمريكا بإسرائيل، أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها لأنها متأصلة في وجدان الشعب الأمريكي نفسه وأخلاقه وديانته»(١).

ويحدد أحد الصهاينة من اليهود المعاصرين(٢) تاريخ الصهيونية في مراحل محددة فيقول: «إذا أمعنا النظر نرىٰ أن تاريخ الصهيونية أربعة أزمنة مختلفة الأول: زمن التوراة، والثاني: الزمن السابق لهرتزل، والثالث: الزمن المعاصر لهرتزل، والرابع: الزمن التالي لتصريح بلفور».

إن مجد صهيون الذي تتبنىٰ الحركة الصهيونية الدعوة إلىٰ إعادته، لا يقف عند حد هذا الجبل (صهيون) أو الأرض المحيطة به؛ إنه عندهم يشمل بقعة مترامية الأطراف من بلاد المسلمين. يقول بيجن - في كتابه الثورة -: «منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعد أرض الأم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين، وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوب

---

(١) قال ذلك في خطاب أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس ١٩٧٩م.
(٢) هو إيلي ليفي أبو عسل في كتاب (يقظة العالم اليهودي) الذي طبع بمصر عام ١٩٣٤م.

غربي سورية . . إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها إلى الأبد»[1] .

أما بن جوريون فيكشف في صلافة عن السبب الذي يمنع إسرائيل أحياناً من التوسع . . إنه المرحلية الزمنية لا أكثر ولا أقل! . . يقول: «أما السيف الذي أعدناه إلى غمده فإنه لم يعد إلا مؤقتاً، إننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا، وحينما تتهدد رؤى أنبياء التوراة، فالشعب اليهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات»[2] .

(١) كتاب (الثورة)، لمناحم بيجن، ص ٣٢٥.
(٢) (حياة بن جوريون)، ص ٣٢٧.

خامساً: الماسونية والهيكل

الماسونية كما عرَّفها المستشرق الهولندي (دوزي): جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة هي: «إعادة الهيكل الذي هو رمز دولة إسرائيل»(1) وكلمة ماسونية مأخوذة من كلمة (Free mason) الإنجليزية، ومعناها: البناؤون الأحرار، وقد تأسست الماسونية في شكل جمعية «القوة الخفية أو المستورة»، ثم أطلقوا على أنفسهم «الماسون»، أي البناة الأحرار للهيكل.

وأخذت الماسونية منذ قيام جمعياتها تنوح على الهيكل مظهرة الحرص على إعادة تشييده؛ إذ هو رمز عزة إسرائيل وسواد عينها، وأخذت تتلون تحت مسميات مختلفة: (الروتاري - الليونز - البناي برث - الاتحاد والترقي - شهود يهوه - البهائية) وما إلى ذلك من المنظمات السرية والعلنية التي تلتقي حول هدف السعي لإعادة الهيكل والمحافظة على الراية التي تعلوه، فالماسونية أقدم وأخطر جمعية سرية في العالم، وقد مرت بمراحل عديدة أهمها مرحلة القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وتهدف الماسونية إلى القضاء على الأديان المخالفة لليهودية أولاً تمهيداً لتسلط اليهود على العالم، فهي لذلك السلاح التنفيذي الثاني بعد الصهيونية الذي يستخدمه اليهود في تحقيق مخططاتهم مع فارق مهم وهو أن الصهيونية تستثمر جهود اليهود، والماسونية تستثمر جهود غير اليهود لتحقيق أهداف اليهود.

فحتى غير اليهود من أعضاء النوادي الماسونية، توجه أنشطتهم لدعم الخطة

(1) (الماسونية في العراء) محمد علي الزغبي ص ١٣، وانظر (المذاهب المعاصرة) د. عبد الرحمن عميرة ص ٢١.

العامة المتعلقة بالغايات اليهودية الكبرىٰ. يقول يوسف الحاج: «إن مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغايتها ترمي إلىٰ احترام الدين اليهودي، والعمل علىٰ تجديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم الوطن القومي لليهود»(١).

ولا يهمني هنا كثيراً أن أغوص في المراحل التاريخية التي مرت بها الماسونية أو في الأقوال التي تبحث في مبدأ نشأتها، وإنما يهمني إثبات تلك العلاقة الحميمة بين هذا الجهاز الرهيب المنتشر في العالم وبين هدف اليهود الأصيل في العودة للأرض وإعادة الهيكل. إن للهيكل ذكراً كثيراً عند الماسونية، وإنه - كرمز - يسيطر علىٰ كثير من عباراتهم وشعاراتهم ورتبهم. وعلىٰ العموم فلا تخلو تعريفات الماسون بحركتهم من ردها إلىٰ عهد بناء هيكل سليمان.

وقد ذكر أقطابهم من أمثال: (جورجي زيدان، وشاهين مكاريوس، وإيليا الحاج) أنها ترجع إلىٰ أيام هيكل سليمان(٢).

أما كيف تصل الماسونية إلىٰ القضاء علىٰ الأديان - عدا اليهود طبعاً - فإن ذلك يتضح لنا عندما نعلم الدور الذي قامت به الماسونية لتخريب النصرانية وإشعال الحروب بين طوائفها، فكما هو معلوم؛ فإن الخلافات المحتدمة بين البروتستانت والكاثوليك النصارىٰ لا تكاد تهدأ، واستغل اليهود تلك الخلافات ليقطفوا ثمارها.

ووجدت الماسونية في البروتستانتية خير سند لها في حربها ضد الكثلكة، وتبادل الفريقان الخدمات؛ الماسون يساندون البروتستانت لإذكاء نار الحرب بين الفرق النصرانية، والبروتستانت ينخرطون في محافل الماسونية للاستفادة من نشاطهم السري ومؤامرتهم ودسائسهم.

---

(١) (هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود) تأليف يوسف الحاج، ص ٣٥، مكتبة صادر.

(٢) (جذور البلاء)، عبد الله التل، ص ١١٧، المكتب الإسلامي.

وفي أوائل القرن الثامن عشر وجدت الماسونية في الفلاسفة الملحدين مثل: (فولتير، وروسو، ودالمار، وفردريك ملك بروسيا) أداة مساعدة للقضاء على الأديان، وفي سنة ١٧١٧م أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها، وغيروا فيها لتناسب الجو البروتستانتي في كل من بريطانيا والولايات المتحدة، وأسسوا في ذلك العام محفل بريطانيا الأعظم، وأطلقوا على أنفسهم لقب أو اسم (البنائين الأحرار)، وجعلوا من أهداف الماسونية الخادعة: (الحرية، الإخاء، المساواة)[١].

ومما يدل على أن الماسونية أداة صهيونية ما جاء في البروتوكولات اليهودية عنها: «نحن جيش مشتت عن الوصول إلى أغراضه بالطرق المستقيمة، فالمراوغة فحسب هي الوسيلة الصحيحة، وهي الأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأُمميين»[٢].

وجاء فيها أيضاً: «وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة . . »[٣].

ومن بريطانيا انتشر أُخطُبوط الماسونية، فتأسست بإشراف محفل بريطانيا عدة محافل ماسونية في أنحاء أوربا وآسيا وأفريقيا - فوصلت إلى اثني عشر محفلاً - تقريباً - في السنوات من سنة ١٧١٧ إلى ١٧٧٣م، في باريس وجبل طارق وألمانيا والبرتغال وهولندا وسويسرا والدانمارك وإيطاليا وبلجيكا وروسيا والهند والسويد، وتأسست محافل ماسونية رسمية في أمريكا ابتداءاً من سنة

---

(١) أضاف الماسون شعاراً رابعاً في العقود الأخيرة وهو (السلام)!
(٢) الخطر اليهودي أو (بروتوكولات حكماء صهيون)، البروتوكول الحادي عشر ص١٤٣.
(٣) نفس المصدر (البروتوكول الخامس عشر) ص ١٥٦.

١٧٣٣م، ثم تعددت وكثرت، ولم يأت عام ١٩٠٧م، حتى كان عدد المحافل العظمى في أمريكا يزيد على خمسين محفلاً يتبعها آلاف المحافل العادية، وينخرط في عضويتها أكثر من مليون أمريكي، ثم انتشرت من بريطانيا تحت إشراف محفلها الأعظم محافل ماسونية في كندا واستراليا ونيوزلندا ومصر والشرق الأوسط، وأصبح محفل بريطانيا الماسوني بمثابة قبلة لماسونيي العالم يُيمِّمون وجوههم شطرها.

وتتظاهر الماسونية أنها تهادن الأديان جميعاً، وهي في الواقع تحارب كل الأديان غير اليهودية. جاء في النشرة الرسمية التي أذاعها محفل الشرق الأعظم في فرنسا في يوليو ١٩٥٦م: «نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان، لا مناص من ظفرنا أو ظفرها، ولابد من موتها أو موتنا، ولن نرتاح إلا بعد إقفال جميع المعابد». ولكن معبداً واحداً لن يرتاح الماسون إلا بعد إعادة فتحه وهو الهيكل الثالث الذي ندبوا أنفسهم لمهمة تشييده، وعدُّوا أنفسهم بنائيه الأحرار. جاء في النشرة اليهودية سنة ١٨٦١م: «إن روح الماسونية الأوروبية هي روح اليهودية في معتقداتها الأساسية، لها نفس المثل واللغة، وفي الأغلب نفس التنظيم، والآمال التي تنير طريق الماسونية وتدعمها، هي الآمال التي تنير طريق إسرائيل وتدعمه، ومكان تتويجها هو (بيت العبادة البديع) حيث تصبح القدس رمزاً وقلباً منتصراً»(١).

يقول إدريس راغب ـ وهو أحد الماسونيين العرب: «إن الاعتقاد بوجوب إقامة الهيكل يقوي إيماننا بالوعود المذكورة بالكتاب»(٢).

وفي سنة ١٩٠١م قالت النشرة اليهودية الصادرة في نيويورك: «إن الماسونية

(١) جذور البلاء، ص ١٢٧.
(٢) الماسونية في العراء، ١٠٥.

الأوروبية تشيد بناءاً حيث يعيش إله إسرائيل إلى الأبد».

وقالت دائرة المعارف الماسونية الصادرة في (فيلادلفيا) ١٩٠٦م: «يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود، وهو بالفعل كذلك، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود، وكل ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي».

والماسونية تستخدم رموزاً كثيرة في تاريخها وطقوسها وأسرارها وألفاظها تدل على يهوديتها العريقة، فلها ثلاث مراحل:

الأولى: الماسونية الرمزية العامة:

وهذه تتظاهر بأنها جمعية خيرية تدعو إلى الإخاء، ويرتقي أتباعها أعلى درجاتها - وهي (٣٣) - بعد امتحانات مختلفة ودقيقة. وشعارها «الحية الرمزية المثلثة الرؤوس» وتسعى الرمزية إلى أن تضم في عضويتها رؤساء الدول والوزراء وكبار الشخصيات في البلاد المختلفة.

الثانية: الماسونية الملوكية:

وهي امتداد للرمزية إلا أنها تؤكد ولاءها لليهود والتوراة، وتهدف مباشرة إلى العمل لبقاء دولة إسرائيل وبناء الهيكل في القدس، وهي تعمل في أوساط اليهود.

الثالثة: الماسونية الكونية (الحمراء)

وهذه لا تُعرف إلا في خاصة اليهود، وكانت تستهدف إقامة الشيوعية الإلحادية العالمية واستغلالها لإثارة الفوضى والاضطرابات في العالم تمهيداً لقيام الدولة اليهودية العالمية المسماة: «مملكة إسرائيل العظمى»، ولا يوجد لهذا النوع إلا محفل واحد مركزه نيويورك[١].

---

(١) انظر الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، وثيقة رقم ٣٣، ص ٣٥، ٣٦.

والماسونية بدرجاتها الثلاث تستخدم رموزاً يهودية كما بين ذلك (يوسف الحاج) الذي رجع عن الماسونية بعد أن كان ضليعاً فيها ، وذلك على التفصيل التالي :

١ ـ يسمي الماسون الرمزيون المكان الذي يجتمعون فيه محفلاً أو هيكلاً ، رمزاً للكون الذي هو هيكل الله ، بينما الملوكيون يرمزون به إلى هيكل سليمان الذي يرى فيه اليهود شعارهم الديني .

٢ ـ يستعمل الماسون الرمزيون النور رمزاً إلى نور العقل الإنساني ، أما الملوكيون فيرمزون به إلى النور الذي كان يتجلى فيه الله لموسى ـ عليه السلام ـ وإلى عمود النار الذي رافق بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر .

٣ ـ يرمز السيف في الماسونية العامة إلى القتال في سبيل الحرية ، أما الملوكيون فيشيرون به إلى السيف الذي كان يحمله بنو إسرائيل دفاعاً عن أورشليم عندما كانوا يبنون الهيكل والسور للمرة الثانية بعد رجوعهم من سبي بابل .

٤ ـ «البناء الحر» . . هو نفس هيكل سليمان في عُرف الملوكيين ، بينما يعده الرمزيون علماً إنسانياً يتقدم فيه الإنسان تدريجياً .

٥ ـ الأنوار السبعة ، ترمز عند الماسون العميان إلى عدد الأعضاء الذين لا يمكن بدونهم أن تكون جلسة المحفل قانونية ، وترمز عند الملوكيين إلى عدد السنوات التي أتم بها الملك سليمان هيكله .

٦ ـ يوجد فوق كرسي رئيس المحفل شعار على شكل نجم ، وسطه حرف (G) يُنار هذا الشعار بنور خفي من ورائه . وله صورة ثانية يجعلونها من جهة الشرق ،

يدعونها «النجم الساطع»، أو «كوكب الشرق الأعظم» وهذا هو اسم هيكل سليمان نفسه(١).

٧ ـ من الدرجات الرمزية عند الماسونية: (ابن الأرملة) نسبة إلىٰ (حيرام) ملك صور، وكان ابن أرملة استخدمه سليمان في بناء الهيكل.

٨ ـ في إحدىٰ الدرجات الماسونية ينوب الأستاذ الأعظم عن الملك (أحويرش) زوج الملكة (أستير) اليهودية التي ولد منها (قورش) الذي أمر بإعادة اليهود إلىٰ أورشليم لتجديد الهيكل تحت قيادة (زوربّابل).

٩ ـ (جاكن) أو (ياكين) أو (يهو ياكن)، هو آخر ملوك يهوذا الذي أسره بختصر، وأتىٰ به وبشعبه وبآنية هيكل سليمان إلىٰ بابل.

١٠ ـ (جودا)، أي يهوذا، هو اسم أحد أسباط بني إسرائيل، ويرمزون به إلىٰ يهوذا المكابي الذي حارب ملك سوريا والجيران، وانتصر عليهم بثلاثة آلاف رجل، وحفظ أورشليم، وأعاد نظام الشعائر الدينية في الهيكل.

١١ ـ يوجد في المحافل الماسونية رسم للتوراة يرتكز عليها سُلّم معروف بسُلّم يعقوب، يرمز إلىٰ الحلم الذي رآه يعقوب ـ عليه السلام ـ في منامه، وكانت الملائكة صاعدة ونازلة عليه، وذلك في المكان الذي بنىٰ فيه يعقوب المعبد للمرة الأولىٰ.

والجدير بالذكر أن الماسونية اختارت اللون الأزرق السماوي لوناً رسمياً لها، وهو اللون الذي فرضته اليهودية العالمية علىٰ علم الأمم المتحدة، وهو نفس لون

(١) في سبيل الحق (يوسف الحاج) ص ١٩، نقلاً عن جذور البلاء، ص ١٢٩.

العلم الإسرائيلي. والحزام الذي يلبسه الماسوني في الاجتماعات الرسمية يُصنع من الحرير الأزرق السماوي، وفي أعلاه تاج وتحته سيفان على هيئة الصليب معكوفان بقوس، ثم ثلاث نجمات(1)، وهي عندهم ترمز إلى تمجيد المسامير التي يزعمون أنها دُقت في جسد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد طبع بطرابلس لبنان كتاب اسمه «البناية الحرة» جاء فيه: «إن المحافل يجب أن تبنى على مثال هيكل سليمان، وذلك الهيكل بني على شكل خيمة الشهادة التي أوصى الله بها موسى»، ومن الأدعية التي يقرأها جميع الحاضرين من الدرجة(٣٣) في المحافل الماسونية: «سنعود إلى عهد سليمان بن داود، ونبني الهيكل الأقدس، ونقرأ فيه التلمود، وننفذ كل ما جاء في الوصايا والعهود، وفي سبيل مجد إسرائيل نبذل كل مجهود، الويل الويل للغاصبين المستعمرين، سنجعلهم قطعاً في أفواه الأسود، الانتقام الانتقام، طال المكوث في الظلام، أنعم علينا يارب أنوار القدس التي تجلت على موآب»(2).

ويعتقد اليهود من الماسونيين أنه لم يبق إلا القليل حتى يُهدم الأقصى والصخرة وكنيسة القيامة، وحينذاك يقوم الهيكل حيث حلت الغمامة، وينتصب العمودان على يمين بابه ويساره(3).

إذن فرَفْع الهيكل الذي هو قرة عين اليهود، ونقطة البدء لمجلدات التلمود وبيت قصيد البروتوكولات، كل هذا تحرص عليه الماسونية وتسهر على تنفيذه(4).

---

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ، ص، ٢٣٠.

(٢) البناية الحرة، ص١٥٠.

(٣) الماسونية في العراء، ص ١٥٠.

(٤) في اليوم ١٥/ ٧/ ١٩٦٨، رفضت محكمة الاستئناف الشرعية الإسلامية بالقدس طلب مؤسسة ماسونية أمريكية لشراء أرض من ساحة الأقصى بـ ١٠٠ مليون دولار.

ومما يجدر ذكره أيضاً أن أحد أندية الماسونية الكبرى وهي (أندية الروتاري) تتخذ من نجمة داود شعاراً لها، فقد اختارت المؤسسة الدولية لأندية الروتاري شارة مميزة لها، وهي العجلة المسننة على شكل ترس له أربعة وعشرون سناً باللونين الذهبي والأزرق السماوي، وهما من الألوان المقدسة عند اليهود، وداخل محيط العجلة المسننة تتخذ ست نقاط وهمية (ليتلاءم ذلك مع غموض تلك الأندية وعدم كشفها للغرض الحقيقي منها) بحيث تشكل كل نقطتين متقابلتين من تلك النقاط الست قطراً داخل دائرة الترس بما يساوي ثلاث أقطار متقاطعة في المركز، وبتوصيل نقطة البدء لكل قطر من الأقطار الثلاثة بنهايتي القطرين الآخرين تتشكل النجمة السداسية، تحتضنها كلمة (روتاري) وكلمة (عالمي) باللغة الإنجليزية. وأسنان العجلة الأربعة والعشرون تمثل عدد محافظات العالم؛ حسب اصطلاح الماسونية في تقسيم العالم إلى أربع وعشرين منطقة يمارسون فيها أنشطتهم.

وهذا الشعار يطالعنا كثيراً في الإعلانات التي تنشرها الجرائد لتلك الأندية بين الحين والآخر.

لقد بات معروفاً أن الماسونية التي تنتشر محافلها علانية في مختلف بلدان العالم، قد أخذت طريقها أيضاً إلى العديد من البلدان العربية التي تأخذ الأندية الماسونية فيها أذوناً رسمية بالنشاط والعمل، تحت شعارات الحرية والإخاء والمساواة والسلام، لتجتذب بذلك الأنصار من العميان بأهدافها الحقيقية، أو المبصرين لها المفتونين بها أو المتورطين فيها.

إن المحافل الماسونية في البلدان العربية - علنية كانت أو خفية - تحرص دائماً

على السيطرة على الوظائف الرئيسية والحساسة، وخصوصاً في القوات المسلحة وأجهزة الإعلام المختلفة، وشتى وسائل الدعاية والتوجيه، والمؤسسات المالية والمصرفية، وعلى هامش ذلك يخطط مدبروها بإحكام لتوريط أصحاب المنازل الرفيعة والحساسة من أعضائها في فضائح، تُتخذ منها بعد ذلك وسائل للابتزاز والضغط والتخويف بنشر تلك الفضائح[1] وفي أحيان أخرى كثيرة تنجح الأندية الماسونية في خداع أو استدراج شخصيات كبيرة، قد تكون بعضها دينية، ينجح الماسون في إسقاطهم في حبائل أنشطتهم المعمَّاة.

إنني أسجل هنا، أني لا أستطيع أن أفهم ذلك الكم الهائل من التوريطات أو الخيانات العربية الواضحة للقضية الفلسطينية طيلة خمسين عاماً، إلا إذا وُضع افتراض معين في مقدمة التفسيرات المقدمة لذلك، وهذا الافتراض هو: أن تلك الماسونية تضرب بأطنابها بعمق في قيعان الأرض العربية تحت المظلة العلمانية متعددة الجنسيات والألوان والرايات.

ولا أظن أبداً أنه كان بوسع اليهود وحدهم أن يصلوا إلى هذا العلو الكبير في عقر ديارنا وفي دواخل حصوننا، إلا إذا كان معهم طابور خامس من بني جلدتنا يمثلون أحدث أشكال الوفاق، بين اليهود وأرباب النفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

(١) انظر معلومات موسعة ومدهشة عن ذلك في كتاب (الماسونية والماسونيون في الوطن العربي) تأليف: حسين عمر حمادة، دار ابن قتيبة، دمشق.

سادساً: الإنجيل والهيكل

لم يكن الهيكل في زمن تنزل الإنجيل معظَّماً عند اليهود؛ بل كانوا - بعد أن حلت عليهم اللعنة على لسان - عيسى عليه السلام - مستهينين به، وجاء في الإنجيل أن عيسى - عليه السلام - واجه في الهيكل إفساد كهنة الهيكل من اليهود.. [ولما دخل الهيكل ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص](١).

ويدل الإنجيل على أن عيسى - عليه السلام - كان يتخذ من الهيكل منبراً لدعوته ومعهداً لتعليم تلاميذه، وأنه كان يحذرهم بأن زمان زوال الهيكل قد اقترب، بسبب إفساد أهله فيه وعدم رعايتهم له: [ثم خرج يسوع، ومضى من الهيكل، فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع: ما تنظرون؟! الحق أقول لكم: إنه لا يُترك ها هنا حجر على حجر لا يُنقض](٢).

ولكن الهيكل الذي هُدم بالفعل بعد نحو أربعين سنة من رفع عيسى - عليه السلام - ظلت ذكراه مرتبطة عند النصارى بعيسى - عليه السلام - على اعتبار أن الذين كفروا به من بني إسرائيل لم يعد لهم أي ارتباط به، وظلوا مرتبطين وجدانياً بالهيكل المهدوم.. فلما جاء الإسلام وانتقلت إلى أهله وراثة الأرض المقدسة، وبُني المسجد الأقصى على الصبغة الإسلامية التوحيدية، عاد النصارى إلى الطمع في إعادته إلى الصبغة النصرانية التي ترفع لواء

(١) إنجيل لوقا، ١٩/ ٤٥-٤٧.
(٢) إنجيل متى، ٢٤/ ١، ٢.

التثليث، ولهـذا فقـد تعـاون نـصارىٰ العالم لاستلاب هذا المسجد من المسلمين خـلال حـروب طويلـة، هي الحروب الصليبيـة التي تمكنوا فيهـا بالفعـل من أسـر المسـجد الأقصىٰ ورفع الصلبان فوقه، حـتىٰ أخرجهم منه صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ.

سابعاً: المسيح اليهودي المنتظر.. والهيكل

لاعتقاد اليهود في خروج مسيحهم المنتظر علاقة مباشرة في سعيهم لهدم الأقصىٰ وبناء الهيكل الثالث مكانه ، وهذا المعتقد قديم عندهم ، وظل حلم إعادة الهيكل لتهيئة الجو لخروج مسيحهم يراود الحركات الصهيونية عبر التاريخ ، فكتبهم المقدسة تخبرهم أن علىٰ يده سيكون خلاص اليهود ، وهو الذي سيُتوَّج ملكاً عليهم، يحكم العالم من أورشليم القدس، من بيت الرب، من الهيكل الثالث كما يعتقدون.

والمسيح أو (المسيا) و(الماشيِّح) بالعبرية، معناه: المخلِّص، وهو مشتق من (مشح) أي: مسح بالزيت المقدس، ويُدعىٰ في بعض المواضع في التوراة: (ابن الإنسان) لأنه سيظهر في صورة الإنسان.

والمنتظَر الذي ينتظره اليهود؛ يؤمنون بأنه سيخرج من نسل داود قبل قيام الساعة، أو في (الأيام الأخيرة) كما هو الشائع في تعبير التوراة. وعندما يخرج سيحارب أعداء (إسرائيل) ويتخذ من القدس عاصمة لمملكته، ويعيد بناء الهيكل علىٰ الصبغة اليهودية، أو يعود بعد بنائه ـ علىٰ اختلاف بينهم ـ ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية (التوراة والتلمود)، ويبدأ مع عودته الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام، ومن هنا جاءت (العقيدة الألفية) التي هي في الأصل عقيدة يهودية، ولكن النصارىٰ تبنوها وركبوها علىٰ مولد المسيح عيسىٰ ابن مريم، بحيث يعتقدون بعودته عند بداية ألفية من ميلاده.

وكلتا الأمتين: اليهود والنصارىٰ ـ تؤمن كل منهما بأن مُنتَظَرها إذا خرج

فسوف يحكم العالم من (أورشليم)، ومن الهيكل الثالث، فعلىٰ حين تعتقد طوائف من النصارىٰ بأن بناء الهيكل الثالث سيؤدي إلىٰ ظهور المسيح للمرة الثانية؛ فإن اليهود يعتقدون بأن بناءه سيؤدي إلىٰ مجيء المسيح للمرة الأولىٰ. وهو عند اليهود بالطبع غير المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

وتتحدث التوارة في بعض أسفارها عن ذلك المنتظَر فتقول: [**يُولد لنا ولد، ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبرهان، من الآن وإلىٰ الأبد، وغيرة رب الجنود تصنع هذا**][1].

ولكن يبدو واضحاً أن هذا النص من التوراة قد نالته يد التحريف، فهذه هي الترجمة الحديثة للعهد القديم، وفي الترجمة القديمة لم تكن زيادة: [**على كرسي داود و على مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبرهان من الآن وإلى الأبد**] لم تكن هذه الزيادة منصوصة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (٦٦١ ـ ٧٣٨هـ) ذكر ترجمة في عصره تختلف عن تلك الترجمة بعض الاختلاف، وهي: [**إن غلاماً ولد لنا، وإننا أعطيناه، الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعى اسمه ملكاً، عظيم المشية، مسيراً عجيباً، إلهاً قوياً مسلطاً رئيس السلامة في كل الدهور، وسلطانه ليس له فناء**] ثم قال ـ رحمه الله ـ: «قد يقال المراد بها محمد ﷺ من جهة أن خاتم النبوة علىٰ بعض كتفيه، وهو علامة من أعلام النبوة الذي أخبرت به الأنبياء،

(١) سفر أشعيا، ٩: ٦٦ ـ ٧.

وعلامة ختمهم. ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه، ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه، ويدل على ذلك قوله: «مسلط رئيس السلام»، وهذه صفة محمد ﷺ المؤيد المنصور المسلط رئيس السلامة، فإن دينه الإسلام، ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ومن استيلاء عدوه عليه»[1].

فالنص واضح - على هذا - في أن النبي المنتظر الذي بشرت به التوراة هو محمد ﷺ. ولما كان من دوافع اليهود إلى التحريف في كتبهم حفظ مكانتهم وهيمنتهم لتظل في بني إسرائيل، فقد تركز تحريفهم ووضح في تغيير النبوءات المبشِّرة برسول من ولد إسماعيل هو محمد ﷺ الذي عرفوه كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يتوعدون مشركي العرب بأن يقاتلوهم تحت رايته قتْل عادٍ وإرم، ظآنين أنه منهم.. فلما خرج ورأوه من غير بني إسرائيل كفروا به، وعادوه وآذوه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٨٩]. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقبل محمد ﷺ، لما أُرسل عيسى بن مريم - عليه السلام - أعلن بعض اليهود أنه المخلِّص؛ ولكن أكثرهم رفضوا هذا الرأي وقاوموه: ﴿فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤]. ولكن ظلت الصفات المذكورة في التوراة لمن يُبعث ملكاً وحاكماً للأمم غير منطبقة على عيسى - عليه السلام - بالرغم من إيمان بعض اليهود بأنه نبي مرسل. فظلوا على انتظارهم حتى خرج محمد ﷺ

---

(١) (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٢١٣)، مطابع المجد.

ورأوه وعرفوا صفته من كتبهم؛ ولكن الحقد والحسد أكل قلوبهم لما علموا أنه ليس من بني إسرائيل ولا من نسل داود.

وظل اليهود على انتظارهم للمخلِّص الذي يأملون أن يسودوا الناس على يديه . . هذا بالرغم من دعاء الله لهم وللنصارى بأن يستجيبوا للرسول الخاتم الحق الذي لا رسالة بعده ولا نبوة حتى تقوم الساعة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]. ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة :١٩]، فلما لم يرعوا لنداء الله لهم وهدايته إياهم، أضلهم عنه وصرف قلوبهم عن الحق الذي جاء به؛ وعوضهم عن ذلك مسيحاً أعور دجالاً، يقودهم في العماية، ويزيدهم في الضلال(١).

وعلى الرغم من أن بشارة الكتب السابقة بالمخلِّص قد حُرِّفت، وزيدت فيها معانٍ تصرف محتواها عن معناها الحقيقي، إلا أن البشارة بمحمد ﷺ لا تزال موجودة في بعض نسخ التوراة والإنجيل(٢)، ولكن يد التحريف تأبى أن تثبت حقاً لأصحابه، ولا يزال المحرفون والمؤولون في التراجم والشروح، ينالون التوراة من أطرافها، ويحيلون معانيها إلى أضدادها.

وهناك نسخة من التوراة هي (السامرية)، وهي غير النسخة المترجمة

(١) راجع ـ إن شئت ـ الفصل التاسع من كتاب: حمى سنة ٢٠٠٠ للمؤلف.
(٢) راجع كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي، ص ٤٦٣ ـ ٥٣١، دار التراث العربي. وكتاب (المسيًّا المنتظر، نبي السلام) د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

المتداولة التي هي (العبرانية)، هذه التوراة السامرية فيها نصوص ونبوءات متعددة عن النبي محمد ﷺ، ومع هذا فأتباعها المسَمَّون (بالسامريين) الذين لا يزال أحفادهم يعيشون في مدينة (نابلس)، يكفرون بمحمد ﷺ ويضللون إخوانهم اليهود الباقين، ويدَّعون أن التوراة السامرية هي الصحيحة دون غيرها[1] ويحملون ما فيها من نبوءات عن النبي ﷺ على مُنتظَر آخر الزمان اليهودي. وهؤلاء يرفضون المشاركة في السعي لإعادة الهيكل الآن على اعتبار أن المسيح سيأتي أولاً ثم يبني الهيكل، وهم يصعدون في كل سنة ثلاث مرات إلى جبل (جوزيم) في نابلس للعبادة وترقب مجيء المسيح[2].

ويظهر لي أن الذي في الكتب القديمة نبوءتان، إحداهما عن محمد ﷺ ولا يمكن حملها على أحد غيره لأن ما فيها من تعيين أوصاف لا تنطبق على غيره صلى الله عليه وسلم، ونبوءة أخرى عن رجل يحكم العالم في آخر الزمان قُبيل قيام الساعة ويقيمه على العدل.

فعلى فرض صحة[3] ما يذكر في النبوءة الثانية من صفات تحصرها في مُنتظَر يخرج قُبيل قيام الساعة، فهذا في رأيي يُحمل على المسيح عيسى بن

(١) تُرجمت إلى العربية منذ سنوات قليلة.

(٢) انظر (تاريخ الإسرائيليين)، شاهين مكاريوس، ص ١١٧، ١١٢.

(٣) بعض هذه النبوءات التي يظهر التحريف واضحاً فيها، يظهر أيضاً أن لها أصلاً، فليس كل ما في التوراة والإنجيل محرف مبدل؛ ولهذا أذن النبي ﷺ في الرواية عنهم، وأمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم حتى لا نكذب صدقاً أو نصدق كذباً، فقد تكون بعض النبوءات صحيحة، وبخاصة إذا جاء في شرعنا ما يصدقها.

- راجع تفاصيل مذاهب العلماء في حجم التحريف في التوراة في كتاب (البداية والنهاية)، للحافظ ابن كثير (٢/ ١٤٧).

مريم الذي سينزل آخر الزمان في بيت المقدس، وسيخلف المهدي الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً[(١)].

وعيسى ـ عليه السلام ـ من نسل داود ـ كما هو معلوم ـ من جهة أمه؛ إذ لا أب له.

وعلى كلا الاحتمالين ـ احتمال كون النبوءة في محمد ﷺ أو في عيسى ـ عليه السلام ـ عند نزوله آخر الزمان ـ فليس لليهود المغضوب عليهم فيهما نصيب؛ لأنهم كفروا بهما وعادوهما.

وموضوع الكتاب ـ على أي حال ـ لا يحتمل التوسع في البحث للفصل في هذه المسألة الآن[(٢)]، وإنما الذي يهمني هنا إثبات وجود هذا المعتقد حياً عند اليهود وعند النصارى حتى هذا العصر.

هذا، وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر، فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة؛ بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات، ويرفع رايته ـ أي المسيح ـ للأمم ويجمع منفيي بني إسرائيل، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض.

ومثلما تحدثت التوراة عن نبوءة المخلِّص المنتظَر، تحدث التلمود عنها بعد إضفاء صبغة يهودية موضوعة على ملامح شخصيته.

وبعد إنجاز كتابة التلمود، ظهر عدد من الأحبار اليهود، نشأت عندهم حركة

---

(١) أحاديث المهدي المنتظر متواترة تواتراً معنوياً كما نص على ذلك أهل الشأن، هذا مع العلم بأن في التوراة نبوءات عن خروج المهدي؛ ولكن دخلتها تحريفات.

(٢) لعل الله تعالى ييسر إخراج بحث يتضمن هذا الموضوع وغيره من العقائد المشتركة بين الديانات الثلاث، وربما غيرها فيما يتعلق بأشراط الساعة.

دُعيت في مراحلها الأولى: «الحكمة المستورة»، وصارت تُعرف عند اليهود بـ«القبالة»، وهي كلمة عبرية معناها: (القبول) أو تلقي الرواية الشفوية. وكانوا منصرفين لبحث السر الإلهي فيما يتعلق بمصير المنتظَر الموعود. وكانوا قبل كل شيء يبحثون عن معرفة العلامات التي تنبئ بظهور المسيح اليهودي الذي ينقذ الشعب المختار من الآلام التي يعانيها.

- وتبلورت بذلك عقيدة (المسيح المنتظر اليهودي) التي انبثقت من عقدة السيادة والامتياز عند ذلك الشعب المتغطرس.

ولما كان مجيء المسيح اليهودي يعتبر تجديداً للعالم، فلا بد وأن يسبق مجيئه عودة للفوضى، وكانت الآلام والمصاعب التي تحمَّلها اليهود عبر تاريخهم تُفسر وتقبل على أنها (آلام المخاض). وبعد مجيء المسيح وانقضاء فترة المخاض فإن العالم الجديد المقبل لن يكون كالعالم الحالي في اعتقادهم، فالسلام سيعم العالم الجديد والبكاء والأنين يختفيان منه، ولن يكون بعد ذلك شكوى أو احتجاج أو حزن. فتُبارك إسرائيل بمجيء المسيح اليهودي، وينتهي عنها الضغط، وتتبوأ مركزها العالمي الذي أعده الرب لها، ويتبدل مصير إسرائيل لدرجة أن كثيراً من الغرباء سيحاولون الانضمام للطائفة اليهودية، ولكن يتوجب رفضهم لأن رغبتهم ينقصها الإخلاص، وكما يعتقدون فإنه لا مهتدي يُقبل في أيام المسيح.

وفي التلمود توجد الصفات التي يعدها اليهود خاصة بـ(المسيح الحقيقي) المسيح اليهودي، فجاء فيه: [سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظَر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم].

وجاء في التلمود أيضاً: [حين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف، وقمحاً حبُّه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة إلى اليهود، وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح ، وسوف يملك كل يهودي ألفين وثلاثمائة عبد لخدمته، ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني إسرائيل][1].

ويقول الدكتور (جوزيف باركلي) بعد دراسته لكتاب التلمود: «إن قضية المسيح هي أهم قضايا اليهود فيه»[2].

ويقول التلمود بأن المسيح سيظهر عند ظهور (اليأجوج والمأجوج)، ويؤكد أن جميع الأجانب سوف يدخلون في الدين اليهودي عند ظهور المسيح.

وهناك خلاف بين الحاخامات حول المدة التي يبقى خلالها المسيح على الأرض، فيقول البعض: إنه سيبقى أربعين عاماً. والبعض يقولون: سبعين عاماً والبعض الآخر: ثلاثة أجيال. ويذهب آخرون إلى أنه سيقضي على الأرض المدة التي سبقت مجيئه منذ خُلق العالم أو منذ زمن نوح إلى الآن، ويعللون بأنه إذا وجدت حكومة جيدة فلن تنقرض بسرعة، ويستدلون على ذلك بفقرة من إصحاح أشعيا جاء فيها: [إنه لن يفشل، ولن يثبط من عزمه حتى يقيم العدل على الأرض][3].

ويروي التلمود أساطير في حال الأرض المقدسة وقت نزول المسيح: [أرض إسرائيل ستنبت الخبز والأقمشة من أجود أنواع الصوف، وستنبت القمح في لبنان

(١) راجع (فضح التلمود)، زهدي الفاتح، و(التلمود، تاريخه وتعاليمه)، لظفر الدين خان ص ٥٨ - دار النفائس.
(٢) (التلمود وتاريخه)، ص ٥٨، ٥٩.
(٣) انظر (التلمود وتاريخه)، ص ٦٠، ٧٠.

عالياً مثل أشجار النخيل، وسيهب هواء يجعله دقيقاً فاخراً، وحبوب القمح ستكون مثل كلاوي الثيران، وكروم العنب ستثمر حتى أن عنقوداً واحداً يكفي لثلاثين جرة من الخمر، وسيرتفع بناء أورشليم ثلاثة أميال..]

ويتحدث التلمود عن الحرب التي ستشتعل قرب مجيء المسيح:

[وقبل أن يحكم اليهود نهائياً، يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب](١).

وتأثراً وانطلاقاً من عقيدة المسيح المنتظَر، ظلت أجيال اليهود المتتابعة يَخرج منها الواحد بعد الآخر من الأدعياء والدجالين، كلٌ يدعى أنه المسيح المنتظَر، ومن ذلك:

١ ـ في عام ٦٤٠م ادعى يهودي من بيت أراميا، من قرية الفلوجة بالعراق أنه المسيح المنتظَر، وقد تجمع حوله ٤٠٠ شخص ـ تقريباً ـ من مختلف المهن، وحرقوا ثلاث كنائس، وقتلوا عمدة المنطقة، ولما بلغ خبر المسيح هذا وأعوانه السلطة، أرسلت ثُلة من الجيش أعملت فيهم البطش والتقتيل، وقُبض على المسيح المنتظر اليهودي وأُعدم.

٢ ـ خلال القرون الوسطى وفي آخر خلافة عمر بن عبد العزيز وأول خلافة يزيد الثاني (٩٩ ـ ١٠٢هـ) (٧٢٠ ـ ٧٢٤م)، ظهر دجال آخر بنفس الدعوى.

٣ ـ وظهر آخر في بلدة (شيرين) ادعى أنه المسيح المنتظر، ووعد بأنه سيحقق معجزة استعادة فلسطين (وكانت عند ذلك معجزة غيبية..!).

٤ ـ في القرن الثامن الميلادي، ظهر يهودي آخر من بلدة (أصفهان) يدعى

---

(١) انظر (التلمود وتعاليمه)، ص٦٦١.

عبيد الله أبو عيسىٰ إسحاق بن يعقوب الأصفهاني. ابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية (١٢٧ـ ١٣٢ هـ) (٧٤٤ـ ٧٥٠م)، وقال إن عودة بيت المقدس لن تتم إلا بالقتال، وأعد جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل من اليهود، وقد استمرت حركته فترة من الزمن في عهد السفاح، إلا أن الخليفة المنصور قضىٰ علىٰ هذه الحركة، وهزم جيش اليهود، وفر أبو عيسىٰ باتجاه الشمال[1].

٥ ـ في عام ١٦٠ هـ، وفي عهد خلافة المقتفي لأمر الله العباسي (٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ) حدثت فتنة كان سببها يهودي يدعىٰ داود بن الروض، وكان قد ادعىٰ أنه المسيح المنتظَر، وداود نشأ في سواد الموصل، ثم انتقل إلىٰ بغداد حيث تفقه بعلوم اليهود في مدارسهم الكبرىٰ، وقد برع في علوم العرب ولغتهم، يضاف إلىٰ ذلك إتقانه لفنون السحر والشعوذة، وقد اختار بلدة العمودية في شمال العراق ليعلن نبوته فيها؛ إذ كان ينوي الاستيلاء علىٰ قلعتها الشهيرة بالقوة، فبلغ خبره صاحب العمودية فقتله.

٦ ـ لما وقعت أحداث الاضطهاد لليهود في بولونيا عام ١٦٤٨م قيل عنها أنها بشير لليهود بقرب مجيء المسيح، وقد ظهر هذه المرة شاب يهودي يدعىٰ (ساباتي زويوي) ـ (سافتاي زيفي)[2] من أزمير بتركيا، ولم يكن قد تجاوز بعد الثانية والعشرين من عمره، وكان متحمساً لدعوة «القبالة» آنفة الذكر، وادعىٰ أنه المسيح المنتظَر، وما أن أعلن دعوته حتىٰ تبعه عدد كبير من اليهود المتحمسين، بالرغم من إنكار رجال الدين اليهودي لدعوته. ودعا إلىٰ شطب اسم السلطان العثماني محمد الرابع من الخطب، وإحلال اسم (ساباتاي المسيح) محله،

(١) انظر (مقارنة الأديان اليهودية) ص ٢١٣.

(٢) راجع قصته بتوسع في كتاب (مقارنة الأديان ـ اليهودية)، د. أحمد شلبي ص٢٢٣، ٢٢٥.

وأضاف إليه لقب (ابن داود وسليمان)، واستمر ساباتي ينشر دعوته في الأوساط الدينية اليهودية في العالم، فصار له أعوان كثيرون، صاروا يسمون معارضيهم (كوفريم) أي الكفار، وفي سنة ١٦٦٦م غادر أزمير مع جمهرة من أعوانه متجهاً نحو إستانبول العاصمة لممارسة سلطته كملك، ولكن السفينة التي كانت تقله مع أعوانه داهمتها صاعقة شديدة اضطرتها إلىٰ اللجوء إلىٰ مضايق الدردنيل، ومن هناك سيق مكبلاً بالحديد إلىٰ إستانبول، فسُجن، إلا أن سجنه زاد من الإقبال علىٰ دعوته حتىٰ صار له أتباع في القاهرة بعد أن دعم دعوته فيها الثري اليهودي (يوسف جلبي)، ولما توسع نفوذه وازداد سلطانه بين الطائفة اليهودية بتركيا، أمر السلطان محمد الرابع بنقله إلىٰ مدينة أَدِرْنه، وكلف أحد الشخصيات اليهودية ذات النفوذ أن تتولىٰ إقناع سباتاي بالعدول عن دعوته، وقد تم ذلك بالفعل بعد أن تحداه الخليفة أن يمنع طلقات الرصاص من اختراق جسده، فلجأ إلىٰ حيلة للخروج من المأزق وادعىٰ الإسلام وغيَّر اسمه إلىٰ (محمد أفندي)، وانطلت الحيلة علىٰ السلطان فأجرىٰ له راتباً شهرياً. واستمر ساباتاي في الادعاء خفية بأنه المسيح، وأخذ يبث تعاليمه الدينية بين طائفة الدونمة[1].

وانتقل ساباتاي من ادعاء كونه المسيح المنتظر إلىٰ دعوىٰ أخبث، وهي أنه الداعي إلىٰ الإسلام بين يهود الدونمة الأتراك. وظل يمارس مهمته القذرة في إدخال اليهود ظاهرياً في الإسلام مع بقائهم علىٰ يهوديتهم في السر كيداً للإسلام

(١) يهود الدونمة: طائفة من اليهود خرجت من الأندلس بعد استيلاء النصارىٰ عليها، وتظاهروا باعتناق الإسلام بينما كانوا يمارسون طقوسهم في الخفاء، ولا يتزاوجون من غير الدونمة، وينتسب مصطفىٰ كمال أتاتورك إليهم، انظر كتاب (يهود الدونمة)، د. محمد عمر، مؤسسة الدراسات التاريخية.

ولدولة الخلافة العثمانية، حتى كانت نهاية هذه الخلافة على أيديهم فيما بعد عن طريق جمعية (الاتحاد والترقي) الماسونية اليهودية[1].

وهلك (ساباتاي) في منفاه في ألبانيا عام ١٦٧٦م بعد أن تأكد لليهود أنه ليس المخلِّص المنتظَر.. وعادوا إلى الانتظار!

وفي السنوات الأخيرة انشغل العالم بقصة الانتحار الجماعي لـ ٧٣ شخصاً من أتباع (ديفيد قورش) في ١٩/ ٤/ ١٩٩٣م، في (داكو) بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان ديفيد هذا يعتقد في نفسه ويعتقد فيه أتباعه أنه هو المسيح المنتظر، وكان ديفيد عضواً في جماعة تؤمن بالعقيدة الألفية ترجع نشأتها إلى العام ١٩١٨م، وقد تقلبت تلك الجماعة في أطوار غريبة، حتى إن زعامتها آلت لامرأة تدعى (لويز رودن) ١٩٥٦م؛ حيث ادعت تلك المرأة أن المسيح المنتظر سيكون امرأة!! ولكنها تنازلت بعد ذلك لصديقها القس (فيرمون هاول) راعي الكنيسة السبتية بولاية تكساس الأمريكية، وهذا القس هو نفسه (ديفيد قورش) الذي أطلق على نفسه ذلك الاسم ليتناسب مع اسم (داود) الذي سيأتي المسيح من نسله، و (قورش) الملك الفارسي الذي أعاد اليهود من سبي بابل، وانتقل ديفيد إلى (إسرائيل) فعاش فيها فترة، ثم عاد إلى الولايات المتحدة، وأخذ يعدد في الزوجات لإنجاب أكبر عدد من الأطفال، وادعى أصحابه أن له قوى إعجازية خارقة. وادعى هو أن أتباعه سيبلغون ١٤٤ ألفاً؛ حسب رؤيا (يوحنا) في الإنجيل، وهم الذين سيصعدون معه إلى السماء وقت حدوث حرب (الهرمجدون)، ثم يعودون معه لحكم العالم مدة ألف سنة. وبعد أن بلغ أبناؤه

(١) راجع دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية في كتاب (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية)، د. مصطفى حلمي، وكتاب (الأفعى اليهودية في بلاد الإسلام والمسيحية)، عبد الله التل، وكتاب (يهود الدونمة). تأليف د. محمد عمر.

اثنا عشر ولداً، قال إنهم سيتناوبون الملك من بعده. وجمع ديفيد أبناءه وزوجاته وأتباعه في مجمع أطلق عليه مجمع (الديفيديين) أو الداوديين، وظل يكدس الأسلحة بداخله، وحدث أن تبادل بعض الأعضاء إطلاق النار داخل المجمع فتدخلت الشرطة الأمريكية في ٢٨ فبراير ١٩٩٣م، واشتبك معها أتباع ديفيد فقتل ثلاثة من رجال الشرطة وأربعة من الديفيديين، فاضطرت الشرطة لمحاصرة المجمع وطالبت المقيمين بداخله بتسليم أنفسهم ولكنهم رفضوا.

واستمر الحصار مدة ٥١ يوماً، رفض ديفيد خلالها أن يستسلم، ثم لجأت الشرطة إلىٰ قطع الكهرباء عن المجمع وغمرته بالمياه، فلما شعر ديفيد بأن أحلامه ستذهب هباءاً دبَّر خطة للانتحار الجماعي، وبالفعل أشعل حريقاً في المجمع سرعان ما أتت علىٰ جميع أركانه، وأدىٰ ذلك إلىٰ مقتل ٧٤ شخصاً بينهم ديفيد نفسه و٢١ طفلاً تقل أعمارهم عن ١٥ سنة. وغطت أم ديفيد تابوت ابنها بالعلم الإسرائيلي، وفي الذكرىٰ السنوية الثانية لحريق مجمع الديفيديين؛ قامت مجموعة من الأشخاص الذين كانوا تابعين لديفيد بتفجير المبنىٰ الفيدرالي الأمريكي في(أوكلاهوما) في ١٩ إبريل ١٩٩٥م[1].

وهناك قصة أخرىٰ لمسيح كذاب آخر، تفاعلت أحداثها في عقد التسعينيات أيضاً، وملخص هذه القصة: أن جماعة دينية يهودية تطلق علىٰ نفسها اسم (حبد) دخلت الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٨٨م تأييداً لحركة (أجودات إسرائيل) الدينية، وقد ارتفع عدد نوابها في البرلمان؛ مما مكنها من تأسيس حزب جديد هو (هيجل هاتوراة)، ومع انخراطها في السياسة أخذت حركة (حبد) أو (اللوبافيتش) اتجاهاً يبشر بعودة المسيح القريبة، وأعطىٰ حاخام الحركة نفسه الحق

(١) انظر تفاصيل أخرىٰ في كتاب (المسيح اليهودي ونهاية العالم)، تأليف رضا هلال، ص ١٦٧ - ١٧٠، دار الشروق.

في الاشتراك في كل الحملات الانتخابية الإسرائيلية للتركيز على القضية الأساسية وهي قرب مجيء المسيح وضرورة تجهيز الأرض اليهودية لاستقباله. وحيث أعلنت تلك الحركة عن قرب مجيء المسيح؛ فقد أصبح أتباعها ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جنود جيش المسيح المنتظر، وأعلنوا أنهم سيركزون جهودهم للإسراع بمجيء المسيح لتخليص الإنسانية، وانطلقوا لابسين السواد للانتشار بدعوتهم في نيويورك ولندن وباريس ومدريد وجنيف، داعين إلى العودة إلى الدين، والتوبة التي ستسرع لحظة الرؤية السامية للجميع.

وفي هذه الأجواء طرح واحد منهم نفسه على أنه هو المسيح، إنه (مناحيم شنيرسون) الذي كان يحمل مؤهلات شخصية وعلمية دينية ودنيوية تكفي لفتنة العميان به. وسرعان ما تجمع المفتونون حوله بالآلاف؛ خاصة وأنه يحمل عدداً من شهادات الدكتوراه في مجالات مختلفة. وبدأ اليهود المعجبون به ينسجون الأساطير حول شخصيته، ومع بداية التسعينيات تضاعفت أعداد التابعين له؛ خاصة بعد أن ادعى أنه من نسل داود. وفي خضم الفتنة به، والانتظار للخلاص على يديه، خلُص الموت إليه مما أذهل أتباعه المهووسين به، ودفع بعضهم إلى الاعتقاد أن موته ما هو إلا مرحلة عارضة سيظهر بعدها أمام العالم بملابس بيضاء[1].

ولكن هذه الظواهر الفردية من جماعات صغيرة من اليهود أو أشباه اليهود، لا تعني أن الاهتمام بعقيدة عودة المسيح تقتصر على تلك الظواهر المحدودة زمانياً ومكانياً، بل إن ظاهرة (الصهيونية السياسية) هي في حقيقتها تطوير بالغ الخطورة في مفهوم (الانتظار) عند اليهود، إذ أن تلك الصهيونية، ما هي إلا تمرد على الانتظار السلبي، والانتقال منه إلى العمل الإيجابي.

(١) انظر تفاصيل أخرى في فصل (اللوبافيتش) من كتاب (الأصولية اليهودية) تأليف إيمانويل هيمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ففي أواخر القرن المنصرم أقبل اليهود بسعي جماعي لتخطيط أوضاع عالمية لتهيئة الأجواء التي يتمكنون فيها من الوصول إلى إحكام السيطرة على العالم فتواطؤوا على بث الفتن وإحكام المؤامرات التي تظهر ملامحها فيما عرف بـ(بروتوكولات حكماء صهيون)، ولم يكن ظل المسيح اليهودي المنتظَر بعيداً عن عقول الدهاة الشياطين الذين صاغوها؛ فالبروتوكولات عند من يقولون بصدق نسبتها لليهود ما هي إلا برنامج مفصل للإفساد في الأرض من أجل تهيئة العالم لمجيء المسيح المنتظَر.. وحتى يتسنى له أن يتربع على عرش حكومة واحدة عالمية تحكم العالم من أورشليم القدس.

ولنسمع إلى هذه الفقرات من بروتوكولات حُمقاء صهيون:

[إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية في شخص ملكنا، وستعُدُّه أمتنا ورعايانا فوق الأب الذي يُعنى بسد كل حاجاتهم ويرعى أعمالهم ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض.. وبهذا سينفذ الإحساس بتوقير الملك بعمق بالغ في الأمة، حتى لن تستطيع أن تقدِّم غير عنايته وتوجيهه، إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في سلام إلا به وسيعرفون في النهاية أنه حاكمهم الأوتوقراطي المطلق][(١)].

[ويوم يضع مَلِك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطريرك لكل العالم][(٢)].

[إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحق للعالم، بطريرك الكنيس الدولي][(٣)].

---

(١) البروتوكول الخامس عشر، ص١٦٣.
(٢) نفس المصدر ص ١٦٣.
(٣) البروتوكول الثامن عشر، ص ١٨٢.

[إن حاكمنا دائماً وسط شعبه، وسيظهر محفوفاً بجمهور مستطلع من الرجال والنساء يشغلون دائماً ـ حسب الظاهر ـ أقرب الصفوف إليه](١).

[إن مليكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومُعَيناً من أعلىٰ كي يدمِّر كل الأفكار التي تغري بها الغريزة لا العقل.. إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلىٰ حكم مَلِك إسرائيل، ولكن عملها سيكون قد انتهىٰ حين يبدأ حكم ملِكنا، وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتىٰ لا يبقىٰ أي قذر في طريق ملكنا، وحينئذ سنكون قادرين علىٰ أن نصرخ في الأمم: صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم، والذي يقود الله ذاته نجمه، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه قادراً علىٰ أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة](٢).

وفي البروتوكول الرابع والعشرين، وهو الأخير من البروتوكولات المترجمة يقول المتحدث فيه:

[والآن سأعالج الأسلوب الذي تقوىٰ به دولة الملك داود حتىٰ تستمر إلىٰ اليوم الآخر..].

ثم تختتم البروتوكولات حديثها بهذه العبارة:

[إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي الخارج من بذرة إسرائيل، ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه، إن ملِكنا يجب أن يكون مثال الجبروت..].

ـ توقيع ممثلي صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين(٣).

---

(١) البروتوكول الثامن عشر، ص ١٨٢.

(٢، ٣) البروتوكول الثالث والعشرين ص١٨٨.

ثامناً: مسيح النصارى المنتظر.. والهيكل

من منطلق عقائدي نابع من العهد القديم والعهد الجديد معاً، تقدس طوائف من النصارى الهيكل، فالنصرانية في نظرهم امتداد لليهودية، وما قدسه العهد القديم (التوراة) يجب أن يقدسه أصحاب العهد الجديد (الإنجيل). وتعتقد تلك الطوائف النصرانية بأن إعادة بناء الهيكل سيعجل بمجيء مسيحهم هم (عيسى عليه السلام) للمرة الثانية؛ ولذلك فهم يتعاونون مع اليهود من أجل الوصول إلى ذلك الهدف.. هدم الأقصى والصخرة ثم بناء الهيكل ثم انتظار المجيء الوشيك للمسيح الذي يطمعون أن يدخل اليهود في دينه هذه المرة.

وهذا الاختلاف في شخصية المسيح الآتي، لا يعطل مسيرة العمل المشترك بينهما تمهيداً لمجيئه، بل إن كليهما يعين الآخر في القدر المشترك من الاتفاق. فهما متفقان على ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى؛ ثم عندما يأتي المسيح يكون له شأن آخر..

قال أحد زعماء اليهود لزملائه من المسيحيين: «إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوياً»(١).

وكل من الفريقين - اليهود والنصارى - يحاور الآخر ويراهن عليه ويريد أن يدخله مع أتباع مسيحه، تقول الباحثة الأمريكية (لي أوبرين): «من التناقضات الظاهرية في عمل المنظمات اليهودية الأمريكية مع (طائفة الإنجيليين)، تناقض

(١) (النبوءة والسياسة)، تأليف: جريس هالسيل، المقدمة.

يدور حول التوتر بين رغبة الإنجيليين في التنصير، وبين الاشتباه في مقاومة اليهود الأمريكيين للنشاط التبشيري، ففي حين أن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، فإنها أيضاً تذهب إلى أن تَجمُّع اليهود مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح، ولهذا فأنصار السفارة المسيحية الدولية يشجعون محاولة تنصير أتباع أي مجموعة دينية باستثناء اليهود؛ إذ إنه من المحرم عليهم التبشير بينهم لأنهم سيؤمنون تلقائياً بالمسيح عندما ينزل[1].

وعندما انعقد المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية في (أفانستون) عام ١٩٥٤م، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء في فيه: «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم - التوراة - بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك».

وأصدر مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان الآتي:

«إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل - الشعب المختار - لكي يتابع خلاصه للبشرية، ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل؛ ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم.. إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار».

---

(١) (المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل) تأليف (لي أوبرين)، ص ٢٨٦.

وهذا الغزل اليهودي النصراني لا يقف عند حد العواطف في عصرنا هذا، بل يترجم إلىٰ تعاون في كل المجالات من أجل الأهداف الدينية المشتركة. إن المتأمل في العلاقة بين النصارىٰ واليهود في عصرنا هذا تصيبه الدهشة لهذا الانفراج غير العادي في العلاقات، بعد قرون طويلة من العداء والصراع.

ويبدو واضحاً أن الأساس اللاهوتي الصليبي هو الذي يفسر دعم النصارىٰ لليهود وارتباطهم معهم - وخاصة أولئك الذين يزعمون أن كل نصوص العهد القديم تحتوي علىٰ كل الحقيقة بما فيها وعد الله لإسرائيل في التوراة، ومن ثم اقتناعهم بأن دولة إسرائيل الحديثة هي امتداد لدولة إسرائيل التوراتية. عندئذ لا يكون هناك أي عائق دون اعتناقهم للصهيونية المسيحية؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف استساغ الكثير من قادة النصارىٰ ومبرزيهم في هذا العصر أن ينتسبوا للصهيونية مع بقائهم علىٰ دين النصرانية.

إن تلك الطوائف من النصارىٰ تشارك اليهود اعتقادهم في أن إعادة بناء الهيكل سيعجل بقدوم المسيح، فالطرفان يؤمنان بأن اليوم الآخر علىٰ الأبواب. وبالنسبة للنصارىٰ فإن ذلك يعني أن المجيء الثاني للمسيح عيسىٰ بن مريم أصبح وشيك الوقوع، وأما بالنسبة لليهود فإن مجيء المسيح اليهودي المنتظر للمرة الأولىٰ هو أيضاً وشيك القدوم. ويؤمن الطرفان بأن المكان الذي سيتم فيه ذلك القدوم هو (جبل الهيكل) في القدس؛ لأنه المكان الذي يجب أن يتم فيه إعادة بناء هيكل سليمان، وبموجب العقيدة السائدة بين النصارىٰ؛ فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاثة أمور قبل أن يتحقق مجيء المسيح الثاني:

الأول: يجب أن تصبح إسرائيل دولة.

الثاني : يجب أن تكون القدس عاصمة يهودية.

الثالث : يجب أن يعاد بناء الهيكل.

وفي نظر هذه الطوائف من النصارىٰ واليهود لم يبق سوىٰ إعادة بناء الهيكل ـ وهو الشرط الثالث ـ لكي يحدث المجيء المتوقع للمسيح.

وقد ظهرت دراسة أعدها (مايكل ليدن) وزوجته (باربارا) عن المؤامرات التي تحاك لنسف المسجد الأقصىٰ من أجل بناء الهيكل، وركزت الدراسة علىٰ التحالف القائم بين اليهود المتعصبين من جهة، وبين جماعات المسيحيين المتعصبين من جهة أخرىٰ، والدراسة نشرتها مجلة (نيو ريبابليك) في عددها الصادر في ١٨ يونيه ١٩٨٤م، والذي أعد الدراسة يعمل محاضراً في معهد الدراسات الاستراتيجية في جورج تاون وجاء فيها:

«وراء معظم الأعمال التخريبية التي يقوم بها متطرفون إسرائيليون دوافع مشبعة بالتعصب الديني والسياسي، والتشوق للمسيح الموعود، والواقع هو أن التطرف الحالي يعد تطوراً مباشراً عن التنبؤات الواردة في سفر (الرؤيا) في العهد الجديد، وأن الأشخاص الذين اشتركوا في الأعمال التي استهدفت الأقصىٰ، إنما هم إلىٰ حد كبير، مجموعات عنيفة من حركة غير رسمية تمتد من الولايات المتحدة إلىٰ الشرق الأوسط، وتشمل الملايين من أعضاء الطائفة الإنجيلية مع يهود ومسيحيين. وإن هذا التحالف الغريب يرتكز علىٰ اعتقاد مشترك بأن الساعة قد أوشكت، وأن المسيح قد اقترب ظهوره».

وقد خرجت دعوات من داخل الكنائس الأمريكية إلىٰ ساحات العمل السياسي وبرزت في أجهزة الإعلام الأمريكية تطالب علنا باستكمال مملكة

(إسرائيل) التي تحدث بها سفر التكوين، وأبرز الدعاة من الكهنة النصارىٰ في هذا المجال هو الكاهن البروتستانتي [جيري فالويل] حيث يقول في كتاب صدر له منذ سنوات تحت عنوان (جيري فالويل واليهود): «إن إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة في نبوءات الكتاب المقدس، وإني أومن أن عصر الوثنيين (يقصد العرب والمسلمين) قد ولّىٰ بسيطرة اليهود علىٰ الأرض المقدسة في عام ١٩٦٧م - أو أنه سينتهي في القريب العاجل - وإني علىٰ قناعة بأن معجزة إنشاء دولة بني إسرائيل في عام ١٩٤٨م كان بفضل العناية الإلهية بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، وإن الإله وعد مراراً في العهد القديم بأنه سيجمع الشعب اليهودي في الأرض التي وعدها (إبراهام)، وأعني بها أرض إسرائيل الآن، ولقد أوفىٰ الإله بوعده، وإن إنشاء دولة إسرائيل لدليل ثابت علىٰ أن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حي كريم، وستبقىٰ دولة إسرائيل محور التاريخ». هذا كلام نصراني عن إسرائيل الشعب والدولة!

تقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسيل في كتابها (النبوءة والسياسة): «إن التفسير التوراتي للمذهب البروتستانتي في الولايات المتحدة تحول إلىٰ مصدر يستمد منه عشرات الملايين من الناس هناك نسق معتقداتهم من أولئك المبشرين الذي لهم الآن في الولايات المتحدة محطات تليفزيونية وإذاعات وبعضهم في المراكز الحكومية وفي الكونجرس الأمريكي(١)، ومن بينهم أناس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية(٢)، والإنجيليون يعتقدون بقرب نهاية

---

(١) الإنجيليون يسيطرون منذ عدة سنوات علىٰ الكونجرس الأمريكي بعد سيطرة الجمهوريين عليه.

(٢) تحلل بعض المصادر الفضيحة التي نشرت عن القس جيمي سواجرت - علىٰ أنها عملية ساهم فيها العلمانيون لضرب اتجاه المتدينين لتولي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو أن الصورة انعكست مع الرئيس كلينتون لإفساح المجال لقيادة (متدينة) تقود الولايات المتحدة إلىٰ عصر الإدارة اليهودية الصرفة.

العالم كأمر لا مفر منه، بل كأمر ينبغي تشجيعه لا لشيء إلا لتحقيق النبوءات؛ ولهذا فهم يشجعون التسلح النووي، ولا يهمهم أن يكون عجز الميزانية الأمريكية هائلاً، باعتبار أن ذلك سيقرب مجيء (يوم هرمجدون)(١) وبالتالي يوم عودة المسيح. والعالم في نظرهم يقترب من نهايته، والمعركة الفاصلة النهائية قادمة وستدور رحاها في الشرق الأوسط، وبالتحديد في (مجدو)(٢) في فلسطين. وهؤلاء المبشرون لهم مؤسسات تخدم كل منها غاية أو أكثر من غايات الحركة الصهيونية، وبعض هذه المؤسسات مختص بجمع الأموال من أجل إزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل اليهودي مكانه».

ويبالغ هؤلاء النصارى في مشاعر الترقب القلق لنهاية العالم، وبالتالي يبالغون في نشاطهم الواسع المدى من أجل تحقيق الأهداف اليهودية والنصرانية قبل قيام الساعة، وليس هؤلاء الموتورون قلة بل إنهم كثيرون جداً، يدل على ذلك أنه قد ألّف أحد الإنجيليين وهو (هول لندسي) كتاباً في السبعينيات بعنوان «كوكب الأرض العظيم الراحل»، هذا الكتاب يقول كاتبه في مقدمته: «إنه قد قدر علينا نحن الأحياء في هذا الجيل الحاضر أن ندمر الأرض»، وقد ظل هذا الكتاب رائجاً طوال السبعينيات، وبيعت منه ثماني عشرة مليون نسخة، وكان رونالد ريجان أحد الذين قرأوا هذا الكتاب(٣). ولا شك أن الذين قرأوه أضعاف من اشتروه.

وتذكر مؤلفة (النبوءة والسياسة) عن أحد رموز الإنجيليين، ويدعى (تلايد)

---

(١) سيأتي تفصيل عنه.

(٢) اسم سهل قرب حيفا في فلسطين، ورد اسمه في الإنجيل على أنه سيشهد أكبر معارك التاريخ.

(٣) كما ذكرت ذلك جريس هالسيل في النبوءة والسياسة.

أنه قال لها: «إن المسيح سيعود إلىٰ هذه الأرض لإعادة إقامة حكم الله، ولتحقيق السلام العالمي، وسوف يتولىٰ زمام قيادة العالم، وسوف يقوم بذلك كله من مركز قيادته في القدس»(١). وتحدثت عن مبشر آخر يُدعىٰ (أوين) فقالت: «قال لي (أوين) وهو أحد المبشرين المقتنعين بضرورة إعادة الهيكل وقد كنا واقفين في مدينة القدس القديمة ننظر إلىٰ قبة الصخرة، إن النبوءة التوراتية تتطلب أن يقوم اليهود بتدمير هذا المكان وبناء الهيكل مكانه».

ويبدو أن الدعاية القوية التي يملكها هؤلاء المبشرون من النصارىٰ ويبثونها في الشعب الأمريكي قد أثمرت إلىٰ حد كبير، وأوجدت شعوراً عاماً بأن حدثاً عظيماً جداً سيحدث للإنسانية قريباً جداً.

ففي عام ١٩٨٤م أجري استفتاء في أمريكا، أجرته مؤسسة (يانكلوفيتش) ظهر منه أن ٣٩٪ من الشعب الأمريكي أي حوالي ٨٥ مليون أمريكي يعتقدون بأن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار يعني أن الأرض ستدمر في حرب نووية فاصلة، وأن وقوع الحرب أمر لامفر منه.

وتنقل الكاتبة عن المبشر(أوين) وهو ضابط إنجيلي متقاعد من أتباع المبشر (فالويل): «إننا نعتقد بأن الخطوة التالية في الأحداث بعد إقامة دولة إسرائيل وعودة اليهود للقدس، هو أن يعاد بناء الهيكل، هذه الخطوة ستكون مؤدية إلىٰ عودة المسيح، وإن اليهود بمساعدة المسيحيين يجب أن يدمروا المعبد القائم، (المسجد الأقصىٰ) ويبنوا الهيكل، لأن هذا ما يقوله الإنجيل»(٢).

(١) النبوءة والسياسة، ص ٤٥.
(٢) المصدر نفسه.

وتقول الباحثة الأمريكية (لي أوبرين) في أثناء كلامها عن المنظمات المسيحية المؤيدة لإسرائيل داخل الولايات المتحدة: «تشكلت مفاهيم كثيرة عن هذه المنظمات بتأثير ما يعرف بالمجيء الألفي للمسيح، والاعتقاد الرئيسي لدىٰ من يؤمنون بهذا هو أن المسيح عند مجيئه الثاني سيحكم الأرض مدة قبل يوم الحساب الأخير. . ولكثير من هذه المعتقدات صلة مباشرة بإسرائيل، فأصحابها مقتنعون بأن سلسلة من الأحداث ستجري، والتاريخ يسير إلىٰ ذروته بما في ذلك عودة اليهود إلىٰ فلسطين وتأسيس دولة يهودية ونشر الإنجيل في جميع الأمم وبينها إسرائيل، ومعركة مجدو التي ستقع في سهل قرب ساحل البحر في شمال إسرائيل الحالية حيث سيهزم المسيح جيوش المسيح الدجال». وتستطرد الكاتبة فتقول: «يرىٰ أصحاب هذا الفهم الذي يتغلغل في الفكر الأمريكي أن الله اختار الولايات المتحدة وباركها بصورة خاصة من أجل إسرائيل»(١).

وتتكرر التصريحات تترىٰ من أقطاب النصارىٰ في الغرب، وكأنهم لا ينتظرون فقط حدوث أحداث عظيمة في العالم في هذا العصر، بل إنهم يريدون أن يبادروا بإخراج هذه الأحداث ويصنعونها صنعاً. .

يقول أوين المبشر المسيحي: «إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامي المقدس، وسيستفزون العالم الإسلامي للدخول في حرب مقدسة مدمرة مع إسرائيل، ترغم المسيح المنتظَر علىٰ التدخل» هكذا. . وكأن الأقدار سوف تسير حسبما يشتهون، وسيستخرجون هم مكنون الغيب ليصبح شهادة في الوقت الذي يريدون، وبالشكل الذي يتصورون!!

---

(١) (المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل)، لي أوبرين، ص ٢٧٩.

قال (هول لندسي) المبشر الأمريكي، صاحب كتاب (كوكب الأرض العظيم الراحل) الذي بيعت منه ١٨ مليون نسخة . . «ثمة حدث عظيم آخر يبقى ليعد المسرح تماماً لدور إسرائيل في الفصل الأخير العظيم من مسرحيتها الدرامية التاريخية، وهذا الحدث هو إعادة بناء الهيكل الثالث على موقعه القديم، وثمة مكان واحد فقط يمكن بناء هذا الهيكل عليه ـ وفقاً لقانون موسى ـ وهو على جبل (موريا)[١] فهناك بني الهيكلان السابقان. . ».

ولكن ما هي حكاية يوم (الهرمجِّدون) هذا . . أو يوم معركة مجدو؟

تعالوا نتعرف على هذه العقيدة اليهودية النصرانية . . القديمة الحديثة!

---

(١) هو الجبل المشيد عليه المسجد الأقصى والصخرة.

تاسعاً: عقيدة الهَرْمَجِدُّون

من العقائد المشتركة بين اليهود والنصارىٰ، الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوىٰ الخير وقوىٰ الشر، وتبين فيما سبق أن ٨٥ مليون أمريكي(١) يعتقدون بأن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار يعني أن الأرض ستدمر في حرب نووية فاصلة لا مفر منها.

ومن العجيب أن رجال الدين النصارىٰ من المبشرين وغيرهم يُذكُون في المسيحيين هذا الاعتقاد ويُحيونه، متبعين في ذلك اليهود أحياناً، ومستقلين بالاعتقاد أحياناً أخري.

ولقد جنىٰ هؤلاء المبشرون الكثير من الفوائد والمغانم من وراء زرع الشعور بدُنوِّ القيامة في الناس، ولا شك أن الحديث عن غيبيات ستحدث وربطها بغيبيات حدثت يجذب الانتباه بقوة، ويجلب بإلحاح وشدة نظر مَن يُوجه إليه الحديث، فالخوف من المجهول وترقب المنتظَر أمر طبيعي في مكنون النفس البشرية.

ولم يُقصِّر رجالهم في استغلال تلك المشاعر، وراحوا يُؤججون نيران الحماسة في الناس للمساهمة في صنع الأحداث الجسام التي ستسبق مجيء اليوم الآخر، ومن تلك الأحداث طبعاً عودة اليهود إلىٰ فلسطين واستيلاؤهم علىٰ القدس، وهدمهم للأقصىٰ وابتناؤهم للهيكل، ومن ثم انتظارهم لمجيء المسيح وحدوث المعركة الفاصلة بين قوىٰ الخير وقوىٰ الشر، أو ما يعرف بمعركة (مجدو)

(١) حسب إحصاء أجري في الثمانينيات.

أو (الهرمجدون). و(مجدو) التي تنسب إليها تلك المعركة هي أرض في فلسطين يسميها اليهود والنصارىٰ بهذا الاسم بحسب ما ورد في مصادرهم، وهي تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وفي موقع يبعد ٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، علىٰ بعد ١٥ ميلا من شاطئ المتوسط.

وترتبط في الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامىٰ يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام الغزاة، ويعتقد اليهود ومن تبعهم في ذلك من النصارىٰ: أن جيشاً من مائتي مليون جندي يأتون إلىٰ (مجدو) لخوض حرب نهائية..

أما عن علاقة هذا اليوم بقضية الأرض المقدسة وبناء الهيكل ومجيء المسيح فإن النصارىٰ الإنجيليين يعتقدون بأنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط ولا في العالم إلىٰ أن يأتي المنتظَر الموعود، ويجلس المسيح علىٰ عرش داود في القدس ويحارب أعداء إسرائيل.

والمبشرون والقسس من أمثال (جيري فالويل)، و(هول لندسي)، و(بات روبيرتسون)، والنصارىٰ اليمينيون الآخرون، يعتقدون بأن الإنجيل فيه نبوءة تدل علىٰ العودة الوشيكة للمسيح بعد فترة حروب نووية وكوارث طبيعية، وانهيار اقتصادي وفوضىٰ اجتماعية، وأنهم يعتقدون بأن هذه الأشياء لابد أن تحدث قبل المجيء الثاني للمسيح ويعتقدون بأن هذه الأشياء مبينة بوضوح في الإنجيل. وهم يستندون إلىٰ نص من الإنجيل جاء فيه علىٰ لسان عيسىٰ ـ عليه السلام ـ: **«إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب فلا تقلقوا، فإنه لابد أن يكون هذا، ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك، ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون**

مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى، وهذا أول المخاض، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع»[(1)] .

وفي الحقيقة أن هذا الاعتقاد أصله في التوراة التي عند اليهود، والنصارىٰ تبعوهم فيه، وجاءت الإشارة إليه في التوراة في سفر حزقيال. فعن قدوم قوىٰ (الخير) تقول التوراة:

[بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة؛ تأتي إلى الأرض المستردة من السيف، المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أُخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشى الأرض، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك].

وتتحدث التوراة عن أوصاف ذلك اليوم:

[ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء يأجُوج على أرض إسرائيل ـ يقول السيد الرب ـ إن غضبي يصعد وغيرتي في نار سخطي، تكلمتُ أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض وأستدعي السيف عليه في كل جبالي .يقول السيد الرب: فيكون سيف كل واحد على أخيه، وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة بَرَد عظيم وناراً وكبريتاً..][(2)] .

---

(1) إنجيل متىٰ (٢٤/٩).

(2) سفر حزقيال ـ الإصحاح ٣٨ .

وفي سفر حزقيال أيضاً ـ الأمر لحزقيال بأن يوجه الكلام إلى قوم يأجوج ومأجوج: [**وأنت يا ابن آدم تنبأ على يأجوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يأجوج رئيس روش ماشك[1] وتوبال، وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال، وآتي بك على جبال إسرائيل، وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى، فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك، أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل، على وجه الحقل تسقط لأني تكلمت. يقول السيد الرب: وأرسل ناراً على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين، فيعلمون أني أنا الرب**][2].

وتحدث التلمود أيضاً عن معركة الهرمجدون وجاء فيه:

[**قبل أن يحكم اليهود نهائياً لا بد من قيام حرب بين الأمم، يهلك خلالها ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر، وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم...!**].

وحتى بروتوكولات حكماء صهيون تتحدث عن هذه المعركة:

«إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا؛ ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً إلا لأيد عريقة كأيدينا.. إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل،

---

(١) يقول مفسرو التوراة المعاصرون أن (روش) هي روسيا، و(ماشك) هي موسكو، و(توبال) هي مدينة تيبولسك الكبيرة في روسيا.

(٢) سفر حزقيال ـ الإصحاح ٣٨.

والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم»(١) .

ويتحدث الإنجيل أيضاً عن معركة الهرمجدون ، وهو يتميز عن التوراة في حديثه عنها بأنه يعيِّن الموضع الذي ستقع فيه هذه المعركة ، جاء في سفر الرؤيا وعلى لسان عيسى ـ عليه السلام ـ : **[ها أنا آتي كلص ، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عُريته ، يجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية (هَرْمَجَدُّون)]**(٢) .

وعن مقدمات حرب الهرمجدون وعلامات مجيء المسيح ، جاء في الإنجيل أيضاً على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ : **[إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب ، فلا تقلقوا ، فإنه لا بد أن يكون هذا ؛ ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك ، ستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى ، وهذا هو أول المخاض ، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع]**(٣) .

ولكن أصحاب هذا الاعتقاد يفسرون هذه النبوءات بتطبيقها على وقائع ومسميات ، فيعتقدون أن بلاد الشرق قوة شريرة ، وأن هذه القوة الشريرة ستقدم يوماً على حرب ضد قوى الخير ممثلة في إسرائيل وأشياعها من دول العالم النصراني الغربي ، وهم يضمون المسلمين إلى جانب قوى الشر .

ومن الطريف أنهم يسمون دولاً بعينها ويجعلونها في مصاف القوى الشريرة التي ستشهد معركة مَجدُّو ـ منها : روسيا : (روش) ، وموسكو (ماشك) ، وإيران (فارس) ، وأوروبا الشرقية (كور) ، والقوقاز (توغارما) ،

(١) بروتوكولات حكماء صهيون (ترجمة محمد خليفة التونسي) ، البروتوكول الخامس ص١٢٣ .
(٢) سفر الرؤيا ـ الإصحاح (١٦/ ١٥) .
(٣) إنجيل متى ، (٢٤/ ٩) .

وليبيا (لوبيا)، والقرن الإفريقي مع جنوب اليمن (غومر)، والعراق (آشور وبابل)..!

ومن العجب أيضاً أن الحديث عن «الهَرمجدُّون» يُتداول على نطاق واسع، وعلى أعلى المستويات وفي أدق القضايا العالمية، وأخطرها ما قاله المبشر [جيمي سواجارت] في برنامج تليفزيوني أذيع في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م: «يجب ألاً نتوصل إلى أي اتفاقات مع الروس.. إن معركة (هرمجدُّون) مقبلة، ستقع هذه المعركة في سهل مَجدُّو.. إنها مقبلة، في وسعهم أن يوقعوا كل معاهدات السلام التي يريدون.. كلها لن تنفع..! مشكلات أفريقيا لن تحل، مشكلات أمريكا الوسطى لن تحل، ومشكلات أوروبا لن تحل، بل ستصبح أسوأ.. حتى يأتي المسيح المخلِّص».

وكان القس الآخر (جيري فالويل) يركز طوال عقد الثمانينيات على استثارة مشاعر الناس وعواطفهم تجاه إسرائيل ـ على اعتبار أنها منطقة الأحداث الكبرى القادمة ـ في برنامجه التليفزيوني اليومي المسمى (العهد القديم).

وكان ينظم رحلات دورية إلى الأرض المقدسة، يطوف فيها بالمسيحيين الإنجيليين في أنحاء القدس شارحاً لهم كيف ومتى ستحدث الأحداث العظام في هذه المناطق.

وقد قام (جيري فالويل) برحلة إلى فلسطين عام ١٩٨٣م، اصطحب فيها ٦٣٠ مسيحياً استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب وذهبوا إلى (مجدُّو) مكان المعركة المنتظرة.

وقال (جيري فالويل) في خطبة ألقاها يوم ٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م معلقاً على اقتباس من سفر الرؤيا، ومشيراً إلى معركة مجدُّو: «إن هذه الكلمة

(مجدُّو) تنزل الخوف في صدور الناس، سيحدث اشتباك أخير، وسيدمر الخالق هذا الكون» وقال: « وبالرغم من التوقعات الوردية وغير الواقعية من جانب حكومتنا بشأن اتفاقات كامب ديفيد بين مصر إسرائيل، فإن هذه المعاهدة لن تدوم طويلاً». ثم قال: «من المؤكد أننا نصلي من أجل سلام القدس، ومن المؤكد أننا نكن الاحترام لمن وقع اتفاقية السلام، إنني أعلم وأنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يوماً على عرش داود في القدس».

وهناك قس آخر وهو (بيلي جراهام) يركز في دعوته على أن يوم مجدو على المشارف، وقد حذر عام ١٩٧٠م من أن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، وأن الجيل الحالي قد يكون آخر جيل في التاريخ، وقال إن أكبر معركة في التاريخ ستقع في هذا الجزء من العالم (أي الشرق الأوسط).

ويقول المبشر (أوين): «إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامي المقدس، وسيستفزون العالم الإسلامي للدخول في حرب مقدسة مع (إسرائيل) ترغم المسيح المنتظَر على التدخل، إن اليهود يعتقدون أن قدومه سيكون الأول، ونحن المسيحيين نعلم بأن هذه ستكون زيارته الثانية، نعم لا بد بالتأكيد من أن يكون هيكل يهودي ثالث»(١).

وعندما سئل (القس ديلوتش): «إذا نجح اليهود الذين تؤيدهم، ودمروا قبلة الصخرة والمسجد الأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة،

(١) راجع بتوسع هذه التصريحات وتصريحات أخرى مماثلة في كتاب (النبوءة والسياسة)، و(الدين والسياسة في إسرائيل)، لعبد الفتاح محمد ماضي، و(البعد الديني في السياسة الأمريكية)، للدكتور يوسف الحسن، و(الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي)، ماجد كيلاني، و(الصهيونية المسيحية)، لمحمد السماك.

فهل تعتبر نفسك من المسؤولين عن ذلك؟ أجاب قائلاً: كلا؛ لأن ما سيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله».

وكما أسلفت؛ فإن الاعتقاد في معركة مجدُّو وأنها وشيكة الوقوع قد سيطر على قطاع عريض من النصارى ومنهم أشخاص اعتلوا أعلى كراسي المسؤولية في العالم، ومن هؤلاء الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان»، يقول الأمريكي (آندرو لانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية بواشنطن: «لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدُّو، ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة».

وقد عقد (لانج) مؤتمراً صحفياً نظمه معهد الدراسات المسيحية بواشنطن، وقال في المؤتمر: «إنني وآخرين من المعهد أردنا التحقق من أمر ريجان وأيديولوجية مجدو، بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما - شخصياً - بأن الله قد قدر سلفاً حرباً نووية، هي إمكانية تثير عدداً من الأسئلة المخيفة، فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية بالتفاوض على نزع السلاح حقاً؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعياً ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون تواقاً للضغط على زرٍّ ما شاعراً بذلك أنه يحقق تخطيط الله المقدر سلفاً لنهاية الزمن»؟!!.

وفي الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه كان دائماً يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة؛ إذ قال في مقابلة تليفزيونية مع المبشر جيم بيكر عام ١٩٨٠م: «كنت محظوظاً لأن أمي غرست فيَّ إيماناً عظيما أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين».

وقال في تصريح علني آخر: «إن الكتاب المقدس يضم كل الإجابات على

قضايا العصر، وعلى كل الأسئلة الحائرة إذا ما قرأنا وآمنا، إن الأموال التي ننفقها في محاربة المخدرات والمسكرات والأمراض الاجتماعية؛ يمكن توفيرها لو حاولنا أن نعيش وفق الوصايا العشر. . . لقد أخبروني أنه من بداية الحضارة سُنت ملايين القوانين، لكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله في الوصايا العشر. . ».

وكان ريجان يعارض بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها. . يقول: «لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها ا لمجتمع الأمريكي»(١).

ويبدو أن ريجان كان يذهب بعيداً في إيقانه من أن المسألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجيء يوم هرمجدون فقد كان يعتقد ألاَّ عقبات هناك تحول بين ذلك اليوم وبين حدوثه، قال ريجان لملز: «إن كل النبوءات الأخرى التي تعيَّن تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت، والفصل ٣٨ من حزقيال يقول: [إن الله سيأخذ بني إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشتتين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعاد]، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهيأ لمعركة مجدو، والمجيء الثاني للمسيح»(٢).

وفي السنوات القليلة الماضية، ازدادت وتيرة الخوف من حدوث حرب عالمية ثالثة، تكون أحداثها هي التطبيق الفعلي لأخبار الهرمجدون، فإضافة إلى كتاب (هول لندسي) (كوكب الأرض، ذلك الراحل العظيم) الذي بيعت منه ١٨ مليون نسخة؛ فقد أصدر (لندسي) نفسه كتاباً آخر عن الموضوع نفسه بعنوان: (العالم

---

(١) (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي)، إسماعيل الكيلاني، ص ١١، مكتبة الأقصى، قطر.
(٢) النبوءة والسياسة، ص٦٤.

الجديد القادم) قال في مقدمته: «فكروا فيما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندي من الشرق، مع ملايين أخرىٰ من قوات الغرب، يقودها أعداء المسيح . . إن عيسىٰ المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في (هرمجدون) فلا غرابة أن يرتفع الدم إلىٰ ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس، وهذا الوادي سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء»(١)!

وصدر كتاب علىٰ الشاكله نفسها بعنوان (أسرار نهاية العالم)، وقد ألفه عدد من العلماء الغربيين، وهم: الدكتور الفرنسي (جان بيير) المتخصص في سيمولوجيا الانثربولوجي، والدكتور الإنجليزي (ديفيد) المتخصص في مجال المعلومات، والدكتور اليوناني (ديمتري) المتخصص في علم اللغويات، والدكتورة الإسرائيلية (ميريام) المتخصصة في علم اللاهوت، وقد استنبطوا من (سفر يوحنا) مادة كتابهم، وجاء في مقدمة الكتاب: «إن حضارتنا هذه ستكون ضحية مرة أخرىٰ لجنون حرب عالمية ثالثة، لن تستغرق طويلاً، لأن الأسلحة الموجودة الآن نووية، وستحرك هذه الحرب يأجوج ومأجوج الذين تمثلهم الصين في هذا العصر، بما تملك من ترسانات نووية موجهة نحو الغرب».

هذا إضافة إلىٰ موجة من الأفلام السينمائية ضخمة الإنتاج، والتي يقبل علىٰ مشاهدتها عشرات الملايين، وتدور أحداثها حول ملامح العالم في ظل حرب كونية نووية شاملة، مثل فيلم (الشتاء النووي) الذي عرض في بداية التسعينيات وآثار موجة من الرعب، وفيلم (الشبح) في نهاية التسعينيات الذي قُدر مشاهدوه

---

(١) لاحظ أنهم يعتقدون أن الحضارة المادية المعاصرة ستفنىٰ بعد حدوث هذه الحرب، وأن الحرب ستعود بالخيل والرماح والأدوات والحيوانات!

- كما ذكرت صحيفة الخليج (٢٣/ ٥/ ١٩٩٩م) بـ ٨٣ مليون شخص من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها.

هذا.. ومما يدل على أن النصارى الإنجيليين في انشغال دائم بمعتقد حرب الهرمجدون، أنه لما غزا العراق الكويت في أغسطس ١٩٩٠م روَّج اليمين الإنجيلي لدعاية مفادها أن هذه الحرب هي المقدمة الحقيقية لمعركة الهرمجدون، وأن صدام حسين سيقود قوى الشر (لتدمير إسرائيل) ولكن تحالف قوى الخير سيهزمه!! وظنوا أن هذه المعركة ستتفاعل حتى تتحول إلى حرب نووية عالمية، فلما لم يحدث ذلك أُسقط في أيديهم، ويبدو أن عدم سقوط صدام حسين بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب أقنعهم بأن تلك الحرب ما هي إلا حلقة من حلقات حرب الهرمجدون[١].

والعجيب أن كتاباً إسلاميين كتبوا ما يطابق هذه النظرية الغربية! وكأن حديث اليهود والنصارى عن (الهرمجدون) هو حق بكل تفاصيله!!.

(١) انظر (المسيح اليهودي ونهاية العالم)، تأليف رضا هلال ص١٣٦.

عاشراً: عقيدة البقرة الحمراء.. والهيكل

ومن العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى البروتستانت بالذات، اعتقاد يقوم على حتمية ظهور بقرة حمراء خالصة قبيل قيام الساعة، يكون ظهورها علامة على قرب مجيء المسيح المنتظَر، وقرب وقوع الهرمجدون، ويكون ظهورها دليلاً كذلك على أن هذا الأوان - أوان الظهور - هو الوقت المناسب لبناء الهيكل الثالث، ويستمد أهل الكتاب هذا المعتقد من نص في التوراة التي بين أيديهمْ يقول: « **وكلّم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلّم بني اسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نَيْر**[1] **فتعطوها (ألعازار) الكاهن، فتُخرج خارج المحلة وتُذبح قدامه، ويأخذ العازار الكاهن دمها بأصبعه، وينضح من دمها في وجه خيمة الاجتماع سبع سنوات، ويحرق البقرة أمام عينه، يحرق جلدها ولحمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن ثيابه**»[2]، فالوظيفة الطقسية للبقرة الحمراء عند ظهورها يتمثل في أنه لا بد من تطهير شعب (إسرائيل) من النجاسة، حتى يتهيأ للتعبد في المعبد المقدس حال إقامته؛ لأنه وفقاً للتوراة فإن: «كل مالم يتطهر؛ فإنه ينجِّس مسكن الرب»[3] (أي الهيكل)، ولأن هذا الشعب - في اعتقادهم - قد تلبس بنجاسة عامة منذ عشرات القرون بسبب ماتسميه الشريعة اليهودية: (نجاسة الموتى) التي تنتج عن ملامسة أي شيء له علاقة بالأموات!.

(١) النّير: هو الخشبة التي تُوضع على عنق الثور للحراسة، انظر لسان العرب، (٨/ ٤٥٩٣).
(٢) سفر العدد - الإصحاح ١٩.
(٣) سفر العدد - الإصحاح ١٩.

إن هذه النجاسة العامة التي انغمس فيها (الشعب المختار) لا تزول ـ لسوء الحظ إلا برماد البقرة الحمراء المقدسة عندما تُذبح، وهي لن تُذبح إلاّ قبالة الهيكل عندما يقام أو يشرع في بنائه، جاء في التوارة التي معهم : [**هذه هي الشريعة... إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة، وكل من كان في الخيمة يكون نجساً...كل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مسَّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً]... [والذي مسَّ ماء النجاسة يكون نجساً.. وكل ما مسه النجس يتنجَّس، والنفس التي تمس تكون نجسة**][1] .

واليهود المعاصرون يطلقون على البقرة التي ستظهر في آخر الزمان وصف(البقرة الحمراء العاشرة)؛ لاعتقادهم أن تسع بقرات سابقة ظهرت في التاريخ اليهودي، وكان ظهورها جميعاً في عصور كان الهيكل فيها قائماً، فهم يقولون إنه قبل ألفي عام مضت في حقبة المملكتين اليهوديتين الأولى والثانية، تم مزج رماد بقرة حمراء صغيرة ذُبحت في عامها الثالث، وخُلط دمها بالماء واستُخدم في (تطهير) الشعب اليهودي، ليصبح مهيأً للدخول إلى الهيكل المقدس، ويعتقدون أيضاً أنه لم تولد طوال التاريخ الديني اليهودي بقرة بتلك الأوصاف منذ دُمر الهيكل الثاني عام ٧٠م، وعلى حسب التاريخ الديني اليهودي فإنه قد جرت التضحية ببقرة حمراء واحدة في زمن الهيكل الأول، وبثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني، واليوم يستعدون لمرحلة الهيكل الثالث و زمان (البقرة العاشرة)، ومنذ فترة طويلة واليهود يحسبون لقرب زمان (البقرة العاشرة) ففي بداية هذا القرن الميلادي، عندما استشعر اليهود أنهم اقتربوا جداً من تحقيق

---

(١) سفر العدد ـ الإصحاح ١٩ .

حلم الألفي عام بإقامة دولة لهم في بيت المقدس، وبعد وعد بلفور بثلاث سنوات، جرت مباحثات في عام ١٩٢٠م بين الاتحاد الصهيوني والسلطات الإنجليزية من أجل التوصل إلى صيغة لتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الانتداب، وكان من بين الموضوعات المطروحة للبحث: (ملكية جبل الهيكل)، وطرح الجانب الإنجليزي في المباحثات سؤالاً: هل هذا المطلب عاجل أو آجل؟ وما مدى اجتماع الشعب اليهودي حول هذا الطلب؟ فأجابهم الحاخام (داف كول) قائلاً: يؤمن الشعب اليهودي كله إيماناً لا يتزعزع أن هذا المكان المقدس وكل جبل الهيكل هو مكان العبادة الأبدي للشعب اليهودي، وبالرغم من أنه في حكم غيرنا الآن، إلا أنه في النهاية سيقع تحت أيدينا، ويوم تقع أرض الهيكل في أيدينا؛ ستأتي إشارة من الرب (البقرة الحمراء) وبعدها نبدأ فوراً في البناء؛ حيث تنبأ بذلك أنبياء بني إسرائيل»[١].

فظهور البقرة عندهم إشارة أو علامة، أو آيه تدل على قرب زمان الهيكل؛ ولكنها ـ كما هو الأصل في ذلك المعتقد ـ أمر قدري لايدبر.. ولكن متى كان اليهود وقافين عند حدود عقائدهم صحيحة كانت أو باطلة؟!، لقد بذلوا مساعيهم لاستخراج هذه البقرة في السنوات الأخيرة، حتى أعلنوا بالفعل عن ظهورها أو بالأحرى إظهارها.

بقرة ٩٦.. والإنذار المبكر:

في شهر أكتوبر من عام ١٩٩٦م، أعلن في إسرائيل عن ظهور البقرة الحمراء، وأعلن أنها ولدت في مزرعة (كفار حسيديم) قرب حيفا، وعلى الفور

(١) صحيفة الشرق القطرية، نقلاً عن صحيفة معاريف الإسرائيلية (١٣/ ٥/ ١٩٩٧م).

ذهب وفد من الحاخامات لمعاينة البقرة المولودة لمقارنتها بالأوصاف المذكورة في التوراة، ثم أعلنوا وقتها أنها مطابقة لتلك المواصفات، وأمر الحاخامات بفرض حراسة مشددة عليها[1] وبدأت وسائل الإعلام الغربية تربط بين ظهور البقرة وبين قرب بناء الهيكل وقرب مجيء المسيح، فعلقت صحيفة (الأوبزرفر) البريطانية في عددها الصادر في (٩/ ٧/ ١٩٩٧م) على أخبار البقرة قائلة: «سيكون الذبح الطقسي للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها، بداية العد التنازلي للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق، وتبشيراً بمجيء المسيح المخلِّص» .

وتبارى زعماء اليهود في إظهار مشاعر الابتهاج الممزوجة بالقلق والترقُّب، فقال الزعيم اليهودي المتعصب (يهودا اتزيون) الذي كان متهماً رئيسياً في محاولة تفجير قبة الصخرة عام ١٩٨٥م: «إننا ننتظر منذ ألفي عام ظهور إشارة من الرب، والآن أرسل لنا البقرة الحمراء، وظهورها يعتبر أحد أهم الدلائل على أننا نعيش في زمن مميز، ولهذا فلا بد من الإسراع بإزالة مسجدي الأقصى والصخرة من جبل الهيكل ونقل بقاياهما إلى مكة»[2] .

ودعا العديد من زعماء الجماعات الدينية داخل دولة اليهود إلى إلغاء الفتوى الحاخامية القديمة التي تحظر على اليهود دخول ساحات المسجد الأقصى، ووقعوا توصية بذلك في المؤتمر السابع لحركة (إعادة بناء الهيكل)[3]، وبالفعل استجابت لجنة من ٦٠ حاخاماً، وقررت تجاوز هذا الحظر إيذاناً للاستعداد العملي لمرحلة بناء الهيكل، واحتجوا بأن لديهم مسوغات كافية تجعل من حق اليهود أن يصعدوا

(١) الأخبار المصرية ٢٥ إبريل ١٩٩٧م.
(٢) السياسة الكويتية (٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م).
(٣) الحياة (١٦/ ٩/ ١٩٩٨م).

إلىٰ ساحة الأقصىٰ الآن، وقال المتحدث باسمهم: «إن الحظر العام علىٰ الصعود؛ لم يكن يأخذ في اعتباره السابق الاكتشافات الأخيرة، وأبرزها: اكتشاف البقرة الحمراء»[1] ولكن مع غلبة روح الفرح العارم لدىٰ جماهير اليهود المتدينين بل وغير المتدينين، بدأت الشكوك تتسرب إلىٰ نفوس بعض الحاخامات حول استمرار تطابق أوصاف البقرة المكتشفة عام ١٩٩٦م مع أوصاف البقرة المذكورة في التوراة خاصة، وأن بعض الشعيرات البيض ظهرت علىٰ رموشها ونهاية ذيلها!

ولكن الكلام عن تلك البقرة التي أطُلق عليها اسم (ميلودي)؛ فتح الكلام علىٰ المستوىٰ العام عن عقيدة البقرة العاشرة وما يرتبط بها من شعائر وطقوس، بل إنه أطلق في واقع الأمر سباقاً بين أثرياء اليهود لإنشاء مزارع لتربية هذا النوع من البقر الذي تغلب عليه الحمرة، والمعروف بسلالة (ريد نفوس) عسىٰ أن يصادف أحدهم الحظ فتخرج بقرة الزمان من مزرعته.

وكان كاهن أمريكي يدعىٰ (كلايد فوت) من المنتمين إلىٰ حركة الهيكل الثالث قد تعهد منذ سنوات علىٰ وقف جهوده للعثور علىٰ بقرة بالمواصفات الدقيقة المذكورة في العهد القديم، ونذر نفسه للمساعدة في أي مشروع يتعلق بإعادة تأهيل الهيكل للعبادة، وقد أنشأ مزرعة بالفعل في ولاية مسيسبي الأمريكية لتربية الأبقار من سلالة (ريد نفوس) مستجيباً في ذلك لنصيحة من الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس)، ثم أنشأ الكاهن (كلايد فوت) فرعاً لهذا المزرعة في مدينة حيفا بالأرض المحتلة، تحسباً لاكتشاف البقرة المنتظَرة.

---

(١) الأنباء الكويتية (٩/ ٧/ ١٩٩٨م).

هذا وقد كان المفترض أن تذبح البقرة (ميلودي) حسب الطقس اليهودي - بعد ثلاث سنوات من مولدها - على اختلاف في تعيين هذا الموعد - فكان المعلن أن تذبح إما في يناير ٢٠٠٠ للميلاد أو في أغسطس من العام نفسه، ولما لم يحدث ذلك، فالظاهر أن اليهود قد عدلوا عن (ميلودي) ريثما تظهر بقرة جديدة.

والذي يهمنا هنا، أن الاعتقاد اليهودي بحتمية ظهور بقرة حمراء لتأهيل اليهود للعبادة في الهيكل، سيدفعهم بلا شك، للاستماتة في البحث عن بقرة تحمل نفس المواصفات المذكورة في التوراة، وهذا الأمر وإن كان يمثل عند البعض منا لوناً من الأخبار الغريبة.. وربما المضحكة، إلا أنه في الحقيقة يحمل في طياته بذور فتن وتطورات خطيرة، يمكن أن تحدث مع خروج البقرة الموعودة من الحظيرة.

ومن العجيب أنه في أواخر شهر أغسطس من عام ٢٠٠٠، ظهرت أخبار أخرى عن العثور على بقرة أخرى في ولاية تكساس الأمريكية، وكانت صحيفة (يديعوت أحرونوت) قد أشارت إلى ذلك في (١٦/ ٩/ ١٩٩٨م) وادعت أنها ستُنقل إلى القدس قريباً. ولكن الظاهر أنهم آثروا في هذه المرحلة أن يحيطوا الحادثة بالكتمان، حتى يتيقنوا من تطابق الشروط على ما يعدُّونه آية الزمان.. البقرة الحمراء.

* * * *

تنبيه:

أحسب بعد عرض تلك الخلفيات الاعتقادية للصراع عند اليهود والنصارى، أن القارئ الكريم، سيبادر بالسؤال: وماذا عن تلك العقائد في المنظور الإسلامي، وما هو مقابلها الصحيح الصريح في ديننا الحنيف ونصوصه المعصومة من التحريف؟

والجواب: إن هذه المسائل لا يتسع لها المقام هنا في هذا الكتاب، والمؤلف الآن بصدد إعداد بحث علمي في هذه المسائل، أسأل الله أن ييسر إتمامه.

الفصل الخامس

المتآمرون وأبعاد المؤامرة

- المنظمات الأمريكية الصهيونية (النصرانية) المؤيدة لليهود.
- النشاط الكنسي المؤيد لليهود.
- المنظمات اليهودية المعنية بهدم الأقصى وبناء الهيكل.
- أبرز الاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى (١٩٦٧ - ٢٠٠٠م).



أحداث متتابعة + معلومات متناثرة = حقيقة متواترة عن النية المدمِّرة

الهيئات والمنظمات اليهودية والنصرانية الضالعة في المؤامـرة ضـد الأقصـى

(الواقعيون) العرب، يغضبهم استعمال كلمة (المؤامرة)، وهم من فرط وقوعهم ضحايا المؤامرات، لم يعودوا يحسون بوخز التآمر، منهم أو عليهم، بل أصبح كثير منهم يشارك في المؤامرات السرية والعلنية دون شعور بالإثم أو إحساس بالذنب؛ لأنهم على قناعة تامة بأنه لم يعد في عصرنا ـ عصر النقاء والطهارة ـ شيء يستحق أن يسمى (مؤامرة)، وخاصة إذا كانت تلك المؤامرات صادرة عن اليهود أو النصارى، أما (المؤامرات) «الأصولية»، فهي وحدها التي تقبلها عقولهم (الواقعية). . !! أَوَ ليست هذه بحد ذاتها مؤامرة. . ؟!

إننا ـ وبعد الاعتذار لهؤلاء «الواقعيين» وبعد اتضاح الخلفيات التي تدفع اليهود ومعهم طوائف من النصارى للسعي الجاد لإعادة بناء الهيكل على أنقاض الأقصى والصخرة، لا بد أن نقف وقفات لإثبات ما يدلل على أن هذا الهدف التآمري اليهودي النصراني يتحرك عملياً وجدياً.

وكما أسلفت؛ فإن هدم الأقصى ليس مجرد مجيء (بلدوزر) ليسوي بالأرض جدراناً وأحجاراً قديمة ليحل مكانها بناء جديد. . لا . . إن المغزى الكبير في هذه المؤامرة هو أن إقصاء الأقصى ـ ذلك الرمز الإسلامي الخالد ـ يراد من ورائه عودة الدين اليهودي من خلف أستار التاريخ لجولة ثأرية مع دين الإسلام.

ولأن جدلاً ما يثور أحياناً حول قدرة اليهود على التأثير في الشعوب والدول غير اليهودية من أجل كسب تأييدها والمشاركة في صنع قراراتها؛ فإني سأبدأ - قبل ذكر المنظمات المعنية ببناء الهيكل بعد إزالة الأقصى - بذكر المنظمات اليهودية التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر في صناعة السياسات الغربية المعادية للعرب والمسلمين بالإضافة إلى دعمها القوي لـ (إسرائيل)، ولعل ذلك يعين أيضاً على مزيد من التفهم للخلفية الدينية للصراع المعاصر بين الإسلام وندّيه القديمين اليهودية والنصرانية.

وقبل البدء في ذكر هذه المنظمات أحب أن يلاحظ القارئ معي النقاط الآتية في أنشطتها:

* مدى ما لهذه التجمعات والمنظمات من تأثيرعلى مجريات الأمور بسبب جديتها وإصرارها على الوصول للهدف.

* هذه المنظمات تقوم بمفردها أحياناً، وبانضمامها إلى غيرها أحياناً أخرى بأدوار تعجز عن القيام بها دولة أو دول بأكملها.

* التكامل بين أنشطة هذه المنظمات وتنسيقها للجهود فيما بينها، مع الحرص على عدم ترك مجريات الأحداث للصُدف.

* الاستمرارية والتواصل في النشاط مع التواؤم مع المتغيرات، والنأي عن التقوقع داخل القوالب الجامدة.

* التطوير والابتكار والتجديد المستمر لأساليب العمل، مع عدم الزحزحة عن الثوابت والأصول في الأهداف.

* مراعاة المرحلية في الانتقال الطبيعي تجنباً لأساليب الطفرات غير الناضجة.

* الفهم العميق لطبيعة المجتمع الذي ينشطون فيه، واستيعاب بنيته وتكوينه مما يساعد على التحرك لمد الجسور مع جميع شرائحه وطبقاته.

* إدراك تام للمتغيرات الداخلية والخارجية وتبدل موازين القوى، وتطوير وسائل استشراف المستقبل لكي يسهل التخطيط وتقل فرص الخطأ.

* الاعتماد على الواقعية مع التعقل، والتقنية في التعامل مع الأرقام والمعطيات، ووضع سلسلة أولويات تحكم التحرك والمناورة.

وبما أن الولايات النصرانية الأمريكية هي أبرز نموذج للانحياز المطلق لدولة اليهود، فستكون أمثلتنا منها(١):

أولاً: منظمات صهيونية ذات توجه سياسي ديني:

١ـ (المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية) تأسست سنة ١٩١٩م، وهي التي تسلمت من بريطانيا أرض فلسطين بعد الانتداب لتجهيز الأجواء فيها لحين قيام الدولة، ولا تزال لها أنشطة كثيفة في أمريكا وغيرها.

٢ ـ (الوكالة اليهودية لإسرائيل) تأسست سنة ١٩٢٩م، ومركزها نيويورك، وتتولى جمع الأموال من يهود أمريكا لدعم الكيان اليهودي.

---

(١) المعلومات المذكورة في هذا الفصل مستقاة من مجموعة من الدوريات والكتب مثل:
ـ (الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس)، تأليف: كيت ما جواير، (النبوءة والسياسة)، جريس هالسيل، (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ماجد كيلاني، (المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل)، لي أوبرين، (البعد الديني في السياسة الأمريكية)، د. يوسف الحسن.
ـ (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي)، إسماعيل الكيلاني.
ـ (المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل)، تأليف الكاتبة الأمريكية (لي أوبرين).
* وهذا السرد مختصر جداً لما في المصادر المشار إليها، فمن شاء فليراجعها هناك بتوسع.

٣ ـ (المنظمة الصهيونية العالمية) تأسست سنة ١٩٧١م، وأهدافها هي : تنمية نشر المبادئ اليهودية والصهيونية ـ وحدة الشعب اليهودي ـ تشجيع الهجرة لإسرائيل ـ توطين المهاجرين وتأهيلهم ـ تنمية الاهتمام باللغة والثقافة والأدب والتاريخ العبري، وتتبعها عدة معاهد ومدارس ومؤسسات نشر.

٤ ـ (الاتحاد الصهيوني الأمريكي) تأسس سنة ١٩٧٠م، ومركزه نيويورك ويتبعه ست عشرة منظمة يهودية في أمريكا، ويرىٰ الاتحاد أن هدفه الأساسي هو (تفسير إسرائيل عملياً).

٥ ـ (المنظمة الصهيونية النسائية ـ هداسا) تأسست سنة ١٩١٢م، ومركزها نيويورك، وتضم ١٤٠٠ فرع في أمريكا، وقررت في عام ١٩٨٣م أن تتحول إلىٰ منظمة دولية، وهي تضطلع بمهمتين: تزويد الشعب الأمريكي بالمعلومات عن إسرائيل، وتجميع الأموال لبرامج تنفيذية في إسرائيل، وتعد نفسها أكبر ممول في العالم للصندوق القومي اليهودي، ولها جريدة (هداسا مجازين)، و(هداسا) اسم إحدىٰ الملكات اليهوديات.

٦ ـ (المنظمة الصهيونية في أمريكا) تأسست سنة ١٨٩٧م، ومركزها الرئيسي نيويورك، وهي تركز علىٰ تأكيد الارتباط بين أمريكا وإسرائيل، ورصد نشاطات الكونجرس والبيت الأبيض، وتوزع المنظمة عبر وكالاتها الإخبارية نشرة أسبوعية تحوي كل الأخبار الحيوية، وتبرز خلال نشرتها الأسبوعية نشاطات إسرائيل.

٧ ـ (رابطة الصهيونيين الإصلاحيين في أمريكا) تأسست سنة ١٩٧٧م، ومركزها نيويورك، وتضم سبعين ألف عضو ـ تقريباً ـ من الجماعات الدينية اليهودية، وقد تشكلت منظمات علىٰ نمطها في كندا وبريطانيا وجنوب إفريقيا

واستراليا، ثم انضمت جميعاً في مجموعة واحدة باسم (أرضنا)، ولها اتصال دائم بالبيت الأبيض والخارجية الأمريكية والكونجرس؛ وذلك لتحقيق هدفها المعلن: «تأمين التزام أمريكا بأمن إسرائيل».

ثانياً: منظمات دينية طائفية يهودية:

١ ـ (مجلس الاتحادات اليهودية) تأسس سنة ١٩٣٢م، ومركزه نيويورك وهو ينسق جهود الاتحادات اليهودية المحلية، ويقوم بدور التخطيط للأنشطة اليهودية خارج إسرائيل في استراتيجية بعيدة الأمد، وتطوير الكوادر القيادية في مختلف التخصصات، ويضع المجلس على رأس اهتماماته (فهم ودعم أمريكا لإسرائيل)، ويقوم المجلس بإعداد الدراسات والأبحاث عن القضايا والمشاريع اليهودية في العالم.

٢ ـ (المجلس الاستشاري لعلاقات الطائفة اليهودية الأمريكية)، تأسس عام ١٩٤٤م، وهو يتولى تنسيق جهود الوكالات المتكاثرة للطائفة اليهودية، ويرعى شؤون ١٢٢ منظمة قومية ومحلية يهودية أمريكية، ويضمن عدم الازدواجية في أنشطتها، ويعقد المجلس الاستشاري مؤتمرات تُستخدم لإعداد خطط البرامج المشتركة.

٣ ـ (اللجنة اليهودية الأمريكية) تأسست عام ١٩٠٦م، وبدأت اللجنة في سنواتها الأولى بالانهماك في مساعدة اليهود المهاجرين وتعليمهم، وفي محاربة العداء للسامية، وتضم ٥٠ ألف عضو ـ تقريباً ـ، ويتبعها ٢٣ مكتباً إقليمياً، ولها عدة مراكز للأبحاث الأكاديمية، وهي تقوم بدور (الخزان الفكري) للعملية الإعلامية اليهودية في أمريكا، فهي صاحبة أكبر عدد من المجلات والنشرات والمذكرات إعداداً وتوزيعاً.

٤ ـ (الكونجرس اليهودي الأمريكي) تأسس عام ١٩١٨م، وكان له دور في سنواته الأولى في إثارة القضية اليهودية عالمياً، ويضم هذا الكونجرس الآن ما يقرب من ٤٠ ألف عضو، ويهتم بتأكيد الموضوعات المتصلة بإسرائيل من خلال إعداد الدراسات فيها، وتنمية دعم أمريكا لإسرائيل وشن الهجمات الإعلامية على الدول العربية، والعمل على فتح أبواب الهجرة الروسية لإسرائيل.

٥ ـ (عُصبة مناهضة الافتراء) تأسست عام ١٩١٣م، وهي تابعة لجمعية بناي بيرث (أي أبناء العهد) الدولية، وهذه الجمعية تضم منظمات في أكثر من ٤٠ دولة، وعُصبة مناهضة الافتراء تتولى العمل ضد ما يسمى بالعداء للسامية، وهي موجة كانت قد انتشرت في بداية هذا القرن، واستغلها اليهود لاستدرار العطف عليهم. وبعد حرب ١٩٦٧م الذي أسمته العصبة (النصر المعجزة) تحولت إلى مناهضة العداء للصهيونية باعتباره نوعاً من العداء للسامية(١).

ثالثاً: منظمات الدعم المالي:

من هذه المنظمات ما يأتي:

١ ـ (النداء اليهودي المتحد)، تأسست هذه المنظمة سنة ١٩٣٩م، ولها حملة مركزية سنوية لجمع التبرعات، وتحول ٨٠٪ من دخلها السنوي لإسرائيل، وقد جمعت في عام ١٩٨٠ وحده ٣٠٧ مليون دولار، ذهب منها إلى إسرائيل ٢٦١ مليون دولار، ومنذ ذلك الحين استمرت الحملة السنوية في جباية أكثر من نصف بليون دولار سنوياً وزيادات ثابتة كل سنة، وشعار النداء اليهودي المتحد في جمع المال من الأمريكيين هو (نحن واحد).

---

(١) اليهود يفسرون أمام العالم أن الأعداء يحاربونهم من وجهة عنصرية؛ لأنهم ينحدرون من نسل سام بن نوح.. ويتجاهل هؤلاء أن العرب أيضاً من نسل سام.

وللمنظمة جهاز يشتمل على برامج ولجان عديدة لإمكانية الاستفادة من المناسبات القومية لجباية المال، ولها بعثات للخارج، وتبتكر برامج لفئات خاصة من المتبرعين، وتقوم بأعمال تأهيلية للموظفين الجُباة العاملين معها، وفي عام ١٩٨٠م نظمت لقاءاً مع جورج بوش، و٣٠ من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي . . وهي تنظم رحلات (إلى إسرائيل) تشتمل على لقاءات مع كبار المسؤولين.

٢ ـ (النداء الإسرائيلي المتحد)، تأسست عام ١٩٢٥م، وكان اسمها قبل عام ١٩٤٨م، (نداء فلسطين المتحد)، وتهدف المنظمة من خلال الأموال التي تتسلمها إلى المساعدة في إعادة استيطان واستيعاب المهاجرين إلى إسرائيل، فهذه المنظمة تقوم بدور المستلم للأموال التي تجمعها منظمة النداء اليهودي ـ التي سبق ذكرها ـ وتتلقى دعماً مباشراً من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، فبين عام ١٩٧٢ إلى ١٩٧٦م زودتها واشنطن بنحو ١٢١ مليون دولار، من أجل إعادة توطين المهاجرين السوفيت في (إسرائيل).

٣ ـ (اللجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع المشترك)، تأسست عام ١٩١٤م في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى من أجل إعادة منكوبي الحرب من اليهود ثم انتقلت إلى (شعار مساعدة المحتاجين اليهود)، ولهذا فهي تقوم بتنظيم وتمويل برامج الإغاثة والعون وإعادة التأهيل لجميع اليهود المعرضين للخطر أو الحاجة في أنحاء العالم، وتنظيم برامج يستفيد منها ٣٠٠ ألف يهودي في ٣٠ بلداً. وتمد الحكومة الأمريكية هذه المنظمة أيضاً بالدعم، فقد أمدتها عام ١٩٨١م بنحو ١٣ مليون دولار، وقدمت لها المنظمات المالية اليهودية الأخرى ٣٦ مليون دولار.

٤ ـ (الصندوق القومي اليهودي)، تأسست عام عام ١٩٠١م، وقد أنشئت

في الأساس كصندوق يهودي لشراء الأراضي في فلسطين، وبعد عام ١٩٤٨م أصبح هدفها هو شراء واستئجار أو مبادلة الأراضي والغابات والحقول في أي منطقة تهم حكومة إسرائيل. وفي عام ١٩٨٠م قدر الصندوق القومي اليهودي مجموع موجوداته في (إسرائيل) بأكثر من ١٤٨ مليون دولار، ويستخدم الصندوق شعار (ازرع شجرة في أرض الميعاد)، وتكون هذه الشجرة مقابلاً رمزياً للتبرعات.

٥ ـ (صندوق وقفية إسرائيل)، تأسس عام ١٩٢٢م، وقد أنشئ أولاً كمؤسسة خيرية لتمويل الجماعات اليهودية في فلسطين، وبعد إنشاء الدولة اليهودية تحول إلىٰ تمويل المؤسسات الإسرائيلية الدينية والتربوية من خلال السعي لإعفاء المتبرعين الأمريكيين من الضرائب.

٦ ـ (منظمة سندات دولة إسرائيل)، تأسست عام ١٩٥١م ، والمناسبة التي أنشئت من أجلها هي أن فريقاً مؤلفا من تسعة وخمسين زعيماً يهودياً أمريكياً زاروا إسرائيل في سبتمبر سنة ١٩٥٠م، واجتمعوا إلىٰ رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتذاك (ديفيد بن جوريون) للبحث في وضع (إسرائيل) الاقتصادي، وقد أطلعهم بن جوريون علىٰ ما يفيد أن حاجات (إسرائيل) المالية كاسحة لتحقيق مشاريعها وخططها، فقرر المجتمعون أن (إسرائيل) قد بلغت مرحلة من التطور لم تعد التبرعات فيها كافية، ولابد من إيجاد قناة للتمويل تشرف عليها بصورة مطلعة ودائمة عناصر أمريكية مؤيدة لإسرائيل، وانبعثت من هذا القرار نواة إنشاء منظمة سندات إسرائيل، في شكل شركة استثمار تهدف إلىٰ توفير المال علىٰ نطاق واسع لاستثماره داخل (إسرائيل) لتنميتها اقتصادياً، وبفائدة للمستثمرين تقل كثيراً عن أي سوق مالية أخرىٰ، وبدأت عمليات استثمار ضخمة من أصحاب الأعمال الأمريكيين اليهود وغير اليهود.

وفي أعقاب هجوم (إسرائيل) على لبنان سنة ١٩٨٢م، أجرت حكومة (إسرائيل) اتصالات مكثفة مع (منظمة سندات إسرائيل) لتمدها بالأموال، وقام رئيس الوزراء بيجن بجولة أمريكية، وأقامت له المنظمة حفل غداء وقدموا له فيه شيكاً بمبلغ ٣٥ مليون دولار كدفعة أولى من ١٠٠ دولار ألزموا أنفسهم بجمعها قبل مرور شهرين.

٧ ـ (الشركة الإسرائيلة الأمريكية)، تأسست سنة ١٩٤٢م، وهي شركة استثمارية تقوم بالعمل على تمويل المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية في إسرائيل، فهي تسعى للاستثمار المباشر في (إسرائيل).

٨ ـ (الشركة الاقتصادية الإسرائيلية)، تأسست عام ١٩٢٦م، وهي تهدف إلى تشجيع التنمية والتقدم في الاقتصاد الإسرائيلي.

٩ ـ (صندوق إسرائيل الجديد)، تأسست عام ١٩٧٩م، وهو يمثل النمط الأحدث بين منظمات جباية المال لتأييد إسرائيل، وتأسس في سان فرانسيسكو احتجاجاً على (الأسلوب التقليدي) للمنظمات الأخرى لجمع التبرعات، ويحدد الصندوق طريقته في العمل بأنه يكمل الجهود الخيرية الأخرى عن طريق ابتكار الوسائل لاجتذاب الأفراد الذين يبدون رغبة تذكر في التبرع من أجل قضايا (إسرائيل)!!

١٠ ـ توجد إلى جانب المنظمات آنفة الذكر عشرات من الجماعات التي أنشئت بغرض الدعاية والجباية لمؤسسات وجهات معينة داخل (إسرائيل).

رابعاً: جماعات اللوبي السياسي الموالي لإسرائيل:

هي مجموعة مصلحية خاصة تعمل ضمن النظام السياسي لكي تؤثر في

وضع السياسات على وجه يتفق مع قضيتها.

ويشمل اللوبي السياسي الصهيوني في أمريكا المجموعات الآتية:

١ - (اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة)، وتأسست عام ١٩٥٩م وهي اللوبي الرسمي الوحيد المسجل المكلف بمهمة الدعاية لدعم إسرائيل باسم الطائفة اليهودية الأمريكية، وكان هدفها في البداية زيادة المساعدة الأمريكية الاقتصادية لإسرائيل، وتتفوق هذه اللجنة على أية منظمة أمريكية أخرى في اتخاذ مواقف وقيادة حملات تعكس موقف الحكومة الإسرائيلية.

٢ - (اللجنة القومية للعمل السياسي)، وتأسست عام ١٩٨٢م، وهي أغنى وأضخم لجان العمل السياسي المؤيد لإسرائيل، وهي تلقي بثقلها في تأييد المرشحين للعمل السياسي من الموالين لإسرائيل، وهي تجمع التبرعات لتأييد المتحالفين مع دولة (إسرائيل)، ولها ضلع في كل معركة انتخابية لمجلس الشيوخ ومجلس النواب.

٣ - (مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى)، تأسس عام ١٩٥٩م، وفي حين أن (اللجنة الإسرائيلية الأمريكية) هي اللوبي الخاص بالجماعة المناصرة لإسرائيل، ومعروفة ببأسها وقدرتها على المناورة السياسية، فإنه يمكن وصف مؤتمر الرؤساء بأنه الذراع الدبلوماسية لها. ويعبر مؤتمر الرؤساء عن الموقف الموحد للدوائر اليهودية الأمريكية المتنوعة.

٤ - (المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي)، تأسس ١٩٧٧م، ليؤلف مركزاً لرصد البنتاجون، ويؤثر في سياسة الأمن القومي الأمريكي.

٥ - (لجان العمل السياسي)، وهي لجان برزت كقوة سياسية في أعقاب

الإصلاحات الانتخابية بين القانونيين عام ١٩٧٦م، ومنذ سنة ١٩٨٢م كان مجموع لجان العمل السياسي في الولايات المتحدة ٣٣٠٠ لجنة، ويمثل نصفها تقريباً المصالح التجارية والباقي يضم مجموعات متفاوتة، وهي رديف رئيسي ومهم لنشاطات الطائفة اليهودية واللوبي المؤيد لإسرائيل.

٦ - لجان عمل سياسي أخرى مؤيدة لإسرائيل، وهي تبلغ حوالي ٣٣ لجنة متفرقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتقوم بمساعدة المرشحين الموالين لإسرائيل.

النشاط الكنسي المؤيد لدولة اليهود

استهدفت منظمات يهودية في أمريكا الكنيسة بوصفها ميداناً ومجالاً لتوليد المشاعر والآراء المناصرة للدولة الإسرائيلية، فالكنائس تمارس النفوذ من خلال برامج الدراسة وما تذيعه عبر الراديو والتلفزيون والنشرات الإخبارية والصحف والدوريات التي تصل إلى الملايين من الناس. كما أن الكنائس تدير مئات الجامعات والندوات والصحف وعدداً ضخماً من المدارس الابتدائية والثانوية، وعلى الرغم من العلمانية الظاهرة في الحياة الغربية؛ فإن الكنائس تظل مصدراً مهماً للمؤثرات الخلقية والثقافية والعقائدية في تلك المجتمعات، ولقد أوجدت في العقود الأخيرة تياراً متحمساً للدين ومتلهفاً إلى سد الفراغ بروحانياته ومثالياته(1).

وبمرور الوقت استطاع اليهود من خلال منظماتهم المعنية بالعلاقات مع الطوائف أن يكيفوا الأوضاع معها على نحو يستفيدون منه بما لم يكونوا يحلمون به.

---

(1) نشرت جريدة الواشنطن بوست - في 26/ 12/ 1983م - إحصائية أجراها معهد (جالوب)، أثبتت أن ستين بالمائة من الأمريكيين يهتمون بالدين، وأن اثنين وأربعين بالمائة منهم يداومون على الصلاة في الكنائس، وأن ستة وعشرين بالمائة منهم يقبلون على دراسة (الكتاب المقدس). كما قرر أكثر من ثلث الأمريكيين أن قراراتهم السياسية تتأثر بمعتقداتهم الدينية، وجاء في الإحصائية أن الأمريكان قرروا بنسبة اثنين إلى واحد أن الدين يحمل الجواب على مشاكل العالم المعاصر، وأن ستة وخمسين بالمائة منهم يعتمدون اليوم على الله أكثر مما كانوا منذ خمس سنوات. وفي استطلاع آخر أجراه معهد جالوب أيضاً في 13/ 3/ 1995م، كشف أن 70 مليوناً من الأمريكيين يشاهدون بانتظام (الكنائس المرئية) وهو التعبير الشائع في أمريكا عن الشبكات التلفزيونية الدينية الإنجيلية، وتتبعها 104 محطة تلفزيونية.

وأذكر الآن طرفاً من معالم هذه الأوضاع العجيبة، علىٰ أني أذكِّر بأن هذه المعلومات المتعلقة بالنشاط الكنسي تتناول الولايات المتحدة فقط، وإلا فإن في بقية دول العالم النصراني أبعاداً أخرىٰ. فمثلما يتعاون (البروتستانت) الأمريكيون والإنجليز مع اليهود، فكذلك يتعاون (الكاثوليك) التابعون للكنيسة الإيطالية، ولكن المنظمات اليهودية تركز علىٰ التعاون مع كنائس البروتستانت، لأن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين البروتستانت واليهود من النواحي الاعتقادية، وخاصة من يطلق عليهم اسم الطائفة الإنجيلية.

الإنجيليون، أو (المسيحيون الصهيونيون):

وهم أتباع (الكنيسة الإنكليكانية) أو الإنجيلية، ويصف (بولستر جورج جالوب) في كتابة (الدين في أمريكا) الإنجيليين بأنهم: «الذين تنصروا مرة أخرىٰ، ويؤمنون بالمسيح مخلِّصاً، وبالنصوص المقدسة مصدراً لكل اعتقاد، ويشعرون بأن نشر الدين ضرورة ملحة»، ويسمون إعلامياً بالمسيحيين الأصوليين، ويمثلون تياراً قوياً جديداً في أمريكا يعبر عن (الصحوة الدينية المسيحية).

والإنجيليون يتبعون المذهب البروتستانتي، ولهم أنشطة واسعة الانتشار وهم الذين جعلوا (ريجان) يوافق علىٰ أن العام ١٩٨٤م هو عام الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. ويمثلون أقوىٰ الفئات المسيحية في أمريكا، ويرون أن بناء الهيكل يُقرِّب إلىٰ يوم (مجدو) وبالتالي إلىٰ قدوم المسيح حسب تنبؤات (الكتاب المقدس)، لذلك فهم يدعمون التوجه الإسرائيلي نحو هدم الأقصىٰ، بالرغم من اقتناعهم بأن هذا الحدث قد ينتج عنه اشتعال الحرب العالمية الثالثة.

وتقيم هذه الكنيسة الإنجيلية[1] تحالفاً معلناً وصريحاً ليس فقط مع إسرائيل الدولة؛ بل مع الحركات والمنظمات الدينية اليهودية المعنية بإعادة بناء الهيكل[2]. وقد أنشئت (مؤسسة الهيكل المقدس اليهودية) بأموال ودعم من تلك الكنيسة. ومدير هذه المؤسسة هو (دوجلاس كريغر)، وهو أيضاً نائب رئيس المنبر الأمريكي (للتفاهم) المسيحي اليهودي، والمدير التنفيذي لشركة (ألاسكا) لتأجير الأراضي.

وأتباع الكنيسة الإنجيلية ـ كما تقدرهم الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل) يبلغون خمسة وثمانين مليون شخص[3]، والأنشطة التي يقوم بها الإنجيليون واسعة النطاق، فكتبهم تزيد على ثلث مجموع الكتب التي يشتريها الجمهور[4]، ويملكون ويديرون ١٣٠٠ محطة راديو، أي محطة بين كل سبع محطات في الولايات المتحدة، وفي أواخر السبعينيات كانت تفتح محطة تليفزيونية إنجيلية جديدة كل ثلاثين يوماً، وتجتذب المدارس الإنجيلية أكبر عدد من طلاب المدارس الخاصة، وقد أصبحت هذه المدارس هدفاً مهماً للمنظمات اليهودية.

وتنظم الكنيسة رحلات دورية سياحية دينية للقدس لزيارة الأماكن اليهودية والمسيحية المقدسة لديهم، وهناك نحو مائتين وخمسين منظمة تحمل أفكار الإنجيليين بدأت حرباً مكشوفة ضد المسلمين في الولايات المتحدة إلى جانب

---

(١) ليس المقصود أنها كنيسة واحدة؛ بل نظام كنسي ونسق عقدي عام يشمل مجموعات كثيرة من الكنائس في أنحاء أمريكا وغيرها من الدول ذات الأغلبية البروتستانتية.

(٢) سيأتي تفصيل عنها.

(٣) كان هذا في فترة الثمانينيات، وقد زادت أعدادهم في التسعينيات.

(٤) كتاب (الأرض، ذلك الكوكب الراحل العظيم) الذي صدر في السبعينيات لكاتب إنجيلي، بيعت منه ثمانية عشر مليون نسخة، وكان ريجان أحد الذين قرأوا هذا الكتاب.

عونها المتزايد لليهود، ويقوم فريق من أبرز نجوم التليفزيون في أمريكا بتأييد إسرائيل في برامجهم بصورة منتظمة. وتقوم هذه المنظمات بجهود لجمع التبرعات من النصارى الأمريكيين بشكل عام لصالح إسرائيل، وقامت بعض المنظمات بإنشاء فروع لها في الأرض المحتلة للمشاركة المباشرة في مشروع إنشاء المعبد الثالث.

المنظمات (المسيحية الصهيونية) المتواطئة في المؤامرة على الأقصى

هذه بعض المنظمات النصرانية الصهيونية التي تدعم مشروعات (إسرائيل) انطلاقاً من تعاليم الكنيسة الإنجيلية :

١- (السفارة المسيحية الدولية في القدس)، أنشأها الإنجيليون في سبتمبر ١٩٨٠م، وتعمدوا أن يكون مقرها في القدس لمغزىً واضح، وأصدرت تلك السفارة فور إنشائها نشرة استهلتها بعبارة : «ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامي» ثم قالت : «إن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي، وعن كثير من العداء للسامية في أنحاء العالم، وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط وأمم أخرىٰ في العالم أغلبيتها من المسلمين، ومسؤولة عن فكرة الابتزاز النفطي ضد أمم العالم التي تساند إسرائيل، والإسلام مسؤول عن السخرية الكبيرة من الله !!! إذ إن هناك مسجداً إسلامياً في أقدس بقعة في جبل موريا . . وهذا وصمة عار للموقع المقدس للهيكل» .

وللسفارة المسيحية خمس عشرة قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بأنواع متباينة من الأنشطة الفعالة لصالح (إسرائيل)، عبرت عنها جريدة (الجيروزلم بوست) في مقال لها سنة ١٩٨٠م بأنه يشمل : «تشجيع كل نوع من الدعاية للقضية اليهودية في الصحافة والراديو والأفلام والمساجلات

والاجتماعات و . . . (ليالي حب إسرائيل)» .

٢ـ(منظمة الأغلبية الأخلاقية)، وهي التي أسسها القس (جيري فالويل) سنة ١٩٧٩م، وهي ذات توجه سياسي ديني، لها برنامج إذاعي وتليفزيوني يومي يستمر ساعة كاملة، واسمه (ساعة الإنجيل)، تبثه ستمائة محطة في أنحاء أمريكا، وكان فالويل يقود (صلاة الأحد) التي تذاع من خلال أربعمائة محطة تليفزيونية لمدة ساعة، وتبث المنظمة أيضاً برنامجاً اسمة (دعوة إذاعية) في أكثر من خمسمائة إذاعة ومحطة تليفزيونية يومياً، ولها مجلة دورية بعنوان (صوت النصرانية) .

أما زعيم هذه المنظمة (جيري فالويل)؛ فتقول الكاتبة الأمريكية (لي أوبرين) عنه : هو من أكثر الداعين إلىٰ دعم إسرائيل نشاطاً في اليمين الديني، وهو أحد كهنة كنيسة (توماس رود) المعمدانية بفرجينيا، وتوضح أقواله عن الشرق الأوسط الجمع بين الأفكار الاستراتيجية واللاهوتية لدعم إسرائيل، فهو يقول في كتابه (استمعي يا أمريكا) : «إن إسرائيل قلعة الديمقراطية في جزء من العالم يتصف بما يشبه الجنون»؛ ويقول في موضع آخر : «إن هذه الأمة الصغيرة ـ يعني إسرائيل ـ سوف يهاجمها أعداؤها مرة أخرىٰ بقيادة الجيوش الروسية وحلفائها العرب، ولكن كما تنبأ حزقيال؛ فإن الروس سوف يهزمون، وسوف تنقذ يد الله إسرائيل مرة أخرىٰ»، وينظم (فالويل) من خلال منظمته رحلات إلىٰ الأرض المقدسة، ويضم أبرز جوانب الرحلة زيارات لوادي (مجدو) ومواقع توراتية أخرىٰ. وعن علاقة أمريكا بإسرائيل يقول (فالويل) : «لا خيار للولايات المتحدة، فإذا أرادت هذه الأمة لحقولها أن تبقىٰ بيضاء بالقمح، ولمنجزاتها العلمية أن تبقىٰ، ولحريتها أن تظل مصونة، فينبغي لها أن تقف إلىٰ جانب إسرائيل»[١] .

(١) المنظمات اليهودية، ص٢٨٢ .

٣ ـ (هيئة المائدة المستديرة الدينية)، تأسست سنة ١٩٧٩م لتنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي، وتضم عدداً كبيراً من أضخم المنظمات ومن أنجح العاملين لليمين الديني، ومن هذه المنظمات (مترجمو الكتاب المقدس)، و (عصبة الكنيسة في أمريكا)، وهي منظمة أبحاث تعمل في غاية السرية ولديها ملفات عن آلاف الشخصيات في العالم، ويتبع الهيئة أيضاً الكنيسة الميثودية المتحدة وكنائس أخرىٰ.

ونشاطات المائدة المستديرة الدينية لا تقتصر علىٰ (إسرائيل) والشرق الأوسط فقط؛ بل تتسع لتشمل أقطاراً أخرىٰ.

تقول (لي أوبرين): «وجهت الجمعيات الدينية المسيحية مثل (المائدة المستديرة)، و (الأغلبية الأخلاقية) اهتماماً خاصاً بالجمع بين العقائد اللاهوتية والتطورات السياسية، ويعدون دعم إسرائيل ـ لأسباب لاهوتية واستراتيجية ـ معتقداً مركزياً لدىٰ اليمين المسيحي»[1].

٤ ـ (حملة الحرم الجامعي من أجل المسيح)، يرأسها (بل برايت)، ولها برنامج واسع الانتشار بين الطلاب في الجامعة، وهي تحمل نفس مفاهيم الطائفة الإنجيلية، وتشارك فيما يسمىٰ (دعاء الفطور القومي من أجل إسرائيل)، وتعمل بنشاط في أمريكا الوسطىٰ، وتنفق علىٰ برامجها ٩٠ مليون دولار سنوياً.

٥ ـ (مؤسسة جبل الهيكل)، أسسها (تيري ريزنهوفر) من أجل العمل علىٰ تحقيق النبوءة التوراتية بشأن بناء الهيكل الثالث، وذكرت صحيفة دافار الإسرائيلية في مقال لها عام ١٩٨٣م أن مؤسسة جبل الهيكل المسيحية الأمريكية جمعت

(١) المنظمات اليهودية، ص٢٨٢.

عشرة ملايين دولار لتستخدمها في تقديم المعونة لبناء المستوطنات وشراء الأراضي من الأوقاف الدينية الإسلامية، والمساعدة في مشروع إعادة بناء هيكل سليمان، وشارك (ريزنهوفر) في تنظيم حملة في مارس ١٩٨٣م للاحتجاج على القبض على المستوطنين الإسرائيليين المتورطين في مؤامرة ضد المسجد الأقصى، وتبرع بتكاليف الدفاع عنهم، ولثرائه الكبير - إذ هو تاجر أراضٍ وبترول - تبرع (تيري) بمبالغ ضخمة لمنظمة (الهيكل المقدس) اليهودية، وسئل مرة عن الأقصى وهل هو عقبة في طريق بناء الهيكل؟ فقال: «الأقصى غير مهم.. !».

٦ - مؤسسة (بات روبرتسون)، أسسها هذا القس باسمه لتغطي الخدمات الإعلامية التي تخص الكنيسة، وهي تضم شبكة إذاعية وتليفزيونية وسماها (شبكة البث المسيحي)، وهي تستخدم الأقمار الصناعية في بث برامجها وتغطي أكثر من ٢٢ دولة، وقد شهدت هذه المؤسسات نمواً واسعاً خلال السنوات الأخيرة، كما زاد مشاهدوها، وقامت هذه الإذاعات بدور خطير وكبير أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م؛ إذ نظموا حملة إعلامية مركزة لمطالبة ريجان بدعم هذا الغزو وعلى زعم أن لبنان من أرض إسرائيل الكبرى.

وقد تطورت مؤسسة (بات روبتسون) بعد أن انضمت إليها منظمات ومجموعات أخرى، فيما سمي بـ(التحالف المسيحي الصهيوني)، وقد كانت أصوات أعضاء هذا التحالف القوي وراء انتخاب أغلبية جمهورية في الكونجرس الأمريكي لعام ١٩٩٤م، لضمان وقوف الحزب وراء تنفيذ سياستهم ذات التوجه الديني، ووقف التحالف أيضاً مرة أخرى مع الحزب الجمهوري في انتخابات نوفمبر عام ١٩٩٨م؛ حيث فاز الحزب الجمهوري بأغلبية ساحقة، مكنت التحالف المسيحي من دفع الكونجرس إلى قرار ملزم للرئيس الأمريكي بيل

كلينتون بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وكما جاء فوز الرئيسين الأسبقين ريجان وبوش، نتيجة وقوف الاتجاهات المسيحية الصهيونية بقوة إلى جانبيهما في الانتخابات، فقد أعد (بات روبتسون) من خلال التحالف الذي يقوده لإيصال رئيس أصولي إنجيلي أو تابع للأصوليين الإنجيليين لرئاسة الولايات المتحدة في انتخابات عام ٢٠٠٠م، وقد تعهد هذا القس ـ كما ذكرت صحيفة لوس أنجلوس في ١٢/ ٣/ ١٩٩٩م ـ بإطلاق حملة ميزانيتها ٢١ مليون دولار لتوجيه الناخبين الأصوليين إلى مراكز الاقتراع لصالح المرشح الذي يختارونه، وقضت خطته بتجنيد مليون و٥٠٠ ألف حركي لضمان صب ١٥ مليون صوت في خانة المرشح المتوافق مع مطالبه.

ويبدو أن مساعي (التحالف المسيحي الصهيوني) وغيره من أنشطة الإنجيليين الصهيونيين، قد أثمرت أكثر مما توقع أصحابها، فقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية، لأول مرة في تاريخها معرضة لاحتمال أن يقودها رئيس يهودي متدين، لا نصراني متدين فقط، وذلك بعد تعيين المرشح الديمقراطي آل جور، نائباً يهودياً له هو (ليبرمان) اليهودي الأرثوذكسي المتدين. وتعهد آل جور، بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس فور فوزه بالرئاسة!.

٧ ـ (المنظمة المسيحية للقدس) أنشئت من أجل الدعاية للقدس بين الدول المسيحية على اعتبار أنها أصبحت عاصمة لإسرائيل، وأنشأت فروعاً في سبع وثلاثين دولة أوروبية وأمريكية.

ومن المنظمات والجمعيات السائرة على درب الكنيسة الإنجيلية أيضاً :

٨ ـ كنائس مايك إيفانز.

٩ ـ منظمة الإنجيليين المتحديين من أجل صهيون.

١٠ ـ جماعة (تاف) وهو الاسم الأخير من الأبجدية العبرية.

١١ ـ جماعة جسور السلام.

وقبل أن أغادر الحديث عن التواطؤ النصراني مع اليهود ضد الأقصى وضد الإسلام.. أسوق هذا الخبر إلى الذين لا يزالون يحسنون الظن بمن يحملون شعار «الله محبة..»! في الفترة مابين ٢٧ إلى ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٨٥م، عقد في مدينة «بال» بسويسرا ماسمى بـ(المؤتمر الدولي للقيادات المسيحية الصهيونية المؤيدة لإسرائيل).

والمدينة التي انعقد فيها المؤتمر ـ كما هو معروف ـ هي التي عقد فيها قبل أكثر من مائة عام المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة (تيودور هرتزل) ـ وللعلم؛ فإن المؤتمر عقد في نفس المبنى الذي عقد فيه مؤتمر شياطين صهيون.

وأصدر المؤتمرون المتآمرون بياناً من مقدمة ومبادئ وقرارات جاء فيها:

أولاً: المقدمة:

«نحن ـ الوفود المجتمعين هنا من دول مختلفة ونمثل كنائس متنوعة ـ جئنا معاً للصلاة، ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير، وشغفنا العظيم بإسرائيل الشعب والأرض والعقيدة، ولكي نعبر عن التضامن معها، وإننا ندرك اليوم، وبعد المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود، أنهم لا يزالون يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل التي تعرضوا لها في الماضي. وإننا بصفتنا مسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، إننا نتواجد

في أوروبا بعد مرور أربعين عاماً على الاضطهاد لليهود لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في مدينة بال. ونقول: أبداً.. لا رجعة للقوى التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار اضطهاد جديد ضد الشعب اليهودي».

ثانياً: المبادىء:

١ - نهنيء دولة إسرائيل ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عقود.

- نحضكم أن تكونوا أقوياء وأن تستلهموا قدرة الله في مواجهة مايعترضكم من عقبات.

- نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه.

عليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقاً للنبوءات المقدسة.

أخيراً ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء العالم للهجرة إلى إسرائيل، كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود في خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله.

٢ - نخاطب إخواننا المسيحيين:

- علينا أن نُخلِّص أنفسنا من أي شكل من أشكال معاداة السامية مستتراً كان أو معلناً.

- وأن نؤيد الشعب اليهودي بالحب القلبي والإخلاص، والعمل في ضوء

الكتاب المقدس، وفي ضوء العهد الذي قطعه الرب مع شعبه .

٣ ـ نناشد الدول صديقة إسرائيل التي تتراوح سياساتها مابين التأييد الحقيقي واعتبارات الملاءمة السياسية أن تنقل سفاراتها إلى القدس، وذلك للتأكيد على الرابطة التاريخية بين الشعب اليهودي والمدينة التي وهبها الله له .

وأن تعترف هذه الدول بـ «يهودا والسامرة» (الضفة الغربية) جزءاً من إسرائيل

٤ ـ نحذرالدول المعادية لإسرائيل بما فيها الدول العربية ؛ أن تتوقف عن عرقلة السلام في الشرق الأوسط .

ونحث الاتحاد السوفيتي أن يسمح دون تأخير لكل اليهود السوفيت بالهجرة إلى إسرائيل .

٥ ـ نطلب من الدول التي لم تعترف بإسرائيل بعد أن تسارع إلى الإعتراف بها دبلوماسياً، وتأييدها دولياً، وأن تمتنع عن أي مقاطعة لإسرائيل .

٦ ـأن نصلي من أجل أن يجيء ذلك اليوم الذي يعيش فيه شعب إسرائيل وشعوب المنطقة في سلام كما وعد الله .

ثالثاً : القرارات:

١ ـ يجب أن تمتد إسرائيل ويتم قبولها دولياً .

٢ ـ يجب على الدول كافة الاعتراف بإسرائيل .

٣ ـ يجب على الدول كلها أن تعترف بأن (يهودا والسامرة) تتبعان إسرائيل .

٤ ـ يجب على الدول كلها أن تنقل سفاراتها إلى القدس .

٥ -ينبغي على الدول الصديقة أن تتوقف عن تسليح أعداء إسرائيل .

٦ - ينبغي على الحكومات كلها أن تمتنع عن إيواء الإرهابيين .

٧ - نعلن شجبنا معاداة السامية في صورها كافة .

٨ -إننا ونحن نتذكر جميع صور الوحشية التي تعرض لها اليهود في الماضي ؛ نقرر ألاَّ رجعة لهذه الأمور مطلقاً .

٩ - نشجع توطين المهاجرين في إسرائيل ، ونؤكد ضرورة توفير العدالة للاجئين اليهود .

١٠ -نلتزم بدعم إسرائيل اقتصادياً ، وننشئ صندوق استثمار دولياً لمساعدتها .

١١ -يجب على الدول كافة أن تتوقف عن الخضوع لمقاطعة إسرائيل .

١٢ -نناشد المجلس المسيحي العالمي أن يبحث في الرابطة المقدسة بين الأرض والشعب .

١٣-نصلي جميعاً من أجل (مملكة الرب القادمة) !! .

وقد نظمت المؤتمر (السفارة المسيحية الدولية بالقدس) التي سبق الحديث عنها ، وبلغ عدد أعضاء المؤتمر (٥٨٩) شخصاً قدموا من سبع وعشرين دولة في العالم . وبلغ عدد المراقبين (٦٠٠) شخص ، وحضره ممثلون عن نيجيريا ، وساحل العاج ، وزائير ، والهند ، وسري لانكا ، والصين ، وناقش المؤتمر الأسس اللاهوتية للالتزام المسيحي مع إسرائيل بوعود الرجوع إلى أرض الميعاد[١] .

---

(١) مجلة المنبر اليهودي بتاريخ ١٢/ ٩/ ١٩٨٥م ، نقلا عن (الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي) ، ص ١٥٩ .

المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بتنفيذ المؤامرة على الأقصى

في داخل الأرض المغتصبة الآن نحو ١٢٠ جماعة، تصنف في داخل (إسرائيل) نفسها بأنها (متطرفة)، ومن هذه الجماعات ما لايقل عن خمس وعشرين جماعة وتنظيماً، يعدون السعي لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه هدفاً أساسياً لهم.

• وقد شكلت بعض هذه الجماعات في السنوات الأخيرة تحالفات فيما بينها، ولعل أبرزها مايسمى: (رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة، وهي الرابطة التي كانت السبب في إقناع بنيامين نتياهو رئيس الوزراء السابق بافتتاح (النفق) المار تحت أساسات المسجد الأقصى عام ١٤١٧ ـ ١٩٩٦م.

ومن المعروف، أن تلك الجماعات لا تكتفي بالمطالبة والمناشدات، بل تلجأ بين الحين والآخر للقيام بأعمال عدائية واستفزازية ضد المسجد الأقصى، يغلب على الظن أنها تريد بها جس النبض لردود الأفعال التي يمكن أن تحدث لو نُفذ عمل كبير في تلك المرحلة الزمنية.

وقد قامت تلك الجماعات منذ عام احتلال القدس سنة ١٩٦٧م، وحتى العام ٢٠٠٠ بما لا يقل عن مائة وعشرين عملاً عدائياً مباشراً ضد المسجد الأقصى.

منها نحو أربعين في الفترة من ١٩٦٧ ـ ١٩٩٠م، إضافة إلى نحو ٨٠ عملاً عدائياً من سنة ١٩٩٠م إلى سنة ٢٠٠٠م.

ويلاحظ هنا أن الأعمال العدائية الاستفزازية ازدادت وتيرتها في ظل مايسمى بـ (عملية السلام) الفلسطينية الإسرائيلية منذ اتفاق أوسلو وحتى محادثات كامب ديفيد ٢ .

وقد شكل جهاز (الشاباك) الإسرائيلي في الفترة الأخيرة، قسماً خاصاً يعكف على العمل للحيلولة دون وصول التنظيمات السرية اليهودية إلى تنفيذ مرادها بالتعجيل بعمل كبير ضد المسجد الأقصى؛ بمبادرات فردية مستقلة قد تحرج الدولة اليهودية أمام العالم، وفي هذا الشأن، كتب الصحفي الإسرائيلي (موسى ليفي) مقالاً في صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٩/ ٨/ ٩٨) جاء فيه: «القاعدة التحتية للتنظيمات المتشددة موجودة حسب تقديرات قوات الأمن، والمعلومات التي بحوزتها تقول إن الاتصالات بينها تتم بالطرق والوسائل السرية، والتنسيق بينها موجود، والمشكلة القوية التي تواجه الأمن هي التغلغل في هذه المجموعات. لأنها مجموعات ذات معتقدات أيديولوجية مرتبطة بعواطف دينية حادة؛ بحيث يعرف كل واحد من أعضائها الآخر بما لا يسمح باختراقها».

والحكومات الإسرائيلية - كما يظهر - تريد أن تستخدم تلك المجموعات بتوازن دقيق، فهي لا تخالفها في الهدف، ولكن ربما تخالفها في الوسائل والبدائل وأوقات التنفيذ؛ لكن كل هذا لا يُخفي مباركتها لها، واحتضانها إياها؛ لأنها - باختصار - يمكن أن توفر لها مخرجاً لإعداد وإخراج (سيناريوهات) قابلة للتنفيذ عند اللحظة المناسبة؛ بحيث تتخفى وراءها، وكأن الأمر قد خرج من يدها. وبين فترة وأخرى، تخرج من داخل الأرض المحتلة، تلميحات وإشارات، تمهد الرأي العام المحلي والدولي لإمكانية حصول شكل من أشكال تلك السيناريوهات ومن ذلك مانشرته صحيفة (معاريف) الإسرائيلية في

أغسطس (٩٨) تحت عنوان (ثلاثة احتمالات للتهديد) ذكرت فيه أن القيام بعمل ضد الأماكن الإسلامية قد يأخذ أحد الأشكال الثلاثة الآتية :

١ ـ انتفاضة شعبية عارمة من مئات ألوف المتطرفين، حيث يقومون بسلسلة عمليات شغب عنيفة، لإشاعة جو من الفوضى يتم من خلاله تنفيذ ما يريدونه[١].

٢ ـ قد يقوم متطرف يهودي واحد دون شركاء، وبدون مساندة أو إعداد سابق بهذا العمل، مثل ما قام به (عامير) في مقتل رابين، أو (باروخ جولد شتاين) في مذبحة المسجد الإبراهيمي[٢].

٣ ـ قد تقوم مجموعة من الأشخاص في خلية سرية، بتوجيه ضربتها مستخدمة القنابل أو الصواريخ[٣].

وهناك (سيناريو) رابع أضيفه، من خلال متابعتي للموضوع، وهو إمعان اليهود في المزيد من إضعاف أساسات المسجد الأقصى، وتفريغ الأرض من تحته، ثم الادعاء عند أي هزة أرضية طبيعية أو اصطناعية إن المسجد هدم قضاءاً وقدراً، أو كرامة لليهود!! وهنا تعفي الحكومة الإسرائيلية نفسها، وتعفي المنظمات الدينية من مسؤولية الهدم؛ لتتفرغ بعد ذلك للبناء[٤].

---

(١) وهذا على طريقة الهندوس المتطرفين الذين هدموا المسجد البابري في الهند عام ١٩٩٤م.

(٢) أو ما فعله (دينيس مايكل) النصراني الاسترالي الإنجيلي، عندما قام بإشعال حريق كبير في المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

(٣) سيتضح أن كل هذه (السيناريوهات) الثلاثة، قد جرت (بروفات) عديدة بشأنها، وذلك من خلال إيراد تفاصيل الاعتداءات التي تعرض لها المسجد الأقصى منذ الاحتلال وحتى وقت كتابة هذه السطور.

(٤) تواردت أخبار من الأرض المحتلة عام ١٩٩٩، عن لجوء السلطات اليهودية لإحداث تفجيرات نووية (تكتيكية) في البحر الميت، يمكن أن تحدث زلازل محدودة ومحسوبة، لاختبار صمود المباني في بعض المدن الإسرائيلية أمام زلازل متوقعة.

ويبقى مع كل ذلك الاحتمال الخامس قائماً، وهو أن يظل المسجد الأقصى محفوظاً مكلوءاً من أي سوء، وهذا لن يكون إلا بتدخل إلهي محض، وإلا فإن كل الشواهد والأسباب المادية الدنيوية تقول إن اليهود يقومون بكل الأسباب من أجل بناء هيكلهم؛ بينما المسلمون لم يقوموا إلى الآن بشيء ذي أثر لحفظ مسجدهم!!

والآن هذه هي أهم المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى وبناء الهيكل.

١ ـ جماعة (جوش إيمونيم):

ومعناها (كتلة الإيمان) وتطلق على نفسها أيضاً (حركة التجديد الصهيوني) ومؤسسها هو (موشى ليفنجر)، وتحاول هذه الحركة تجاوز الحظر المفروض من قبل بعض القوانين اليهودية بدخول الساحة المقدسة الآن[(١)]. وهي تسعى للاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة، وإقامة الهيكل على أنقاض الأقصى، وتؤمن بالعنف لتحقيق ذلك، ونشأت هذه الحركة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م نتيجة للإحباط الذي أصاب الشارع اليهودي بعد هذه الحرب. وقد كتب «موشى ليفنجر» يقول بعد حرب ١٩٧٣م:

«منذ حرب يوم الغفران (حرب رمضان) أصبح الوضع أكثر خطورة، واحتل الرعب والخوف مكان الفرح، وأخذت الفرحة في التآكل، وبدلاً من ارتفاع

(١) كانت الحاخامية الإسرائيلية الكبرى تحظر على اليهود دخول ساحات الأقصى، حتى لا يطؤوا بأرجلهم مكان ما يعرف عند اليهود بـ (قدس الأقداس) وهو أقدس بقعة داخل أرض الهيكل عندهم، ولكن هذه الفتوى بدأت تُنتهك في السنوات الأخيرة من قبل الجماعات اليهودية المتشددة غير القادرة على كبح اندفاعها الديني، ثم صدرت فتوى عام ١٩٨٥م، بتجاوز هذا الحظر.

المعنويات الذي ساد في أعقاب حرب ١٩٦٧م، وترقب أيام خروج المسيح المنتظَر؛ اكتشف كثير من الحاخامات أن الحرب عام ١٩٧٣م، كانت رمزاً للخطر بوقف مسيرة قدوم المسيح».

واقترحت الحركة بعد إنشائها حلاً للهزيمة الإسرائيلية يتلخص في: تعزيز الإيمان بقدوم المخلص، وتكثيف العبادة. وحددت ا لحركة مبادئها بما يلي: ـ لا تنازل ـ لا انسحاب (لا تخلي عن طريق الإيمان بأرض إسرائيل الكاملة)، وقد نشأت الحركة أساساً داخل حزب المتدينين الوطني (المفدال) ثم استقلت وأوجدت معايير جديدة للتعاون الديني العلماني، وتركز الحركة على إقامة المستوطنات اليهودية، ولها أعضاء في البرلمان الإسرائيلي، وقد أطلق حاخاميو الحركة على الحكومة الإسرائيلية وصف الخيانة بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد، وفي النصف الثاني من فترة حكومة بيجن التي انتخبت عام ١٩٧٧م، تعهد (إرئيل شارون) بتبني سياسة جماعة (جوش إيمونيم) بكاملها وحازت الحركة في تلك الفترة على دعم وتعاطف الحكم العسكري الإسرائيلي، وخاصة من رئيس الأركان الإسرائيلي وقتذاك (إيتان) الذي يؤمن بمبادئ (جوش إيمونيم).

وفي السنوات الأخيرة انتقل نشاطها إلى العمل السياسي بعد أن انتقل العمل الاستيطاني إلى أيد رسمية حكومية. وبعد مقتل السادات أعلن زعماء جوش إيمونيم عن إقامة الاحتفالات ابتهاجاً بانتهاء مسيرة السلام المشؤومة. يقول (داني روبنشتاين) مؤلف كتاب (جوش إيمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية): «لا نعتقد بأن حركة (جوش إيمونيم) كانت تستطيع تكوين نفسها والعمل حسب أسلوبها بدون التعاون العلني والخفي من قبل الحكومات الإسرائيلية في الماضي والحاضر، وخاصة من قبل الحكومات التي شكلها حزب الليكود، وتعتبر حركة جوش

إيمونيم أداة التنفيذ الطيعة لسياسة (بيجن ـ شارون) في المناطق المحتلة فهما اللذان قدما لها التمويل والإمكانات، ومنحاها الصفة الشرعية لهذه السياسة الدينية المسماة (جوش إيمونيم)»[1].

٢ ـ **منظمة (بيشيفات أتريت كوهانيم)** أي التاج الكهنوتي، وتعود جذورها إلى الحاخام (إبراهم يتسحاق كوك) الحاخام الأول الفلسطيني، ولابنه (زفاي يهودا كوك) الرئيس الروحي لحركة (جوش إيمونيم)، ويؤمن أتباع هذه الحركة التي تأسست عام ١٩٨٧م بأنهم طلائع الحركة التي ستبدأ المسيرة إلى الهيكل، وهم يقومون بشراء منازل للاستيطان في القدس بشكل منتظم، ووضعوا مخططاً لبناء الهيكل الثالث. والخطط الهندسية جاهزة تماماً عندهم، وقد قضى (جاكوب يهودا) ٨٧ عاماً ـ هي حياته كلها ـ في العمل لإنشاء الهيكل الثالث ووضع الخرائط الخاصة به وتعتبر الطوائف الساعية لبناء الهيكل (يهودا) هذا؛ أحد العباقرة اليهود العظام، وقام (أديين كوتير) وهو عضو من أعضاء هذه المنظمة ومدير مدرسة في (ريشون ليتسيون) بنشر كتيب يبين أن منطقة الصخرة يجب أن تبقى جزءاً من الهيكل الثالث.

وهذه المنظمة تحتقر مجهود جميع المجموعات الأخرى مثل أمناء الهيكل، وتعدها غير فعالة ولا مهمة، ولها مكتب دائم في نيويورك مخصص لجمع التبرعات، وتعقد ندوات عن الهيكل وسبل إعادة بنائه.

٣ ـ **حركة الاستيلاء على الأقصى**، وأعضاؤها يدعون علانية إلى هدم

---

(١) انظر كتاب (جوش إيمونيم، الوجه الحقيقي للصهيونية)، تأليف: (داني روبنشتاين)، ترجمة: غازي السعدي، دار الجليل، عمان.

الأقصى بالإضافة إلى طرد جميع السكان المسلمين من (أرض إسرائيل) كما يسمونها، وقد بدأ ظهور هذه الحركة عام ١٩٦٨م حين رفضت حكومة (إسرائيل) السماح لليهود بأداء الصلاة في المسجد الإبراهيمي[١]. وأول زعماء تلك الحركة هو (موشى ليفنجر) الذي تزعم فيما بعد حركة (جوش إيمونيم)، ومن أهم أهداف هذه المنظمة أيضاً تهويد الخليل، وإعادة المسجد الإبراهيمي لليهود؛ لاعتقاد اليهود - لعنهم الله - أن إبراهيم كان يهودياً، وهم الذين خططوا للاستيلاء على المسجد، ويعتمدون طريقة الإنجاز على المدى البعيد مرحلة بعد مرحلة، وشعارهم في الاستيلاء على الأرض (دونم بعد دونم)، ومن الشخصيات البارزة أيضاً في هذه الحركة الحاخام (يسرائيل إريئيل)، وهو معروف بتمسكه بالحد الأقصى من المطالب عند تقدير حدود إسرائيل التي يجب أن تضم في رأيه جزءاً من لبنان حتى ميناء طرابلس، ومعظم سوريا، وجزءاً من العراق، وكل الأردن، وجزءاً من الكويت، وجزءاً من شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء كلها - طبعاً -.

ومن الشخصيات البارزة أيضاً في حركة (الاستيلاء على الأقصى) الحاخام (كورن) الذي يعد الموجه الفعلي لهذه الحركة، وهو المرشد الروحي لعدد من الشبان اليهود الذين حاولوا اقتحام المسجد الأقصى مع الحاخام إرئيل في مارس ١٩٦٨م.

٤ - **منظمة (سيودس شيسون)**، وهي تقول عن نفسها أنها جمعية خيرية وتتلقى دعماً من وزارة المعارف الإسرائيلية وبلدية القدس وجيش الدفاع الإسرائيلي، وتتطلع هذه المنظمة إلى تعميق الوعي إزاء الهيكل والقدس التوراتية

(١) تم منذ سنوات بناء كنيس يهودي على معظم أرض المسجد الإبراهيمي.

لدى الشعب عامة والجيش خاصة، وتقوم بتنظيم رحلات وجولات داخل البلدة القديمة وحول السور، وتهدف أيضاً إلى نقل الشعب اليهودي من العبادة أمام حائط المبكى إلى أماكن أخرى هناك؛ لأنه يوجد لدى اليهود ـ كما تعتقد المنظمة ـ أماكن مقدسة متعددة، وهي تشير إلى الاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى وساحاته.

٥ ـ مجموعة (آل هارهاشم): ومعناها (إلى جبل الله)، وهي مجموعة تعمل من أجل بناء الهيكل، ومن أعضائها النشيطين (يسرائيل ميلاد)، وهو عضو في مؤسسة دينية أخرى تعمل من أجل بناء الهيكل، وعضو في حزب (هتحيا) وحركة (جوش إيمونيم)، وحاولت هذه المجموعة إقامة الشعائر اليهودية في ١٤/ ٨/ ١٩٨٧م في ساحات الأقصى، ويترأس هذه الحركة (جرشون سلمون).

٦ ـ حزب (هتحيا) أي النهضة الصهويني: وهذا الحزب له توجهات معلنة غير دينية، إلا أنه بالرغم من ذلك معني بالسيطرة على منطقة المسجد الأقصى؛ لأن هذا يحقق لإسرائيل السيادة والقوة في الضفة الغربية والقدس، ومن قادة هذه الحركة البارزين (يوفال نئمان)، و(جيئولا كوهين) و(حنان بورات). ولهذه الحركة تمثيل برلماني في الحكومة، وكان لها في الكنيست عام ١٩٨٦م ثلاثة أعضاء، وهذه الحركة اعتبرت معاهدة كامب ديفيد الأولى تنازلاً إسرائيلياً، فبعد التوقيع عليها استقال عضوا الكنيست (جيئولا كوهين) ـ امرأة ـ و(موشى شمير) من الليكود، وأقاما كتلة مستقلة في الكنيست بالانضمام إلى (حركة إسرائيل الكبرى) واتفقا على تسمية الحركة الجديدة (هتحيا).

وتولى زعيمها (نئمان) وزارة العلوم والتطوير بعد غزو لبنان ـ وعلى الرغم

من أن الحركة تتظاهر بالعلمانية إلا أن زعيمها نئمان قال في حديث لمراسل جريدة معاريف: «سأعترف للكل دون خجل . . إنني أنظر إلى الأرض اللبنانية على أنها من أرض إسرائيل . . أرض الميعاد».

٧ ـ جماعة (أمناء الهيكل)، وتأسست في الثمانينيات ومركزها في القدس، ولها جمعية تابعة لها هي (جمعية جبل البيت)، ويقوم على تمويل تلك الحركة نشطاء من المسيحيين الإنجيليين في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، ويرأس هذه الحركة (جرشون سلمون)، وتقوم هذه الجماعة بإقامة الصلوات اليهودية في الساحة المحيطة بحائط البراق (المبكى)، بجوار المسجد الأقصى قرب باب المغاربة، وقد أدوا هناك صلوات عديدة، وأحد مؤسسي هذه الجماعة (ستانلي جولدفوت) وهو أصلاً من جنوب أفريقيا، عمل ذات مرة رجل مخابرات لمجموعة (شتيرن) الإرهابية اليهودية، واعتقل من قبل الدولة الإسرائيلية بخصوص اغتيال وسيط الأمم المتحدة (الكونت برنادوت) عام ١٩٤٨م إلا أنه ـ أي ستانلي جولد فوت ـ انشق عن تلك الجماعة وأسس منظمة أخرى هي (مؤسسة الهيكل المقدس) بأموال ودعم من الكنيسة الإنجيلية الأمريكية.

٨ ـ مؤسسة الهيكل المقدس، وهذه التي أسسها اليهودي (ستانلي جولد فوت) رجل المخابرات، وعندما أنشأ تلك المؤسسة أو المنظمة تكونت هيئتها الإدارية منه ومن خمسة من الإنجيليين الأمريكيين، منهم الفيزيائي المسيحي (لاجرت دولفين) الذي كان يرأس قسماً أساسياً في أكبر مجموعات البحوث في العالم (معهد بحوث ستانفورد). وقبل اعتقال مجموعتي (لفتا) وإرهابيي (جوش إيمونيم) كان رئيس المنظمة (جولد فوت) والفيزيائي (دولفن) ينويان

التحليق قبل الفجر فوق المسجد الأقصىٰ وقبة الصخرة وتصويره بأشعة أكس، بواسطة جهاز ابتكره (دولفن) يعتمد علىٰ الاستقطاب المغناطيسي. ومن أفرادها النشيطين المطران (جيم دي لوتش) راهب كنيسة هيوستن بأمريكا، و(تير وايزنهوفر) تاجر الأراضي والبترول.

٩ ـ منظمة (بيتار)، وتحاول هذه المنظمة إقامة الصلوات في ساحة الأقصىٰ، ويقودها المحامي (رايبنوفتس) والمحامي (جرشون سلمون)، ويقود هذا الأخير مجموعات أخرىٰ مثل (آل هارهاشم)، وقد حاولت مجموعته اقتحام المسجد الأقصىٰ عام ١٩٧١م لمحاولة إقامة الشعائر اليهودية فيه.

١٠ ـ حركة (إعادة التاج لما كان عليه)، ويتزعمها (يسرائيل فويختونفر) الذي يحرك مجموعة عنيفة من الشباب المتعصبين الذين يسيطرون ويعملون علىٰ الاستيلاء علىٰ بيوت ومبان عديدة في القدس بدعوىٰ أنها كانت ذات يوم لليهود، وبعد أن يستولوا عليها يقومون بطرد سكانها العرب، ثم يعمل (فويختونفر) علىٰ ترتيب الجانب القانوني لملكية تلك البيوت.

والهدف الكبير لهذه الحركة هو الاستيلاء علىٰ أراضي الحي الإسلامي من القدس لمحاصرة أرض المسجد.

١١ ـ مجموعة (حشمونائيم)، ويتزعمها الإرهابي (يوئيل لرنر) وهي مجموعة متأثرة بشعارات حركة (كاخ) التي كان يتزعمها مائير كاهانا عضو الكنيست اليهودي المتعصب[1]، وقد عرف أعضاء مجموعة (حشمونائيم) باللجوء إلىٰ العنف الشديد، ويرجع ذلك إلىٰ أنهم بعد أن فرغوا من تأدية الخدمة

(١) هذا الزعيم العنصري الموغل في التطرف قتله شاب مصري هو (سيد نصير)، عام ١٩٩٠م، وحكم عليه بالسجن المؤبد في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو لا يزال سجيناً للآن، فك الله أسره.

العسكرية الإجبارية اتجهوا إلى هدف السيطرة على ساحة الأقصى بالقوة، وطرد السكان المسلمين من القدس كلها؛ بل كل ما يدعونه أرض إسرائيل.

والأب الروحي المناوب لهؤلاء الشباب هو الحاخام (إفيدرونفنتسال) رئيس رابطة (التاج القديم) الملقب بـ(حاخام المدينة القديمة)، وقد قامت هذه المجموعة بمحاولة تفجير قبة الصخرة عام ١٩٨٢م، غير أن هذه المحاولة فشلت؛ إذ قدر الله اكتشاف الشحنات الناسفة قبل انفجارها.

١٢ - رابطة (سيوري تسيون)، وهي رابطة تطوعية تعمل بإشراف المدارس الدينية، ومن أعضائها البارزين (زئيف إنسيج) الذي يصف أهدافها بأنها تعميق الوعي بالمعبد والقدس في أوساط اليهود؛ وعلى الأخص جنود الجيش.

١٣ - حركة (زيون منت) أي الصهيونية الجديدة، وقد أقامها رئيس الأركان الإسرائيلي السابق الجنرال (رفائيل إيتان)، وذلك في أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣، ومعروف أن إيتان كان من أشد اليهود تطرفاً في استعمال العنف ضد العرب المسلمين حين كان رئيساً للأركان، وتتلقى هذه الحركة الدعم المالي من جهات خارج إسرائيل، وتتضح أهدافها من اسمها، فهي تسعى إلى التركيز على الصهيونية مذهبياً على اعتبار أن الصهيونية حركة إعادة المجد إلى الأرض التي بها جبل صهيون، وكانت عليه القلعة التي فتحها داود - عليه السلام - وتطل على القدس.

١٤ - حركة (أمنا)، أي الأمانة، وهي تنظيم استيطاني تضم زعامته عدداً من الشبان المتدينين اليهود، من ذوي (القبعات المنسوجة)، ومن خريجي المدارس الدينية، ويسعون إلى بث مفاهيم اجتماعية بين اليهود تعتمد على الإيمان الديني

بقرب الخلاص بظهور المسيح، وتدعو للتمرد على المؤسسات القائمة إذا حدث أي تعارض مع ما تنادي به التوراة، وحققت الحركة الاستيلاء على عشرات المستوطنات لضمان القضاء على أي احتمال للانسحاب من المناطق المحتلة.

١٥ - هيئة (الموالون لساحة المعبد)، وأهم أهدافها الاستيلاء على مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وما جاورهما، ويقود هذه الحركة المحامي (جرشون سلمون) بالإضافة إلى مشاركته في قيادة حركة (آل هارهاشم) وحركة (بيتار)، وقد قام جرشون سلمون بمحاولات لاقتحام المسجد الأقصى عام ١٩٨٤م.

١٦ - هناك تنظيم سري داخل الجيش، اكتشف عام ١٩٨٤م، أثناء الإعداد لمحاولة قصف المسجد الأقصى بالجو بواسطة سلاح الجو الإسرائيلي لإزالته تماماً من الوجود[1]، وأكد المراقبون السياسيون في إسرائيل أن معظم أعضاء هذا التنظيم ليسوا من الجماعات الصهيونية المتدينة المعروفة؛ بل أغلبهم من الجيش.

١٧ - (قبيلة يهوذا)، وهم المشهورن بعصابة (لفتا)، وحاولوا مرة أن ينسفوا المسجد الأقصى وقبة الصخرة عن طريق وضع متفجرات فيهما، وهذه العصابة ذات نفوذ قوي، وعندها إمكانيات عسكرية كبيرة، وحظيت بتأييد عدد كبير من المسؤولين ذوي المراكز الهامة.

١٨ - حركة (عتسمؤوت)، وهي حركة دينية عنيفة تؤمن بنفس منطلقات جوش إيمونيم، ويترأسها (عزرا زوهار).

١٩ - (حركة كاخ) ومعناها (هكذا بالبندقية) محاكاة للصوت الذي يصدر عن صوت البندقية، ومؤسسها هو الهالك(مائير كاهانا) اليهودي الأمريكي السابق

---

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط خبر المحاولة في ١٨/ ١٢/ ١٩٨٤م.

ذكره، والذي كان عضواً بالكنيست الإسرائيلي وكان معروفاً بآرائه التلمودية الداعية لطرد المسلمين من فلسطين، والاستيطان في كل أرض فلسطين.

وكان ذا نفوذ فعال في التضييق على العرب المسلمين بشتى وسائل العنف والتهديد والإرهاب، وقد أرسل العديد من خطابات التهديد بالقتل للشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس - رحمه الله - وأعضاء المجلس الإسلامي الأعلى فيها، وهو أيضاً مؤسس (حركة الدفاع اليهودي)، وكان له نشاط في أمريكا يدعو فيه لدعم عملية بناء الهيكل بعد نسف الأقصى والصخرة، ومن أتباعه (آلان جودمان) الذي قام بالهجوم على الأقصى في ١١/ ٤/ ١٩٨٢م، وتسبب هذا الهجوم في استشهاد وجرح عدد من المسلمين، وقد دفع كاهانا أتعاب المحاماة عنه.

٢٠ - جمعية صندوق جبل الهيكل، وهي جمعية صهيونية يهودية مسيحية تسعى علانية لتهويد منطقة المسجد الأقصى، وكان الإعلان عن وجودها في عام ١٩٨٣م، حيث أقيمت لها فروع في إسرائيل والولايات المتحدة على أن يكون مركزها الرئيسي في القدس.

ويجري تمويلها من الإنجيليين الأمريكيين، ويرأسها في كاليفورنيا الثري النصراني (تيري ريزينهوفر)، وكان قد صرّح عضو الكنيست من الليكود (يهودا بيرح) كما نشرت ذلك جريدة دافار اليهودية يوم ٢٣/ ١/ ١٩٨٣م، أن رابطة صندوق الهيكل ستتبرع بعشرات الملايين من الدولارات للاستيطان في يهودا والسامرة، وأن الرابطة تضع نصب أعينها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء الهيكل الثالث على جبل البيت.

٢١ ـ جمعية الحركة التحضيرية للهيكل، أسسها دافيد يوسف ليمونيم، وموقعها في القدس، وتصدر هذه الجمعية مجلة شهرية عنوانها (إلى الهيكل)، وقد أقامت معرضاً خاصاً بالهيكل وبالتعريف به عام ١٩٩٧م.

٢٢ ـ حركة (حي فكيام): أي (حي وقائم)، وهي حركة تؤمن بقرب خروج المسيح المنتظَر اليهودي، ومؤسسها (يهودا عتسيون) الذي اتهم بمحاولة تفجير الأقصى عام ١٩٨٤م، والذي يشبه (كاهانا) في عنصريته وسجله الحافل بالاعتداءات على الفلسطينيين، وتدعو هذه الحركة إلى الإسراع بإزالة المسجديْن الإسلاميين؛ لبناء الهيكل استعداداً لمجيء المسيح.

٢٣ ـ حركة (كاهاناحي)، وهي حركة أسسها ابن الهالك مائير كاهانا، لتكون استمراراً لمساعي أبيه في إرهاب المسلمين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وحشد الرغبة الجماهيرية لدى اليهود لإعادة بناء الهيكل.

٢٤ ـ جماعة (إله إسرائيل)، وهي منظمة إرهابية يهودية، أعلن عنها عام ١٩٩٤م، وهي التي أعلنت مسؤوليتها عن مذبحة المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل.

ثالثا: المدارس الدينية المعنية بالتمهيد للهيكل:

يدرك اليهود أن العمل على إنشاء أجيال تفقه قضاياها وتفهم عصرها هو في حد ذاته أكبر عمل لخدمة هذه القضايا والتعامل معها بأسلوب العصر؛ إذ إن الشاب الذي سيتعلم قضية ما اليوم ـ في الثانوية مثلاً ـ ويقتنع بها وتؤثر في مشاعره؛ لا شك أنه سيخدمها إذا كبر حيثما كان موقعه وكان عمله؛ ولهذا فهم يعملون ـ من بين ما ينفذونه من خطط ـ على إنشاء عدد من المدارس التي تُعد ذلك

الجيل الذي سيخدم الهيكل عند بنائه وبعد بنائه حسب تقديراتهم؛ بحيث يغطون كل حاجة يمكن أن يحتاجها ذلك الصرح الضخم الذي يريدون له أن يفوق معابد الدنيا كلها، وبحيث يستحوذ الهيكل بعد بنائه على ألباب الناس، ولو من غير اليهود؛ لشموخ بنائه، وضخامة مساحاته، ودقة هندسته، وإتقان خدماته.

وهم ـ وكما أسلفنا القول ـ لا يدعون الحلم يذهب حتى يسلمهم إلى حقائق. ومن أجل ذلك أنشؤوا هذه المؤسسات والمدارس كبداية:

١ ـ مدرسة (كوليل جليتسيا)، وهي مدرسة دينية يهودية، تقع وسط الحي الإسلامي في البلدة القديمة، وتعقد ندوات تتعلق بإعادة الهيكل، وعقدت ندوة في مارس (آذار) ١٩٨٣م بعنوان (الموقع الدقيق للهيكل في ساحة البيت قبل خرابه).

٢ ـ مدرسة (ألون سفوت)، وهي مدرسة دينية في (جوش لمتسيون) تدرس عن «أورشليم»، وكان طلابها يتجولون عادة في ساحة الأقصى دون القيام بالصلاة؛ تمشياً مع الحظر الذي كان مفروضاً على اليهود.

٣ ـ مدرسة (معهد القدس)، وتقع قرب (مدرسة كوليل جليتسيا) في البلدة القديمة، وتقوم هذه المدرسة بإعداد الكهنة الذين سيعملون في الهيكل، ويعيش طلابها على الهبات الحكومية.

٤ ـ مدرسة (عطيرات كوهانيم)، ومركزها الحي الإسلامي في القدس، وتعمل أيضاً على تعميق الوعي العام بالهيكل والقدس.

٥ ـ معهد (أبحاث الهيكل)، ومقره قبالة حائط البراق، وهو مؤسسة كبرى يرأسها (يسرائيل أرئيل) الذي كان عضواً في حركة (كاخ)، ويختص هذا المعهد

بإعداد الدراسات والأبحاث والنشرات التي تنمي الوعي بـ (الهيكل) لدى اليهود، وبهذا المعهد معرض دائم لمتعلقات الهيكل من المجسمات والأدوات والصور التوضيحية.

٦ ـ هناك مكتبة قرب حائط البراق، تدور جميع كتبها حول موضوع الهيكل، وغالبية كتبها وكراساتها ومقالتها نشرت بعد عام ١٩٦٧م، بعد أن استولى اليهود على القدس، والكتب تحوي خططاً عملية لإعادة بناء الهيكل.

٧ ـ مدرسة (الفكرة اليهودية)، وهي متخصصة أيضاً في تنشئة التخصصات المرتبطة بالهيكل، ويرأسها الحاخام (يهودا كرويزر) المتخصص في الكتابة عن الهيكل.

هذا.. وإني إذ أُبدي دهشتي من ذلك الزخم والكم الكبير من المنظمات اليهودية والنصرانية التي تعمل لأجل الدين المحرف في كل مجال يمكن العمل فيه؛ أجدني مدفوعاً إلى أن أتوجه بسؤال إلى الكثير من الجماعات والهيئات والمؤسسات العاملة في الحقل الإسلامي قائلاً:

يا أصحاب الدين الحق.. لماذا تلعبون؟.

المتآمرون جادون

هكذا نرىٰ أن المخطط الذي يستهدف إعادة بناء الهيكل الثالث ليس أحلاماً يسبح بها اليهود في عالم الخيال، وليس أوهاماً مجردة عن العمل والسعي، لا. . فاليهود يتحركون من خلال دولة، ودولة قوية. وتلك الدولة تتحرك بإيعاز ومظاهرة من دول أقوىٰ. . إن التخطيط اليهودي المعاصر الذي رسم من قبل لإقامة الدولة اليهودية فأقامها، ثم خطط لاتخاذ القدس بشطريها عاصمة لها ونجح في ذلك هو نفسه الذي يخطط الآن لإعادة إقامة الهيكل مكان الأقصىٰ والصخرة. . فهل ينجحون أيضاً؟! . . . نسأل الله أن يحول بينهم وبين ما يشتهون.

أما نحن المسلمين؛ فلا أظن أن ما قدمناه طوال ثلاثة عقود لإنقاذ المسجد الأقصىٰ ـ بعد أسره ـ يكفي لدفع الشر عنه أو حتىٰ يكفي لرفع الإثم عنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. إننا كثيراً ما نغرم بالتهوين من شأن تخطيط الأعداء، ظآنين أن في ذلك توكلاً وقوة يقين، ولكن الواقع المر الذي نتجرعه هو ثمرة هذا التهوين.

إننا ينبغي أن نعترف بأن اليهود في عصرنا يخططون ويعملون كثيراً ويتكلمون ويخطبون قليلاً، وهم كثيراً ما يسكتون عما يفعلون. . وغالباً ما يفعلون ما لا يقولون، وهم إنما يعدُّون في تكتم، ويعملون في تستر، ولا يملؤون الدنيا ضجيجاً بنجاح أنجزوه وإنما ينتقلون منه إلىٰ غيره.

ولأن اليهود حققوا الكثير والكثير من تطلعاتهم وأطماعهم؛ فإنهم لم يعودوا بحاجة لأن يلفتوا أنظارنا إلىٰ أنهم متفوقون. ومن أجل هذا فلا ينبغي أبداً

ولا يصح أن نأخذ ما يصدر عنهم من تصريحات أو نوايا مأخذ السخرية والهزء، متكلين على أن الظروف لا يمكن أن تساعدهم على تحقيق ما يريدون؛ بل الواجب الآكد، أن نأخذ ما يصدر عنهم مأخذ الجد، ولا نتجاهل الواقع المحسوس الملموس ونغالط أنفسنا ونقول: إن قوة اليهود وهمية، وإن التهويل من شأنهم مقصود لتعجيزنا، وإن تهديداتهم وتصريحاتهم فارغة. أو أن الأقدار لن تسير في صالحهم.. ظانين أن السنن الكونية سوف تحابينا عليهم!

إن خلو الساحة أمام اليهود من ردود الأفعال - أو حتى من ردود الأقوال في أحيان كثيرة - جعلهم يعلنون أنهم سيقدمون على خطوة ما..، في مكان ما..، وفي وقت ما..، ولْيرهم من شاء حيلته وهم يراعون في تصريحاتهم أو مقولاتهم الدالة على نياتهم، مطابقة المقولات للإمكانيات، والادعاءات للإعدادات، وهم يطبقون نظرية المرحلية في (التكتيك) والتخطيط.. فلهم (تكتيك) دقيق يتعاملون من خلاله مع قضاياهم، ويسهل علينا ملاحظة هذا الأسلوب تطبيقياً بالنظر إلى مراحل إنشائهم لدولتهم.

* فهم أوجدوا أنفسهم أولاً كقوة اقتصادية في العالم بشكل مرحلي.

* وأوجدوا قدرات إعلامية لخدمة أهدافهم المرحلية، بشكل قائم على المرحلية أيضاً، ثم توسعوا في السيطرة على الإعلام في العالم بشكل مرحلي.

* واتخذوا قرار إيجاد الوطن القومي لهم في فلسطين على أساس التكتيك المرحلي، فجاءت البعثات اليهودية إلى قلب فلسطين متتابعة وفق خطة مرحلية ليتم الاستيطان على مراحل متقنة.

* وبنوا قوتهم العسكرية على مراحل.

* وتوسعوا في الاستيطان والاستيلاء على الأرض بشكل مرحلي عن طريق الحروب المعدة سلفاً.

* وضموا القدس على مراحل . . الانتداب ثم التقسيم ثم الاستيلاء بالحرب ثم إعلانها عاصمةبطريقة غير مشروعة ثم وضعها تحت الأمر الواقع عاصمة لإسرائيل رسمياً وإلى الأبد كما أعلنوا، ثم السير في تهويدها لفرض أمر واقع جديد فيها.

* وساروا في سياسات السلام أو الاستسلام مع العرب مرحلياً أيضاً؛ بدءاً بالقوة الكبرى مصر، حتى انتهوا إلى الطرف الأضعف: منظمة التحرير.

وإذا ما بلغ السير في أي مرحلة إلى محطة النضج؛ فإن اليهود عند ذلك يجاهرون بمخططاتهم، لأن الثمرة قد أينعت عند ذلك وحان قطافها، ولا ضرورة لكتمانها. وأبرز مثال على ذلك تبجحهم اليوم - بعد كامب ديفيد الثانية - بشكل رسمي - بامتناعهم القطعي عن التنازل عما أسموه (جبل الهيكل)؛ بما يعني ملكيتهم الأبدية لساحات الأقصى!

إنهم أيضاً يعرفون بعد قطع أكبر الشوط من كل مخطط، أن ردود الفعل حولهم أصبحت معروفة ومنتظرة ومتوقعة، وإذا تشككوا أحياناً في ردة الفعل؛ أجروا مناورات أو (بروفات) لقياس نوعية ردة الفعل، وبعد ذلك يقدمون على ما يريدون[(1)].

(1) قبل حرب ١٩٦٧م، نشر كتاب عن نوايا إسرائيل في المنطقة خلال عشر سنوات، والكتاب هو (خنجر إسرائيل)، وبعد الحرب ظهر أن قدراً عالياً جداً مما جاء فيه أتمت (إسرائيل) تنفيذه. وقبل تلك الحرب أعلن موشي ديان عن بعض نوايا (إسرائيل) ضد مصر وغيرها من (دول المواجهة)، ولم يأخذ أحد كلامه مأخذ الجد، حتى وقعت الهزيمة المنكرة التي سميت «نكسة!»

إن الأمر الظاهر هو أن مكر اليهود لن يتوقف دون إعادة صبغ بيت المقدس بالصبغة اليهودية الخالصة، وهم لا يرون ذلك ممكناً إلا إذا أزالوا كل معلم في القدس يشير إلىٰ وجود أي أثر لشيء إسلامي أو عربي. والمسجد الأقصىٰ ومسجد الصخرة علىٰ وضعهما الإسلامي القائم؛ يُعدان حائلاً دون ذلك.

فيضاف بذلك هدف جديد من وراء هدم الأقصىٰ بالإضافة إلىٰ الغرض الأصلي وهو بناء الهيكل، هذا الهدف هو محو آثار الإسلام من بيت المقدس تماماً، بعد أن ظلت أرض المسجد الأقصىٰ وما حوله من الأراضي المباركة تنعم بالأمن تحت الراية الإسلامية منذ الفتح العُمَري إلىٰ أن احتلها اليهود في حرب يونيو ١٩٦٧م، وذلك طبعاً باستثناء فترة الاحتلال الصليبي.

وعندما أتم اليهود احتلال المدينة المقدسة باستيلائهم علىٰ القدس الشرقية، لم يدخلها وزير الدفاع في ذلك الوقت (موشىٰ ديان) إلا وراء الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيل (شلومو غورين)؛ حيث أدىٰ الجميع الصلوات عند حائط البراق وسط هتافات مدوية يرددها اليهود.. «**يالثارات خيبر.. يالثارات خيبر**» وقال ديان يومها: «**اليوم فتحتُ الطريق إلى بابل ويثرب**».

أما إسحاق رابين رئيس الأركان في ذلك الوقت فإنه يصف حرارة لحظات دخوله القدس واقترابه من مكان الهيكل عام ١٩٦٧م. يقول: «لقد كان احتلال القدس انتصاراً كبيراً لنا، في حرب الاستقلال عام ١٩٤٨م اضطررنا إلىٰ ترك القدس الشرقية بأيدي العدو، ومنذ اندلاع حرب حزيران (يونيو) كان صبرنا قصيراً.. كان يجب ألاَّ نُضيِّع الفرصة التاريخية، وكلما كنا نقترب من حائط المبكىٰ ازداد الانفعال.. حائط المبكىٰ الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دوماً بأن أكون شريكاً.. ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في إعادة حائط

المبكى إلى السيطرة اليهودية . . . والآن عندما تحقق هذا الحلم تعجبت، كيف أصبح هذا ملك يدي! وشعرت بأني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي»!.

وجاء بعد ذلك دور الرئيس الإسرائيلي «زلمان شازار» فكان يتقدم نحو الحائط في جمع يهودي صاخب، ويصف المعلق الصحفي الفرنسي (جان نوبل) هذا الموقف بقوله: «دخل (زلمان شازار) رئيس (إسرائيل) المدينة التي فُتحت، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عشرين قرناً يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير . . . إن الإسرائيلين الملحدين أنفسهم تأثروا أيضاً بهذه المشاعر الدينية . . . إن اليهود لن يُنتزعوا من القدس دون أن تُدمى قلوبهم»[1].

وبعد أن وضع اليهود يدهم على القدس، أحكموا قبضتهم عليها ووضعوا الخطط الكفيلة بتحويلها إلى الصبغة اليهودية الخالصة؛ لتأمين كونها عاصمة يهودية لدولة إسرائيل إلى الأبد، وكان اهتمام الحكومة الإسرائيلية منصباً على ما أسماه موشى ديان (خلق واقع جديد للمدينة المقدسة) وذلك في إطار سياسات محددة ذكرتها الكاتبة الأمريكية (كيت ماجواير) في كتاب (تهويد القدس)، ويتحدد إطار هذه السياسات ـ حسب ما ذكرته ـ فيما يأتي:

١ ـ فتح طريق يوصل إلى حائط المبكى، ويسهل على كل اليهود المرور فيه.
٢ ـ إعادة بناء الحي اليهودي في المدينة القديمة[2].
٣ ـ إعادة الحياة إلي جبل المكبر (صهيون) بإنشاء رموز يهودية عليه تذكر

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ٣٦.
(٢) وقد تم ذلك بشكل كامل في العقود الماضية.

اليهود بعراقته الدينية؛ فأقاموا عليه (الجامعة العبرية).

٤ - ربط هذا الجبل ببقية المدينة عن طريق المباني السكنية.

٥ - بناء سور ضخم حول المدينة كجزء من عملية استراتيجية ضد أي عمل عسكري محتمل، بحيث تبقى مدينة محصنة[١]، وبناء قوس عمراني من المباني العالية المصممة على أساس اعتبارات دفاعية في المقام الأول.

٦ - استغلال عامل الوقت بالاستفادة منه - في ظل عمليات السلام - وإنشاء تحولات جغرافية وسكانية تؤدي في النهاية إلى محو أي مظهر إسلامي في المدينة، كما حدث مع مدينة (يافا) التي تحولت إلى (تل أبيب)، ولم يعد أحد يذكرها.

٧ - تعمدت إسرائيل - بتأييد ودعم من الولايات المتحدة - أن تضع القدس خارج إطار اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل[٢]، وتجاهلت الإشارة إليها، والهدف من ذلك ترك هذه المسألة حتى يكتمل دور عامل الوقت ويتم تطبيق الخطط الموضوعة لتحويلها كأمر واقع إلى مدينة يهودية صرفة؛ وبحيث لا تستطيع الحلول الجديدة أن تغفل هذا الواقع[٣].

٨ - توسيع حركة مصادرة الأراضي العربية، مع دفع حركة العمران اليهودي في المدينة؛ بحيث يتم محاصرة الوجود الإسلامي العربي فيها.

٩ - لا خلاف بين الأحزاب اليهودية المتناوبة على الحكم على خطة إسرائيل الكبرى التي عاصمتها القدس؛ ومن ثم فإن من الخطأ أن يتوهم البعض أن سياسة

(١) وقد تم البدء في بناء هذا السور عام ١٩٩٦م.
(٢) ثم خارج إطار أوسلو الأولى والثانية، وغيرها من اتفاقات السلام مع الفلسطينين.
(٣) وبالفعل، فعندما جاء وقت التفاوض عن القدس في كامب ديفيد الثانية، كان كلام الفلسطينيين عن استعادة القدس وجعلها عاصمة للدولة الفلسطينية، ضرباً من الخيال في الوقت الراهن.

إسرائيل بالنسبة للقدس ستتغير تحت أي ظرف[1] .

وهذه الخطوات كلها يريد اليهود من ورائها الحفاظ على مدينة الهيكل الذي لاحت لهم بشائر عصره الجديد؛ بحيث لا يستطيعون مقاومة الشعور الدافع إلى التعجيل ببنائه .

أدلى (ديفيد بن جوريون) بتصريح له بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧م، جاء فيه : «إن شعبي الذي يقف على أعتاب المعبد الثالث لا يمكن أن يتحلى بالصبر على النحو الذي كان أجداده يتحلون به»، وصرح مناحيم بيجن في تصريح مشابه في المناسبة نفسها، بما يدل على لهفته واستعجاله ببناء الهيكل قال : «آمل أن يعاد بناء المعبد في أقرب وقت، وخلال فترة حياة هذا الجيل»!

وصرح وزير الأديان الإسرائيلي أمام أحد المؤتمرات بمدينة القدس قائلاً : «إن إسرائيل تعد المسجد الأقصى وقبة الصخرة من ممتلكاتها على أساس حق الامتلاك السابق أو حق الاحتلال الحالي»، وأضاف : «وكذلك المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل؛ فقد كان كهفاً اشتراه أجدادنا مع الصخرة في عصر النبي داود» .

ومنذ اليوم الأول للاحتلال عام ١٩٦٧م، بدأت إسرائيل بشكل رسمي، أو من خلال جماعات دينية يهودية متشددة، بدأت في العمل على طمس كل أثر إسلامي، خاصة في مدينتي القدس والخليل، ونتيجة للاعتداءات المتواصلة على المسجدالإبراهيمي في مدينة الخليل؛ فقد وضعت (إسرائيل) يدها على أكثر من ثلث المسجد، وغيرت اسمه إلى ما يعرف بـ «كنيس ما كفير» .

وأصبح خاضعاً للسيطرة الإسرائيلية، ومُنع المسلمون من أداء الصلوات فيه بحُرية .

---

(١) تهويد القدس، (كيت ماجواير)، ص ٤٠، راجع بتوسع تنفيذ هذه الخطوات في الكتاب المذكور .

أما بالنسبة للمحاولات المتكررة للاعتداء على المسجد الأقصى؛ فتظهر أمور خطيرة من خلال تتبعها وجمعها بشكل تسلسلي تاريخي، وهذه الأمور تدل على أن الأمر جاد، والخطب عظيم، ومن تلك الأمور:

١ ـ أن المخطط يسير ـ منذ بدأ ـ في اتجاه تصاعدي من حيث الخطورة والكثرة.

٢ ـ أن الأطراف المشتركة في التآمر تزداد مع الأيام تنوعاً وتفرعاً وتخصصاً مع الإصرار على الوصول للهدف.

٣ ـ أن ردود الفعل، أو حتى ردود القول عربية كانت أو إسلامية ـ على المستوى الرسمي ـ ليست على مستوى الأحداث، وهي تتقلب بين أمرين أحلاهما مر، إما جهل بأبعاد المؤامرة، وإما استهانة واستهتار بها، وكلا الأمرين يكرسان عجزاً متزايداً.

٤ ـ أن الموقف الشعبي سواء على المستوى الفلسطيني أو العربي أو الإسلامي، يتميز عن المواقف الرسمية الحكومية بفهم أسدَّ وعاطفة أشد، ولهذا فإنه يتعامل مع الخطر، تعاملاً فطرياً أذكى وأفطن من المواقف الرسمية.

٥ ـ أن مواقف الإسلاميين في العالم، لم تبلغ ـ مع شديد الأسى والأسف ـ في تعاطفها العملي والتطبيقي مع قضية المسجد الأقصى، عشر معشار مواقف ما يسمى بـ (الأصولية اليهودية) و (الأصولية النصرانية).

٦ ـ أن الموقف الرسمي للحكومات الإسرائيلية ـ يبدو أحياناً أنه يتخذ من الجماعات الدينية المتشددة ستاراً يختبئ وراءه، حتى إذا ما وقع المحذور قالوا: إنها الجماعات المتطرفة.. إنه الإرهاب الذي نرفضه.. ولا مانع عند ذلك من القبض على شخص أو أشخاص، أو جماعة أو جماعات أمام الناس..

ووضعهم كأبطال قوميين وراء القضبان؛ بل لا مانع من الإعلان عن إعدامهم بعد أن يكونوا قد نالوا شرف تحقيق حلم ألفي عام!

٧ـ أن الموقف الحقيقي للحكومات الإسرائيلية، لا يقل خطورة عن مواقف مجموع الجماعات اليهودية؛ لأنه يتحرك بإمكانات دولة، ولكنه في الوقت نفسه يدفع بتلك الجماعات للواجهة.

٨ـ نلاحظ أن عمليات كثيرة فشلت لأسباب قدرية بحتة قدرها الله ـ عز وجل ـ لحفظ المسجد الذي لم ينهض أهله لحمايته للآن؛ اللهم إلا الشرفاء العزل من أهل فلسطين.

وأخيراً، قد يسأل سائل، لماذا لا تقوم السلطات الحاكمة اليهودية، بهذا العمل مباشرة بدلاً من هذا اللف والدوران؟

والجواب: إن (إسرائيل) الدولة تدرك أن تبنيها أو تنفيذها المباشر لهذه المؤامرة له محاذير في غاية الخطورة على أمنها؛ ولهذا فهي تكبح جماح الجماعات والمنظمات الدينية قدر المستطاع حتى لا تضعها ـ في توقيت غير مناسب ـ في مأزق قد لا تجد منه مخرجاً.

والحقيقة أن الواضح من المواقف الرسمية الإسرائيلية أنها تفضل أن تتم المؤامرة نتيجة (أحداث مؤسفة)! أو من جماعات (لا مسؤولة)! أو أفراد (مجانين)! أو بأي شكل طبيعي، كزلزال أو غيره. . . ، المهم ألاّ تكون هي في الصورة، ولهذا تستمر أعمال الحفريات.

مؤامرة الحفريات

يحاول اليهود منذ أن احتلوا القدس أن يعثروا على أثر يدل على أن مكان الأقصى والصخرة هو نفس المكان الذي كان يقوم فيه هيكل سليمان . . ولكن هل هذا هو كل الهدف من الحفريات؟ .

إن اليهود قوم بُهت، أهل خداع ومكر . . إن لهم هدفاً أبعد من ذلك وأشد خطراً . . ولنحاول أن نتعرف على جوانب مؤامرة الحفريات :

. . فمنذ حرب يونيو ١٩٦٧م إلى الآن مرت عمليات الحفريات بعشر مراحل :

* المرحلة الأولى : وهي بعد حرب يونيو مباشرة، فقد هدم اليهود حي المغاربة الوقفي نهائياً لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب .

* المرحلة الثانية : استمرت عمليات الهدم في الأحياء الإسلامية مع إجلاء سكانها العرب . . وفي هذه المرحلة حدث حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م وأقيمت في تلك الآونة المعاهد والمدارس الدينية والاستراحات والفنادق وغيرها فوق أنقاض الأبنية العربية، وجرت الحفريات على امتداد ٨٠ متراً حول السور مارة حول الأبنية الإسلامية هناك .

* المرحلة الثالثة : خلال الأعوام (١٩٧٠م - ١٩٧٢م) بدأ شق الأنفاق تحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها الجنوبي والغربي حتى نفذت إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وشملت هذه المرحلة الاستيلاء على أبنية إسلامية

كثيرة منها مبنى المحكمة الشرعية .

* **المرحلة الرابعة**: عام (١٩٧٣م)، اقتربت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغلت مسافة طويلة تحته ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر متراً .

* **المرحلة الخامسة**: عام (١٩٧٤م)، وفيها توسعت الحفريات من الجدار الغربي للمسجد الأقصى وتغلغت مسافة طويلة تحته، ووصلت أعماق الحفريات وقتها إلى أكثر من ثلاثة عشر متراً .

* **المرحلة السادسة**: (١٩٧٥م - ١٩٧٦م)، توسعت الحفريات تحت الجدار الغربي، وأزال اليهود وقتها مقبرة للمسلمين تضم رفات عبادة بن الصامت وشداد بن أوس، رضي الله عنهما .

* **المرحلة السابعة**: (١٩٧٧م)، وصلت الحفريات إلى تحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، وتمت فيها موافقة لجنة وزارية إسرائيلية على مشروع بضم أقسام أخرى من الأراضي المجاورة للساحة، وهدم ما عليها بعمق تسعة أمتار .

* **المرحلة الثامنة**: (١٩٧٩م)، بدأت حفريات جديدة تحت الجدار الغربي قرب حائط البراق، وتم شق نفق واسع طويل، وتقرر الاستمرار فيه حتى يخترق المسجد الشريف من غربه إلى شرقه، وقد تم تحصين هذا النفق بالأسمنت المسلح وأقيم فيه كنيس يهودي صغير افتتحه رسمياً رئيس الدولة اليهودية ورئيس وزرائه عام (١٩٨٦م)، واتخذ معبداً مؤقتا لليهود .

* **المرحلة التاسعة**: (١٩٨٦م)، وفيها استشرت الحفريات من كل جانب، وتم إجلاء أعداد كبيرة من السكان من القدس القديمة، وأغلقت السلطات الإسرائيلية مستشفى فلسطيني داخل البلدة القديمة، واغتصبت بيوتاً عربية كثيرة، سكن (شارون) في أرض واحد منها تأكيداً على تهويد القدس.

وشارك في هذه الحفريات علماء أثريون استقدمتهم (إسرائيل)، وأدلوا بشهادات يثبتون بها أن في أرض المسجد الأقصى بقايا آثار يهودية، وكان من ضمن المستقدمين قسيس مسيحي اسمه (برجيل بكسنز).

* **المرحلة العاشرة**: وقد بدأت بشراسة، فازداد التوغل تحت أرضية الساحة وحولها.. وبينما يقوم الحراس المسلمون بحماية المسجد من الداخل ضد أي اعتداء، إذا بالحفارين اليهود يتوغلون في الحفريات من المحيط الخارج عن الأسوار، ومن الأحياء التي تسيطر عليها القوات العسكرية اليهودية سيطرة تامة، وتركزت الحفريات على الطبقات التحتية لتفريغها من التربة.

وقد بدأت حفريات أخرى باتجاه المسجد الأقصى من باب الغوانمة، وهي تجري لأجل عمل نفق ضخم تحت الأرض[١]، وادعت مجلة (ايندكس) الإسرائيلية أن الحفريات الأخيرة عثر خلالها على آثار تعود إلى عهد الهيكل الثاني[٢].

وقد حاول عمال الحفر اليهود (في شهر أغسطس / آب ١٩٨٨م) الشروع في حفريات وسط الطريق المنحدر إلى حي (الوادي) الملاصق للمسجد؛ ولكن

---

(١) صحيفة القدس، ١٧/ ١١/ ١٩٩٩م.
(٢) صحيفة القدس، ١١/ ٣/ ٢٠٠٠م.

حراس المسجد منعوهم، وكرر الحفارون المحاولات وكرر الحراس صدهم، وهدف الحفارون من هذا أن يَصِلُوا مباشرة إلىٰ قاعدة مسجد الصخرة المشرفة، ثم الوصول إلىٰ حفريات أخرىٰ تحت حائط المسجد الأقصىٰ.

وهذه المرحلة العاشرة من مراحل الحفريات كانت تمثل أخطر مرحلة؛ لأن هدفها تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصىٰ ومسجد الصخرة، لترك المسجدين قائمين علىٰ فراغ ليكونا ـ لا قدر الله ـ عرضة للانهيار والسقوط بفعل أي تقلبات مناخية أو اهتزازات طبيعية أو حتىٰ صوت عال تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت. . . أو إحداث زلزال اصطناعي ناتج عن التفجيرات ا لنووية التكتيكية كما حدث مؤخراً في تفجيرات البحر الميت التي أجريت بهدف اختبار صلابة الأبنية في بعض المدن الإسرائيلية. . . فهل أدركنا خبث المؤامرة؟

وقد سمحت الحكومة الإسرائيلية خلال عامي ١٩٩٥، ١٩٩٦م، لمؤسستين إسرائيليتين وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية)و(شركة تطوير القدس) بإجراء المزيد من الحفريات. . ومما يدل علىٰ وجود نية مبيتة في اللجوء إلىٰ محاولة الهدم عن طريق إحداث الاهتزازا ت الصناعية، ما أدلىٰ به الخبير الإسرائيلي في علم الآثار (جوزيف سيرج) حين قال في تصريح له في ١٨/٨/ ١٩٩٠م: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث علىٰ أرض المسجد الأقصىٰ الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة».

شَقّ الأنفاق.. والشقّ الآخر من مؤامرة الحفريات:

تعد عمليات شق الأنفاق، إجراءاً مشتركاً ومكملاً لعمليات الحفريات، والعمل في شق الأنفاق تحت أرض المسجد الأقصىٰ كان يجري بهدوء ودون ضجيج إعلامي حتىٰ كانت حادثة الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمونائيم) في

سبتمبر عام ١٩٩٦م في عهد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق (بنيامين نتنياهو) تلبية لطلب جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية المتطرفة، وقد نتج عنها صدامات واسعة النطاق في الأراضي المحتلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أدت إلى وقف ما يسمى بـ(عملية السلام) خاصة بعد أن تبجح نتنياهو، وأعلن افتخاره بافتتاح هذا النفق قائلاً: «إنني فخور جداً، فالنفق يمس أساس وجودنا»[1]، وهو يعني ـ قطعاً ـ الهيكل الثالث بهذا القول.

وقد أُعلن في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٠م، عن إنجاز السلطات الإسرائيلية لنفق آخر.

وإلى جانب هذه المؤامرة التي أُحكمت مراحلها قامت ـ منذ الاحتلال الصهيوني لبيت المقدس ـ محاولات محمومة ومسعورة للنيل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.

(١) الوطن الكويتية (٢٨/ ٩/ ١٩٩٦م).

الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى من سنة ١٩٦٧م إلى سنة ٢٠٠٠م:

وها نحن نحاول تتبع هذه الاعتداءات أو محاولات الاعتداء منذ وقع الاحتلال وحتى وقت كتابة هذه السطور في أواخر العام ٢٠٠٠ للميلاد.

أولاً: في عقد الستينيات:

١ - في اليوم الثالث من بدء حرب يونيو ١٩٦٧م واستيلاء اليهود على القدس، دخل الجنرال (مردخاي غور) ساحة المسجد في سيارة نصف مجنزرة واستولى على المسجد.

٢ -بعد أن دخل اليهود القدس مباشرة، وبالتحديد في يوم ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م، عُقد في القدس مؤتمر لحاخامات اليهود في العالم، ناقشوا فيه موضوع القدس والهيكل، وطالب الحاضرون بالإسراع في عملية إعادة الهيكل الثالث، فقال لهم وزير الأديان يومذاك الدكتور(زيرخ فارهافتك): «أنا لا أناقش أحداً في أن الهدف النهائي لنا هو إقامة الهيكل، ولكن الأوان لم يحن بعد، وعندما يحين الموعد لابد من حدوث زلزال يهدم الأقصى، ونبني الهيكل على أنقاضه».

٣ - المحكمة الشرعية الإسلامية بالقدس؛ تتلقى طلباً من مؤسسة أمريكية ماسونية لشراء منطقة الأقصى بمبلغ ١٠٠ مليون دولار، وقد رفضت المحكمة هذا الطلب.

٤ ـ في ١٥ أغسطس (آب) ١٩٦٧م، دخل الحاخام الأكبر لإسرائيل وجيشها (شلومو غورين) مرتدياً الزي العسكري إلى ساحة المسجد الأقصى يرافقه عشرون من ضباط الجيش، وهرع داخل الساحات ملوحاً برشاش كان معه، ومجرياً القياسات هنا وهناك، ثم أعلن عن تحديد مكان «قدس الأقداس» أي أكثر الأماكن خصوصية في أرض الهيكل، ثم اصطف معه ضباط الجيش لتأدية الشعائر اليهودية[1]، وأعلن يومها أن لديه مشروعاً لإقامة المعبد مكان مسجدي الأقصى والصخرة، وسيعمل على تنفيذه، وأنشأ من ذلك الوقت ما سُمي بـ «حركة إسرائيل الكبرى» فاتحاً بذلك ملف الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى.

وفي اليوم التالي أعلن عن العثور على مخبأ أسلحة داخل المسجد الأقصى.

٥ ـ في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٦٧م، استولى جيش اليهود على مفتاح باب المغاربة[2]؛ وذلك لتيسير الدخول إلى حائط المبكى (البراق) كلما أرادوا، وكان ذلك بإيعاز من (شلومو غورين) الحاخام الأكبر لجيش الدفاع الإسرائيلي.

٦ـ في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٩م، أقدم شخص استرالي نصراني يدعى (دينيس مايكل) على إشعال النار في المسجد الأقصى، وأتت النيران المتصاعدة على أثاث المسجد وجدرانه ومنبره العظيم الذي كان الأيوبيون قد أعدوه لإلقاء خطبة الجمعة من فوقه بعد تحرير بيت المقدس، وقد أُخلي سبيل هذا الدنس بعد

---

(١) تأدية الشعائر اليهودية في المسجد الأقصى له مغزى أكبر من مجرد إقامة شعائر، إنهم يريدون بذلك الإشارة إلى أن هيمنة الإسلام على هذه الأماكن قد انتهت.

(٢) أحد الأبواب الرئيسية لساحات المسجد.

محاكمة صورية أعلن فيها أنه فعل ماحدث كمبعوث لله، وبموجب نبوءة في سفر زكريا. . وكانت حيثيات الحكم - بعد تحمله للمسؤولية الجنائية - أنه (مجنون)!!.

ثانياً: في عقد السبعينيات:

٧ - في ١١ مارس (آذار)١٩٧١م، قام (جرشون سلمون) قائد مجموعة (آل هارهاشم) (معناها: إلى جبل الله) وهو أيضا من قواد منظمة (بيتار) ومنظمة (أمناء الهيكل) - قام بقيادة مجموعة من الطلاب اليهود المتعصبين بمحاولة لتأدية الشعائر اليهودية في المسجد الأقصى.

٨ - في يناير (كانون الثاني)٣٠/ ١/ ١٩٧٦م، أقرت إحدى المحاكم الإسرائيلية حق اليهود في الصلاة بساحات الأقصى في أي وقت يشاءون من النهار، وذلك بعد محاكمة ثمانية يهود من بين ٤٠ يهودياً اتُّهموا بالدخول عنوة داخل المسجد الأقصى مرددين الأناشيد اليهودية، وقد أصدرت القاضية الإسرائيلية (روث أرو) حكما يؤكد حق اليهود في الصلاة في المسجد، وبرأت المتهمين، وفي نفس العام في أغسطس (آب) حدثت اشتباكات بين المسلمين والمتدينين اليهود لمحاولاتهم دخول المسجد بالقوة.

٩ - في ١٤ أغسطس(آب) ١٩٧٨م، قام (جرشون سلمون) الذي سبق ذكره بمحاولة إقامة الصلاة اليهودية في المسجد الأقصى مع بعض مرافقين له، وتصدى لهم حراس المسجد.

١٠ - في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني)، الشرطة الإسرائيلية تطلق وابلاً من الرصاص في ساحات المسجد الأقصى، فتقتل وتصيب العشرات.

ثالثاً: في عقد الثمانينيات:

١١ ـ في ١٩ إبريل (نيسان) ١٩٨٠م الحاخامات الإسرائيليون يعقدون مؤتمراً عاماً للترتيب للسيطرة على المسجد الأقصى.

١٢ ـ في الأول من مايو (آيار) ١٩٨٠م، جرت محاولة لنسف المسجد الأقصى عندما اكتُشف بالقرب من المسجد أكثر من طن من مادة (ت. ن. ت) الشديدة الانفجار، فوق سطح أحد المعابد اليهودية، واكتُشفت متفجرات أخرى في مدرسة (باشيفا) اليهودية في المدينة القديمة للغرض نفسه، وحوكم في هذه القضية الإرهابي مائير كاهانا.

١٣ ـ في أغسطس (آب) ١٩٨١م، تجمهر عدد كبير من اليهود قرب المسجد الأقصى وكسروا قفل (باب الحديد)، وأدوا الصلوات اليهودية بشكل استفزازي للمسلمين، وكان المعتدون من جماعة جوش إيمونيم ويبلغ تعدادهم ٣٠٠ عضو.

١٤ ـ في ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٨١م، أعلنت الهيئات اليهودية الدينية عن اكتشاف نفق يبدأ بحائط البراق، ويؤدي إلى فناء المسجد الأقصى، وأعلنوا أن لذلك علاقة بالهيكل الثاني، وبدأوا عمليات حفر هددت جدران المسجد بالانهيار، ولكن تصدت جموع من المسلمين للعمال اليهود، وردموا النفق بالقوة.

١٥ ـ في ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨٢م، رئيس مجموعة أمناء الهيكل (فرشون سلمون)، ومجموعة من أتباعه يقتحمون المسجد الأقصى لتأدية الصلوات اليهودية.

١٦ ـ في ٢ مارس (آذار) ١٩٨٢م، قام ١٥ شخصاً من جماعة (أمناء جبل

الهيكل) باقتحام أحد الأبواب الخارجية للمسجد الأقصىٰ (باب السلسلة)، وكانوا مزودين بالأسلحة النارية، واعتدوا علىٰ حراس المسجد في الداخل فاشتبكوا معهم وأصيب أحد الحراس المسلمين بطعنة في جانبه الأيسر، وفي اليوم التالي قام المسلمون بإضراب شامل في القدس احتجاجاً علىٰ هذه الاستفزازات، واجتاحت المظاهرات مدن الضفة الغربية، ونابلس، وبيرزيت، وبيت لحم.

١٧ ـ في ٣ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، أقدمت مجموعة من الشباب اليهود المتدينين علىٰ اقتحام المسجد الأقصىٰ عبر (باب الغوانمة)، وتصدىٰ لهم الحراس المسلمون، وحدث اشتباك أصيب فيه أحد حراس المسلمين، ولما حضرت الشرطة الإسرائيلية اعتقلت الحارس المصاب واستجوبت الحراس الآخرين.

١٨ ـ في ٨ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، عثر الأهالي المسلمون علىٰ طرد مشبوه خلف أحد الأبواب الرئيسية للمسجد الأقصىٰ، ووجدت الشرطة في الطرد بعد فتحه أسلاكاً كهربائية وجهاز توقيت، ورسالة موجهة إلىٰ مجلس الأوقاف الإسلامي، وفيها (انتظروا مزيداً من عملياتنا ضدكم)، وفي اليوم التالي الذي وافق يوم جمعة قام المصلون المسلمون بالاعتصام داخل المسجد بعد الصلاة احتجاجاً علىٰ هذه التهديدات.

١٩ ـ في ١١ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، اقتحم جندي إسرائيلي يدعىٰ (آلان جودمان) المسجد الأقصىٰ عبر (بوابة الغوانمة)، وأطلق النار علىٰ حارس الباب فأصابه وأصاب أحد أفراد الشرطة . . . ثم هرع إلىٰ مسجد الصخرة وهو يطلق النار بغزارة وبشكل عشوائي، فأصاب عدداً من المصلين، وقتل أحد حراس مسجد الصخرة، وشارك بعض الجنود الإسرائيلين المتمركزين علىٰ أسطح المنازل

المجاورة في إطلاق الرصاص تجاه مسجد الصخرة؛ فأخذ المؤذنون يناشدون الأهالي المسلمين عبر مكبرات الصوت بالتوجه فوراً إلى ساحات المسجد للدفاع عنه . . فتدافع المسلمون نحو المسجد إلا أن الجنود اليهود الواقفين على الأسطح القريبة بدأوا يطلقون النار عليهم فأصابوا مائة شخص . . وأغلق الجنود الإسرائيليون أبواب البلدة القديمة لمنع الأهالي من التدفق تجاه المسجد، وفرقوا الأهالي العزل بطلقات الرصاص والقنابل المسيلة للدموع . وبعد القبض على جودمان ومساءلته، ادعت السلطات الإسرائيلية أنه مختل عقلياً!

وأصدرت حركة كاخ التي كان يتزعمها (كاهانا) بياناً يهاجم كل من أدان الحادث، بل ويهاجم الخارجية الأمريكية، جاء في البيان: «إن حركة كاخ تنظر بقلق إلى بيان الخارجية الأمريكية التي تنظر للحادث وكأنه قد حدث في مكان مقدس للإسلام، وحركة كاخ تلقي بكامل المسؤولية على الحكومة الإسرائيلية التي لم تنجح خلال خمسة عشر عاما في أن توضح للعالم أن قدسية هذا المكان هي لشعب إسرائيل كله، لأنه هناك بني الهيكل، وهناك سيعود فيبنى»، ثم أردف البيان قائلاً: «إن حركة كاخ تجدد نداءها إلى طرد الغرباء من جبل البيت، وإلى إزالة المباني (الحقيرة) من هناك، والتي أقيمت على المكان المقدس»، ولما عرض الحادث على مجلس الأمن الدولي في ٢٠/ ٤/ ١٩٨٢م استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق النقض (الفيتو) ضد مشروع قرار يندد بإسرائيل!

٢٠ - في ٢٧ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، قامت مجموعة قوامها مائة شخص يهودي بزعامة كاهانا بمحاولة لاقتحام المسجد الأقصى حاملين لافتات تدعو لطرد العرب من فلسطين، كما حملوا صورة كبيرة تبين منظر ساحات الأقصى وقد خلت من المسجدين ووضع مكانهما الهيكل الثالث.

٢١ - في ٢٩ إبريل (نيسان) ١٩٨٢م، قامت مجموعة مسلحة مكونة من ثلاثين شخصاً بمحاولة لدخول المسجد بالقوة، إلا أن الحراس المسلمين تصدوا لهم، وأوصدوا الأبواب في وجوههم.

٢٢ - في ٦ مايو (أيار) ١٩٨٢م، قام مجهولون بإطلاق الرصاص على قبة الصخرة، فأقفل الحراس جميع أبواب المسجد، وتبين أن أحد المستوطنين اليهود أطلق الرصاص من فوق مدرسة مجاورة.

٢٣ - في ٢٥ يوليو (تموز) ١٩٨٢م، اعتقل (يوئيل لرنر)، وهو من نشطاء حركة (كاخ) بمحاولة لنسف مسجد الصخرة المشرفة، وكان قد جمع عدداً من الشباب الصغار ضمن حركة سرية، ووضع خططاً لنسف المساجد الإسلامية الأخرى بالمنطقة.

٢٤ - في نفس العام ١٩٨٢م، قام الإرهابي (أرنيل) من الكلية المدنية في (كريات أربع) بمحاولة لاقتحام المسجد الأقصى مع مجموعة من طلابه، يبلغون عشرين شخصاً.

٢٥ - في ١١ مارس (آذار) ١٩٨٣م، حاول بعض الشباب اليهود من أتباع الإرهابي (زلمان كورن) القيام باقتحام المسجد الأقصى، وبعد محاكمتهم والحكم ببراءتهم وجه القاضي الإسرائيلي اللوم إلى الشرطة لاعتقالهم، وأخلى سبيلهم في ٢١/ ٩/ ١٩٨٣م.

٢٦ - في أغسطس (آب) من ١٩٨٣م، قام بعض اليهود من جماعة (أمناء الهيكل) بتأدية الشعائر اليهودية في الساحة المحيطة لحائط البراق بجوار المسجد الأقصى.

٢٧ - في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، جرت محاولة آثمة لنسف الأقصىٰ ومسجد عمر، ولكن تصدىٰ لها الحراس المسلمون، وأفشلوها بعون الله .

٢٨ -في ١٢ مارس (آذار) ١٩٨٤م، حاول عدد من أعضاء الجماعات الدينية اليهودية المتشددة اقتحام مناطق مجاورة للمسجد الأقصىٰ بهدف إقامة مستوطنة دينية، ومدرسة دينية يهودية .

٢٩ -في شهر يوليو (تموز) من عام ١٩٨٤م، حاول يهودي متعصب اقتحام المسجد بسيارته .

٣٠ -في بداية أغسطس (آب) من عام ١٩٨٤م، اكتشف حراس الأقصىٰ المسلمون عدداً من الإرهابيين اليهود في الساحات المحيطة بالمسجد وهم يعدون لعملية نسف تامة للمسجد، وقال وقتها الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس رحمه الله : «لولا عناية الله - تعالىٰ - لما بقي حجر علىٰ حجر من المبنىٰ الشريف»، وقال : «لقد كشفت كميات الأسلحة الهائلة التي وجدت بعد فرار المجرمين حجم العلمية التي كانوا ينوون القيام بها، فقد كانت هذه الأسلحة تتشكل من قنابل ومتفجرات أخرىٰ، واعترفت السلطات الإسرائيلية أن الذين قاموا بالمحاولة كان في حوزتهم مائة وعشرون كيلو جراماً من مادة (ت . ن . ت) الشديدة الانفجار» .

٣١ -في أغسطس (آب) ١٩٨٤م، قامت السلطات اليهودية برفع العلم الإسرائيلي داخل ساحات الأقصىٰ طبقاً لقرار وزير الداخلية الإسرائيلي وقتها (يوسف بورج)، وكانوا قد رفعوه قبل ذلك التاريخ بثلاثة أسابيع ؛ ولكنهم اضطروا إلىٰ إنزاله بعد احتجاج المجلس الإسلامي في المدينة المقدسة .

٣٢ ـ في ٧ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، أقدم الحاخام اليهودي الهالك (مائير كاهانا) زعيم حركة كاخ اليهودية على محاولة لتدنيس المسجد الأقصى، وذلك برفع العلم الإسرائيلي عليه في ذكرى تحطيم المعبد القديم، وقام آلاف من اليهود المتدينين بإقامة الشعائر اليهودية قرب المسجد الأقصى؛ وذلك إظهاراً للحداد والحزن على خراب الهيكل، وكان (كاهانا) قد تقدم إلى البوابة المغلقة المؤدية إلى المسجد ودق عليها بعنف، ثم فرد علماً إسرائيليا عليها، ولكن حرس المسجد المسلمين منعوه من الدخول.

٣٣ ـ في ٢٧ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، اكتشف أحد المارة عبوة ناسفة في الحي اليهودي في القطاع الشرقي من مدينة القدس، وجاء هذا الحادث بعد أيام من اكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة في مغارة في المدينة المقدسة، وترجح وقتها أن تكون هذه الأسلحة لجماعات يهودية متعصبة.

٣٤ ـ في ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، حكم بالسجن على طالب إسرائيلي اتهم بالتخطيط لنسف المسجد الأقصى، ومعروف أن هذه الأحكام لا تلبث أن تلغى أو تختصر بعد بذل المساعي من الشخصيات والهيئات والجماعات اليهودية.

٣٥ ـ في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤م، كشف النقاب عن محاولة يهودية فاشلة لنسف المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وذلك عندما قامت عناصر يهودية مسلحة من حرس الحدود الإسرائيليين بوضع عبوة ناسفة في الساحة الرئيسية للمسجد الأقصى، إلا أن حراس المسجد اكتشفوها وأبطلوا مفعولها، وعلى إثر الحادث نظم إضراب عام شمل المدينة المقدسة احتجاجاً على المؤامرة.

٣٦ - في ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٥م، الشرطة الإسرائيلية تسمح لبعض المتطرفين اليهود بإحياء ذكرىٰ الهيكل الثاني بأداء الطقوس عند المسجد الأقصىٰ.

٣٧ - في ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦م، قامت قوات من الجيش الإسرائيلي أو مايسمىٰ بحرس الحدود بفرض حظر التجول في منطقة المسجد الأقصىٰ وأقدمت القوات علىٰ اعتقال عدد كبير من المصلين وحراس المسجد إثر تصديهم لأعضاء لجنة الداخلية التابعة للكنيست الإسرائيلي، وكان أعضاء الكنيست الإسرائيلي قد تجولوا في ساحات المسجد بتنسيق مع شرطة الاحتلال بهدف تحديد مكان في المسجد يدخله اليهود ليكون خاصا بهم لتأدية الشعائر الدينية اليهودية، وقد تعمدوا عدم إشعار الهيئآت الإسلامية المعنية بزيارتهم للمسجد، وعند دخول أعضاء اللجنة للمسجد؛ أسرع مؤذن المسجد وتناول مكبر الصوت الموجود بالمسجد وصاح بمجموع المسلمين ليتصدوا لهذه المؤامرة، ولكن قوات الشرطة سارعت بالتدخل لتضمن مغادرة أعضاء الكنيست للمكان سالمين، ويلاحظ أن المحاولة هذه اتسمت بالرسمية، بخلاف محاولات الجماعات والمنظمات الأخرىٰ التي لم تحاول الجهات الرسمية الظهور معها في الصورة.

٣٨- في إبريل (نيسان) ١٩٨٦م، اقتلع البوليس الإسرائيلي بالقوة باباً في مدخل مبنىٰ يقع بالقرب من الحائط الغربي للمسجد الأقصىٰ، وكان الباب قد وضعه الحراس المسلمون عند مدخل المبنىٰ القريب من المسجد الأقصىٰ لمنع تسلل اليهود إليه في الليل.

٣٩ - في إبريل (نيسان) ١٩٨٦م، حاولت إحدىٰ العصابات الصهيونية (منظمة أمناء جبل البيت) اقتحام المسجد الأقصىٰ بقيادة (جرشون سلمون)؛ ولكن الحراس المسلمين والسكان العرب تصدوا لهم ومنعوهم من الدخول،

فاكتفى أعضاء العصابة بأداء الشعائر اليهودية قرب حائط المبكى.

٤٠ ـ في ٤ أغسطس (آب) ١٩٨٦م، مجموعة من الحاخامات تقرر بصورة نهائية السماح لليهود بتأدية طقوسهم في المسجد الأقصى، ويقررون حق اليهود في إنشاء كنيس يهودي في ساحات الأقصى.

٤١ ـ في ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٦م، دخلت جماعات من حركتي (أمناء جبل البيت) و (حزب هتحيا) ساحة الأقصى، وأقاموا الطقوس اليهودية فيها تحت حراسة قوات الشرطة اليهودية، وكان ذلك خلال احتفال المسلمين بعيد الأضحى المبارك.

٤٢ ـ في ٢ يوليو (تموز) ١٩٨٨م، وزارة الأديان الإسرائيلية، تعلن الانتهاء من حفر نفق بالقرب من باب الغوانمة.

٤٣ ـ في ١٧ مارس (آذار) ١٩٨٩م، حراس المسجد الأقصى يكتشفون كميات كبيرة من المتفجرات بداخله، وكانت إحدى الجماعات اليهودية قد وضعتها لأغراض تخريبية.

٤٤ ـ في ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٩م، الشرطة الإسرائيلية تسمح للمتدينين اليهود بشكل رسمي أن يقيموا صلواتهم عند أبواب المسجد الأقصى.

٤٥ ـ في ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩م، قامت جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث قرب مدخل المسجد الأقصى، بزنة ٣,٥ طن، وقال (جرشون سلمون) الذي قاد عملية تدشين الهيكل: «إن وضع حجر الأساس يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة»، وأضاف: «لقد انتهى الاحتلال الإسلامي، ونريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي».

رابعاً: في عقد التسعينيات:

٤٦ - في ٨ أغسطس ١٩٩٠م، صدامات مع الشرطة الإسرائيلية في باحة المسجد الأقصى، تسفر عن استشهاد ٢٢ مصلياً، وإصابة أكثر من مئتي شخص بجراح.

٤٧ - في ٧ يوليو (تموز) ١٩٩٦م، الإعلان عن حفريات خطيرة أدت إلى خلخلة في الحائط الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى.

٤٨ - في ٢٤ سبتمبر (أيلول)، رئيس بلدية القدس يفتح رسمياً نفقاً تحت السور الغربي للأقصى، وهو نفق (الحشونئيم) مما أدى إلى اشتعال الموقف ووقوع اضطرابات خطيرة في القدس، أدت إلى وقف مفاوضات السلام وقتها.

٤٩ - في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٧م، ازدياد المخاوف على أساسات المسجد الأقصى بعد الكشف عن أن الحفريات الإسرائيلية في جنوب غرب المسجد، قد تعمقت لتصل إلى ارتفاع ٦ - ٩ متراً.

٥٠ - في ٢٨ مايوم (آيار) ١٩٩٧م، حاخامات المستوطنين يطالبون بتقسيم ساحات الأقصى بين المسلمين واليهود.

٥١ - في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٩٩م، السلطات الإسرائيلية تكشف عن خطط لهدم المباني الأموية المحاذية للمسجد، من أجل توسيع ساحات ما يسميه اليهود: حائط المبكى.

٥٢ - في ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٩م، الحكومة الإسرائيلية تعلن عن تسلمها مهمة حراسة المسجد الأقصى بالبوابات الإلكترونية والسياج المكهرب.

٥٣ ـ في ٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩م، رئيس الوزراء الإسرائيلي (إيهود باراك) يفتح مدرجاً لليهود المتدينين في الجهة الجنوبية للمسجد الأقصى لأداء الطقوس الدينية اليهودية فيه.

٥٤ ـ في ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٩م، الشرطة الإسرائيلية تعتقل شرطياً إسرائيلياً سابقاً، خطط لعمل إرهابي ضد المسجد الأقصى.

٥٥ ـ في ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٩م، السلطات الإسرائيلية تقرر وقف أعمال الترميم في المسجد الأقصى.

٥٦ ـ في ١٥ إبريل (نيسان) ١٩٩٩م، وزارة الأديان الإسرائيلية تعلن عن نيتها في افتتاح نفق أسفل حائط البراق، لتسهيل الوصول لحائط (المبكى).

خامساً: الاعتداءات في عام ٢٠٠٠م، وبداية الألفية الثالثة:

تميز ذلك العام ـ كما كان متوقعاً [١] بارتفاع وتيرة السعار اليهودي والنصراني أيضاً ـ من أجل فرض ما أطلق عليه منذ عدة سنوات (الحل النهائي) الذي تعد قضية القدس والأقصى من أعقد مسائله، وقد شهدت الأرض المقدسة وساحة المسجد الأقصى في بداية ذلك العام زيارة يغلب عليها الصمت والغموض من رأس الكاثوليكية الدولية، باباً الفاتيكان (يوحنا بولس الثاني) ضمن جولة طاف خلالها بالبلدان التي قال إن المسيح ـ عليه السلام ـ قد وطئها، وهي فلسطين والأردن ومصر، ومعروف أن الفاتيكان يرفض السيطرة الإسرائيلية أو الإسلامية على المدينة المقدسة، ويطالب بتدويل القدس باعتبارها : مدينة المسيح!

وتقترن سنة ٢٠٠٠م بمعتقدات نصرانية، ترتبط بعودة المسيح ـ عليه السلام ـ

(١) انظر الخلفيات الاعتقادية لهذا الموضوع في كتاب حُمَّى سنة ٢٠٠٠ ـ الفصل الثاني.

إلى الأرض وقدومه في أوائل ألفية جديدة؛ ولكن تلك العقيدة الألفية يتعلق بها ـ بشكل أكثر ـ النصارى البروتستانت الذين يشاركون اليهود في قسم كبير من معتقداتهم.

أما اليهود، فلا يمثل عام ٢٠٠٠م بحد ذاته علامة فارقة عندهم؛ لأن التاريخ الميلادي غير معترف به دينياً لدى اليهود الذين لا يؤمنون بنبوة عيسى ـ عليه السلام ـ ولكنّ مؤيديهم ومنظمي تحقيق أحلامهم من النصارى البروتستانت، يدفعون اليهود دفعاً إلى أن يكونوا أداة لتحقيق أحلامهم هم، تلك الأحلام التي يستثمرها اليهود لصالحهم، فما دامت تهدف إلى تمكينهم من كامل الأرض المقدسة بحدودها التوراتية، وما دامت تهدف إلى مساندتهم في المساعي الرامية إلى هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل الثالث، وما دامت تهدف إلى الوقوف معهم بكل قوة لإذلال العرب والمسلمين في أوطانهم، فما الذي يمنع اليهود من قبول هذه المزايا والعطايا التي يهديها أتباع المسيح لأعداء المسيح؟!

أما حصاد التعاون المشترك بين اليهود وأولئك النصارى في الشهور المنصرمة من عام ٢٠٠٠م حتى كتابة هذه السطور فيما يتعلق بالمسجد الأقصى، فهو على ما يأتي:

* في ٢٠ مايو (آيار) ٢٠٠٠م ، أعلنت السلطات الإسرائيلية أنها اكتشفت مدينة داود ـ عليه السلام ـ بعد ثلاثة أعوام من الحفريات قرب أحد الأسوار.

* في ١٣ يونيو (حزيران) ٢٠٠٠م، الشرطة الإسرائيلية تمنع أعمال الترميم في المصلى المرواني بدعوى أنه لا يدخل ضمن أرض المسجد الأقصى.

* في ٥ يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، الحكومة الإسرائيلية تقر مشروع قانون أساسي؛ يعد القدس الشرقية تدخل ضمن العاصمة الأبدية لـ (إسرائيل) .

* في ١٦ يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، رئيس بلدية القدس (يهود ألمرت) يدعو إلىٰ السماح لليهود بتأدية الصلوات اليهودية في ساحات المسجد الأقصىٰ بصورة رسمية.

* في شهر يوليو (تموز) ٢٠٠٠م، دائرة الآثار الإسرائيلية تزيل المباني الأموية جنوب المسجد الأقصىٰ.

* في أغسطس (آب) ٢٠٠٠م، مجلس الحاخامية الكبرىٰ بالدولة اليهودية - وهو أكبر مرجع ديني - يناقش اقتراحاً بإقامة كنيس يهودي مؤقت داخل ساحة المسجد الأقصىٰ، وعدد كبير من الحاخامات يوافقون علىٰ الاقتراح، وقال صاحب الاقتراح، الحاخام (الياشيف هاكوهين) حاخام حيفا: «عما قريب؛ فإن الملايين من اليهود ستقر أعينهم عندما يكون بإمكانهم الصلاة داخل جبل المعبد، هذا المكان لنا، هنا قدس الأقداس.. لا مكان هنا للمسجد الأقصىٰ، بإمكان العرب التوجه إلىٰ مكة بدلاً من الأقصىٰ».

* في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م، مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي (إيهود باراك) يعلن أن حكومة باراك أو أي حكومة إسرائيلية لا يمكن أن تقبل بسيادة فلسطينية أو عربية أو إسلامية علىٰ (جبل الهيكل).

* في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٠م، الحكومة الإسرائيلية تقدم علىٰ إشعال فتيل الحرب الدينية في الشرق الأوسط، بالسماح لزعيم المعارضة الليكودي (أرئيل شارون) بزيارة المسجد الأقصىٰ، وسط حراسة ٢٠٠٠ شرطي إسرائيلي، والمواجهات الدامية تنطلق من ساحة المسجد الأقصىٰ في اليوم التالي للزيارة الذي وافق يوم جمعة، وتسفر عن مقتل وإصابة - ما لا يقل عن مائة فلسطيني -

منهــم ١٣ من فلسطينيي الداخل إلىٰ جانب ثلاثة آلاف جريح ـ بعد عشرة أيام فقط من بدء المواجهة، والعالم العربي والإسلامي يفور غلياناً احتجاجاً علىٰ هذه الاستباحة اليهودية لحرمة الإنسان والأديان.

* في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠٠٠م، حاولت جماعة (أمناء الهيكل) اليهودية التي يغلب عليها الأمريكان، أن تضع (حجر الأساس) للهيكل الثالث، وذلك بعد أن حصلت ـ كما أذيع وقتها ـ علىٰ إذن من الحكومة الإسرائيلية.

* في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠٠٠م، هددت إحدىٰ الحركات الدينية المتشددة بالقيام بعملية انتحارية لتفجير طائرة محملة بالمتفجرات فوق المسجد الأقصىٰ، وذكرت صحيفة (معاريف) الإسرائيلية الصادرة في ١٩/ ١١/ ٢٠٠٠م أن قيادة اللواء الجنوبي في الشرطة الإسرائيلية تلقت رسالة بهذا التهديد موقعة من جماعة تطلق علىٰ نفسها اسم (السهم الجنوبي) (*).

(*) وضع المؤلف القلم عند هذه المرحلة من الحدث ـ في يوم الأربعاء ٢٦ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٠م، في وقت يتحدث فيه العالم كله عن (انتفاضة الأقصىٰ)، والله يعلم ما ستؤول إليه الأمور.

خاتمـة

وبعد:

لعل القارئ يكون قد أدرك معنا أهم جوانب القضية، ووعى معالم المؤامرة المحكمة ضد المسجد الأقصى.

ولعله يكون قد ألمَّ بخلفياتها وملابساتها ودوافعها.

ولعله يكون قد أحس بخطورة الأمر، وفداحة المصيبة إذا جرت الأمور حسبما يخطط له اليهود ويساعد عليه النصارى.

ولعلي - أيها المسلم - أكون قد أوصلت إليك نيابة عن المسجد الأقصى رسالة تقول لك: «هل ستشارك في المؤامرة بإصرارك على الصمت والسكوت.. ؟!».

إن أرض فلسطين - في الوجدان الإسلامي - لم تُشرَّف إلا لأن فيها بيت المقدس، وبيت المقدس يستمد الشرف من المسجد الأقصى الموجود فيه.. بينما (أرض إسرائيل) ليست لها قيمة عند اليهود إلا بـ (أورشليم) القدس، ولا قيمة للقدس عندهم إلا بالهيكل.. فهل أدركت خطورة هذه المفارقة ؟!

إن تكريمنا وتعظيمنا وحرصنا على حفظ المسجد الأقصى، صادف حرصاً وإصراراً من اليهود على إلغائه وإفنائه. وحرص الفريقين ينبع من العقيدة.

ولهذا؛ فإن أحداً من الناس لن يستطيع فهم حقيقة المعركة إلا المسلم، وإن أحداً من الناس لن يستطيع مواجهة العقيدة بالعقيدة إلا المسلم، وإن أحداً من الناس لايستطيع العمل بنفس طويل لإنقاذ المسجد الأقصى إلا رجال مسلمون صادقون.

إن المسجد الأقصى وبيت المقدس أمانة تسلمتها أمة الإسلام منذ أسري برسولها ﷺ إليه من المسجد الحرام. ولقد حفظ المسلمون هذه الأمانة في عهودهم المتوالية، حتى جاء عصرنا فضاع بيت المقدس... وها هو الخطر يلاحقنا بمصيبة أعظم.

ولئن خلُص اليهود إلى المسجد الأقصى وأتموا مؤامرتهم بين ظهراني جيل من المسلمين يبلغ ربع سكان العالم، فو الله إنه لعار لا يمحوه الزمان ولايغسله الماء.

وعلى الرغم من أنه لايوجد مانع قدري من وقوع تلك الكارثة، إلا أننا نرجوا الله ألاَّ نكون محلاً لهذا العار، وندعوه سبحانه أن نكون أهلاً لحفظ الأمانة؛ بل إننا نأمل أن يكون من بركات المسجد الأقصى أن تبدأ عودة الروح الحقيقية إلى هذه الأمة من تلبيتها لندائه المتردد الأصداء: (حي على الفلاح.. حي على الفلاح) فتهزم رايات صهيون عند ساحاته، كما صُدت موجات الصليبيين عند أعتابه، ودحرت جحافل التتار قرب أبوابه.

إن المتأمل في أحوال الدنيا في السنوات الأخيرة، يدرك للوهلة الأولى أن الله - تعالى - يهيىء الدنيا لعودة جديدة للإسلام. وما تلك الصحوة - التي لم يدبر لها أحد من الناس - في أرجاء العالم الإسلامي إلا من بشريات هذا الفجر الجديد.

ومن سنن الله - تعالى - أن تكون العاقبة للمتقين ولو بعد حين، ولكن عندما يبتعد المتقون عن التقوى تأتي سنة أخرى من سنن الله، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى

﴿الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال ـ عز وجل ـ : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾. [محمد: ٣٨].

إن التمكين لدين الله قادم.. بنا أو بغيرنا: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ولكن هـذا التمكين؛ كيف يبـدأ ؟.. لا ندري.. ومتـى سـيبدأ ؟.. لا ندري، ولكننا ندري فقط أن من واجبنا أن نعمل من أجله، وخصوصاً أن إرهاصاته قد بدت لكل ذي عينين.

ولعلي هنا أستعير كلمات مضيئة لأحد رواد الجيل وهو الأستاذ محمد قطب في كتابه (واقعنا المعاصر) حيث تحدث ـ حفظه الله ـ عن الصحوة الإسلامية، وكيف أنها بدأت تلفت الأنظار بشدة في مبدئها عندما وقع الصدام بين الفدائيين المسلمين وعصابات اليهود في حرب ١٩٤٨م، ثم تناول في آخر الكتاب حديثاً شيقاً عن الروافد التي تمد هذه الصحوة بالحياة والقوة والتمكين، وتساءل كما يتساءل كل مسلم ـ عن السبيل إلى هذا التمكين، ثم قال: «ولا نعلم بطبيعة الحال كيف يكون التمكين؛ فذلك غيب.. ولكننا نستشف من أحاديث الرسول ﷺ بعض الملامح لهذا التمكين.

فاليهود اليوم هم المسيطرون في الأرض، وهم الذين يرسمون سياسة العالم، وهم الذين يخططون ضد الإسلام والمسلمين، وبصفة خاصة في المنطقة المحيطة بإسرائيل، ويقول رسول ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول**

الحجر أو الشجر يامسلم، ياعبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله». واليهود يعرفون هذا الحديث ويؤمنون به، فقد ورد في آخره: «**إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**»، وهم يغرسون اليوم شجر الغرقد حول بيوتهم في فلسطين.

فنستطيع أن نستشف من ذلك قيام معركة حاسمة بين المسلمين واليهود، يستظل المسلمون فيها براية لا إله إلا الله، لا بالعروبة ولا بالقومية، ولابالتراب الوطني، وينتصر المسلمون فيها نصراً حاسماً بتقدير الله، ويكون هذا من أحداث التاريخ التي تغير التاريخ[1].

وأعود فأُذكِّر بحقيقة مهمة وهي: إن جهاد الأعداء.. كل الأعداء، لايتوقف على تحول الغيب إلى شهادة، ولكنه تكليف شرعي، وواجب ديني لايحل لمسلم أن يتخلف عنه إذا قامت شروطه ووجدت مبرراته.

وأختم هذه الخاتمة مردداً النداء الذي كان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - قد وجهه إلى كل المسلمين عندما قال: «يامعشر المسلمين من العرب وغيرهم في كل مكان.. بادروا إلى قتال أعداء الله من اليهود، وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، بادرو إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين والمجاهدين الصابرين، وأخلصوا النية لله، واصبروا وصابروا واتقوا الله - عز وجل - تفوزوا بالنصر المؤزر أو شرف الشهادة في سبيل الحق ودحر الباطل»[2].

---

(١) واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص ٥٤٢ مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

(٢) موقف اليهود من الإسلام، للشيخ عبد العزيز بن باز، ص ١٥، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

أيها المسلمون، هل من إعذار إلى الله - تعالى - بقول أو عمل لوقف قطار المؤامرة........

.... قبل أن يهدم الأقصى؟

اللهم صلِ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

المحتوى

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضــــوع	الصفحــة

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

لقد اخترت - بعد تردد كثير - أن أعبر عن الخطر الذي يمكن أن تتعرض له الأرض المقدسة - إذا اغتيل مسجدها المبارك - بـ (الكارثة) ، فجعلت عنوان الكتاب - في طبعته هذه - بعد إضافات وحذوفات : (قبل الكارثة ... نذير ونفير) .

ولم أقصد بـ (الكارثة) حدثاً جائحاً يمكن أن يخيم على الأرض المقدسة وحدها ؛ بل قصدت التحذير من أن ذلك الحدث سيشمل بظلامه - إن وقع - المنطقة العربية بخاصة ، والبقاع الإسلامية بعامة ؛ فالأمة بأسرها على شفا كارثة حقيقية إذا ما وقع المحذور وهُدم المسجد الأقصى - لا قدر الله - . ووصف (الكارثة) بالرغم من وقعه الثقيل يحكي بحق ما يمكن أن تؤول إليه الأمور لو نفذ اليهود - بمؤازرة من النصارى - ذلكم الحدث الجلل ، هذا الذي إن وقع - ونسأل الله ألاّ يقع - لغيّر خارطة الصراع كلها ، ولقلب الأوضاع رأساً على عقب ، ولأوجد معادلات جديدة يمكن أن تزيد في صعوبة وتعقيد القضية على وجه بعيد عن صالح المسلمين في فلسطين وما حولها إلا أن يشاء الله شيئاً .

جانب آخر عنيتُ الإيماء إليه بوصف (الكارثة) ، وهو أن تلك المنطقة التي نعيشها لو شهدت حرباً أخرى قريبة يشعلها اليهود - وهذا هو المترجح - فإن تلك الحرب في ظل واقعنا العربي المزري لن تستحق وصفاً آخر - والله أعلم - غير (الكارثة) ! إلا إذا حدثت معجزة ، وواقع العرب والمسلمين على أي حال لا يشجع بتوقع المعجزات والكرامات .

إن الفرصة سانحة الآن - رغم كل هذا - لأن يلتقط المسلمون الصادقون خيط القضية المصيرية ، وألاّ يدعوها تفلت من أيديهم مرة أخرى . لهذا فقد لزم النذير ... ووجب النفير .

من المقدمة